سورة مريم ١	سورة طه ١٤	سورة الانبياء	سورة الحجّ ٤٠	سورة المؤمنون ٥٠
سورة النوّر ٥٩	سورة الفرقان ٧٣	سورة الشّعراء ٨٣	سورة النّمل ٩٤	سورة القصص ١٠٦
سورة ~~العنكبوت~~	سورة العنكبوت ١١٨	سورة الرّوم ١٢٦	سورة لقمان ١٤٢	سورة السّجدة ١٤٦
سورة الاحزاب ١٤٩	سورة سباء ١٦٣	سورة فاطر ١٨٠	سورة يس ١٧٨	سورة الصّافات ١٨٦
سورة ص ١٩٦	سورة الزّمر ٢٠٦	سورة المؤمن ٢١٥	سورة فصّلت ٢٢٤	سورة الشورى ٢٣٠
سورة الزّخرف ٢٣٧	سورة الدّخان ٢٤٥	سورة الجاثية ٢٤٩	سورة الاحقاف ٢٥٠	سورة محمّد ع م ٢٥٥
سورة الفتح ٢٥٩	سورة الحجرات ٢٦٣	سورة ق ٢٧١	سورة والذّاريات ٢٧٤	سورة الطّور ٢٧٧
سورة النجم ٢٧٩	سورة الرّحمن ٢٨٥ سورة القمر ٢٨٣	سورة الواقعة ٢٨٨	سورة الحديد ٢٩١	سورة المجادلة ٢٩٤
سورة الحشر ٢٩٨	سورة الممتحنة ٣٠١	سورة الصّفّ ٣٠٤	سورة الجمعة ٣٠٥	سورة المنافقون ٣٠٧
سورة التغابن ٣٠٩	سورة الطّلاق ٣١١	سورة التحريم ٣١٣	سورة الملك ٣١٧	سورة القلم ٣١٩

سورة الحاقة ٣٢٣	سورة المعارج ٣٢٥ سورة نوح ٣٢٧	سورة الجنّ ٣٢٩	سورة المزّمل ٣٣٢	سورة المدّثر ٣٣٥
سورة القيمة ٣٣٨	سورة الدّهر ٣٤٠	سورة المرسلات ٣٤٣	سورة النباء ٣٤٥	سورة والنّازعات ٣٤٧
سورة عبس ٣٤٩	سورة التكوير ٣٥١	سورة الانفطار ٣٥٣	سورة المطّففين ٣٥٣	سورة الانشقاق ٣٥٥
سورة البروج ٣٥٦	سورة الطّارق ٣٥٨	سورة الاعلى ٣٥٩	سورة الغاشية ٣٦٠	سورة الفجر ٣٦١
سورة البلد ٣٦٣	سورة والشمس ٣٦٤	سورة والليل ٣٦٥	سورة والضحى ٣٦٦	سورة الم نشرح ٣٦٨
سورة والتّين ٣٦٨	سورة العلق ٣٦٩	سورة القدر ٣٧٠	سورة البيّنة ٣٧٠	سورة الزلزال ٣٧١
سورة العاديات ٣٧٢	سورة القارعة ٣٧٢	سورة التكاثر ٣٧٣	سورة العصر ٣٧٣	سورة الهمزة ٣٧٣
سورة الفيل ٣٧٤	سورة قريش ٣٧٥	سورة الماعون ٣٧٥	سورة الكوثر ٣٧٦	سورة الكافرون ٣٧٦
سورة النّصر ٣٧٧	سورة تبّت ٣٧٧	سورة الاخلاص ٣٧٨	سورة الفلق ٣٧٩	سورة النّاس ٣٨٠

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 458/2

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا

سورة مريم مكية وهى تسعون وثمانى او تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الامر راعى سنّة الله فى اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان وكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل فى الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى اوان الكبرة والشيخوخة او اسرّه من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف فى سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحّده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين فى الشين عن ابى عمرو وشبّه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوّه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميّزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسّل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذى احسنت الىّ وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيّروه ويبدّلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علىّ هيّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا

من ورائى بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى او خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمن ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفّت الموالى من ورائى وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى اى قلّوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولىّ يرزقه والثانى ان يكون بمعنى قدّامى فيتعلق بخفّت ويريد انهم خفّوا قدّامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة يرثنى ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدّقنى وعن ابن عباس رض والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب وعن الجحدرى او يرث على تصغير وارث وقال غليّم صغير وعن على رضوان الله عليه وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمّى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء عليهم السلام لا تورّث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا صلوات الله عليه من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود سميا لم يسمّ احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامى الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم شنع الاسامى مسبلى ازر حمر تمسّ الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصّرت وعرّفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمىّ لان كل متشاكلين يسمّى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمىّ لصاحبه ونحو يحيى فى اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سمّوا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرّع قالوا لم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهمّ بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اى كانت على صفة العقر حين انا شابّ وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اوّلا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على

قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن
سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا و
برا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ٥

منهاج واحد في أن الله عز وجل غني عن الأسباب أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة
في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن
في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرئ عتيا ومجاهد
عسيا كذلك الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ فقال قال ربك
أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا إليه ذلك
الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا
إلا على الوجه الأول أي الأمر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو أن
يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله عز وجل لا إلى قول زكريا عليه السلام وقال محذوف
في كلتا القراءتين أي قال هو علي هين قال وهو علي هين فإن شئت لم تنوه لأن الله
هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لأن المعدوم ليس بشيء
أو شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك أي اجعل لي علامة أعلم بها وقوع
ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوي
الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من
الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له إلا
رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنه كتب لهم على الأرض وسبحوا صلوا أو على الظاهر
وأن هي المفسرة أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة
ومنه شعر واحكم كحكم فتاة الحي تعالى حكما كحكم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين
عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك
ومن معمر العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه حنانا رحمة
لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه وقالت حنان ما أتى بك ههنا
أذو نسب أم أنت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق
ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة
والزكوة الطهارة وقيل الصدقة أي تعطف على الناس وتصدق عليهم سلم الله عليه
في هذه الأحوال قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن إذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي
شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال

واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا قال إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك
غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم
يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين ٥
ولنجعله آية للناس
ورحمة منا وكان
أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به
مكانا قصيا ٥

من الحيض محتجبة بحائط أو شيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى
بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي
شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدميين
شيئا أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس
بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه
ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الفائقة الجميلة الحسن
وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها
زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت أن
تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست في المشرقة وراء
الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم
بيت المقدس وقيل إن النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم عليها السلام
مكانا شرقيا الروح جبريل عليه السلام لأن الدين يحيى به وبوحيه أو سماه الله عز
وجل روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا
بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين
في قوله فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم الموعودون
بالروح أي مقربنا وذا روحنا أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه و
تحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين
إنما أنا رسول من استعذت به لأهب لك لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع
وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هو حكاية لقول الله عز
وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله من قبل أن تمسوهن أو
لمستم النساء والزنا ليس كذلك إنما يقال فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس
بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول
عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت
فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف أي ولنجعله
آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل محذوف أي لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية ونحوه وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك
مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون
ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع
والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير

فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي
إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا
فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم

بالتكوين عن ابن عباس رض فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت
النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية و
الضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل
ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت
الشمس من يومها وعن ابن عباس رض كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته و
قيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين
قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره فانتبذت به أي اعتزلت و
هو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها
ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها فالجار والمجرور في موضع
الحال قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم
لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان
ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل صلوات الله عليه فقال إنه
من روح القدس فلا تقتلها فتركها أجاءها منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد
النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته
وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه
فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت الحامل مخاضا ومخاضا
وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان
جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء و
التعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن
تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه
ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة
كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هو من جمارها فلموافقتها
لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات
يموت ومات يمات النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها
كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب
إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ
تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي
وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور

من الناس لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة
وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام دحض
قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح
وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه أو لخوف
على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء
هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ
محمد بن كعب القرظي نسئا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته
وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الإتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل صلوات
الله عليه قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى صلوات الله عليه وهي قراءة عاصم
وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها
تحت الأكمة فصاح بها ألا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي
ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها
من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هو الجدول قال لبيد شعر فتوسطا
عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى
وعن الحسن كان والله عبدا سريا فإن قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى
بالسري والرطب قلت لم يقع التسلية بهما من حيث إنهما طعام وشراب ولكن من حيث إنهما
معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد عن الريبة وأن مثلها مما قرفوها
به بمعزل وأن لها أمورا إلهية خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا وحتى
يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها تساقط فيه تسع قراءات تساقط
بإدغام التاء وتتساقط بإظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء و
إدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء
للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي و
ليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو على معنى
افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من
العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر
الجيم للإتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا وطيبي
نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك وقرئ وقري بالكسر

لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا

لغة تحدثن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في ردبما **صوما** صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق **انسيا** اي اكلم الملائكة دون الانس **فريا** البديع هو من فري الجلد **هرون** كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجأ التيمي ما كان اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحين تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها **فاشارت اليه** اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان **كان** لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى **الكتاب** هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد **مباركا اينما كنت** وقيل معلما للخير نفاعا وبرا من اي

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلم علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم

تهلك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد **والسلام علي** قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلث موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم صلوات الله عليها واعدائهما من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر **قول الحق** بالنصب وعن ابن مسعود رض قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثابت والصدق كقولك هو عبد الله الحق وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله تعالى وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون **يمترون** يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرأ علي بن ابي طالب رض تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادة للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه **والاحزاب** اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس **من مشهد يوم عظيم** اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملئكة

أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم
لا يؤمنون إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون واذكر في الكتاب إبرهيم إنه كان صديقا نبيا وإذ قال
لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنك شيئا

والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال الذين مكان الشهادة أو
وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا في عيسى وأمه لا يوصف الله تعالى بالتعجب وإنما
المراد أن استماعهم وإبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما
وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوؤهم ويصدع
قلوبهم أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم
حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين
إغفال النظر والاستماع **قضي الأمر** فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة و
النار وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عنه فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران
ينظران **وإذ** بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة **وهم في غفلة** متعلق بقوله في ضلال
مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين
غير مؤمنين يحتمل أن يكون متعلقا بعده أو متعلق بأنذرهم وأنه يفني أجسادهم ويفني الأرض و
يذهب بهما **الصديق** من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط
صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان
والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم و
كان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق
لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون
كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني إبرهيم و**إذ**
قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقا
نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات
والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله
واتل عليهم نبأ إبرهيم وإلا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله **التاء** في
يا أبت عوض من ياء الإضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه
وقيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء وشبه سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه
من الواو الساقطة انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه
من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ من قضية
التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه
أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق
الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله إلى إبرهيم صلوات الله عليه إنك خليلي حسن خلقك

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا

ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار **قال** كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشي و
أسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه أولا العلة في خطيئته طلب
منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على الثواب والعقاب نافعا ضارا إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم
منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهتها إلى غيره
تعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا
عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا
يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا
أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته إلى
الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن
معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا
تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك **فاتبعني** أنجك
من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على
ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك
إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك
في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن
إبرهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص لم يرتق همته في الربانية لم يذكر من جنايتي
الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر
معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على
ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل
ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به
ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية
الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب في ذلك أن رضوان الله
أكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من
الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان
الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا

قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي
انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا

ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لا يبصر يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجديد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة اي مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده بالاستغفار فان قلت كيف جاز ان يستغفر للكافر او ان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا عليه بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر لي الا اباه

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم
لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا
ونادينه من جانب الطور الايمن وقربنه نجيا ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هرون نبيا

والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان صدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس ذكر اسمعيل صلوات الله بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرْضِيًّا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ
الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا

منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس من الابلاس كما يزعمون ولا
يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم
يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس
فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس المكان العلى شرف
النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله اليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط
بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون
الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الى
السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شىء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى انه
لما انشد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعر الذى آخره شعر بلغنا السماء
مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا فقال له رسول الله عليه السلم الى اين يا ابا ليلى
فقال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن فى من
النبيين للبيان مثلها فى قوله تعالى فى آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية
آدم لقربه منه لانه جد ابى نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن
نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت
الذين خبر الاولئك كان اذا تتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقرأ
شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقى مع وجود الفاصل البكى
جمع باك كالسجود والقعود فى جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله
صلى الله عليه فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس رضى
الله عنه اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا وقالوا ينبغى ان يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة
قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ
هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند
تلاوة آياتك خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بالفتح وفى عقب الشر خلف
بالسكون كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر عن ابن عباس هم اليهود

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا

تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد
اضاعوها بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعنى الكفار وعن على
رضوان الله عليه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
وعن قتادة هو فى هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل
شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال شعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما وعن الزجاج
جزاء غى كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ
منه اوديتها وروى الاخفش يلقون فى يدخلون ويدخلون اى لا ينقصون شيئا من جزاء
اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك
ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على
جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة
علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما
لمعانى الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان
اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما
ساغ وصفها بالتى وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اى وعدها و
هى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان
به قيل فى مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك
اتى اليه احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه
ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها وما احسن
قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اى ان كان
تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادى
قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه
من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار
السلام هى دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب
اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل الوجبة ومنهم
من يأكل متى وجد وهى عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهى العادة الوسطى
المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد
غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء
وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرئ نورث

تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين
ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا و
يقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا

استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم
يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد
اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبرئيل صلوات الله عليه حين استبطأه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر
وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب
ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه وقلاه
فلما نزل جبرئيل صلوات الله عليه قال له النبي صلى الله عليه ابطأت حتى ساء ظني و
اشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست
احتبست فانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول
على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله شعر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل
من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج
واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله عز وجل وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها
فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته
هو المليك الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز
عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة
واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما
بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن
فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء
التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا
يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا
به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم
يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا
وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تقريرا لقولهم وما كان ربك
ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة

على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحين عرفته
على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما
يتنزل بالياء على الحكاية عن جبرئيل صلوات الله عليه والضمير للوحي وعن ابن مسعود
الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البغي رب السموات والارض بدل من
ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله
شعر وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك
نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر
بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في
قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان
العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك
عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة و
شماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى
اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك
فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على
الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا
وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه العباد العبادة اليه الا هو وحده لم يكن بد من
عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره و
ان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم
غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده
الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق شعر فسيف
بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد فقد اسند الضرب الى بني
عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم
انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر
يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض
واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج
احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد
الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا
اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ الحسن وابو

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر
مكانا واضعف جندا

حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسئ الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض عن العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار فيها الفطن من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفخيم لشأن رسول الله عليه السلام ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم

وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم وعن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها

وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة
البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار وهو مس الحمى جسده في
الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز
أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين حتما مصدر حتم
الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقوله خلق الله وضرب الأمير أي كان ورودهم
واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره وقرئ ننجي وننجي
ينجي وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم
فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يردون
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح
الثاء أي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على أن المراد بالورود الجثو
حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في
مكانهم جاثين بينات مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد
إما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو تبيين الرسول قولا أو
فعلا أو ظاهرات الإعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه
أن تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا إلا أن آيات الله لا تكون إلا واضحة
وحججا للذين آمنوا يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون
به لأجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
إليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون
والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك
مبلغهم من العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا
من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى
أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله عز وجل منهم وكم مفعول
أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن
لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى
أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية أثاثا متاع البيت
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وأنشد الحسن بن علي الطوسي شعر تقادم العهد
من أم الوليد بنا دهرا وصار أثاث البيت خرثيا وقرئ على خمسة أوجه ريا وهو المنظر

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا
وخير مردا

والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب
الهمزة ياء وإدغامها أو من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم
وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته وإلقاء
حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لأن الزي
محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء أي مد له الرحمن يعني أمهله وأملى له
فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل
ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
أو كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما أو من كان في الضلالة فمد له الرحمن في معنى الدعاء
بأن يمهله الله عز وجل وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون
متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقاما
وأحسن نديا حتى إذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون
به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة
المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله عز وجل دينه على الدين كله
على أيديهم وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة
أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا
وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين في الضلالة
ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الألطاف لا تنفع فيهم
وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول
الذي قالوه لا ينفكون من ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا
الساعة ومقدماتها فإن قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى
الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من هو
شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم
ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأعوان
والأنصار ويزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان
في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد
المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أي هي خير ثوابا من
مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر
مرد وهل يرد بكائي زندا فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى

افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا

يجعل ثواب الصالحات خيرا منه **قلت** كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله **شعر** شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلا إذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار **فإن قلت** فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه **قلت** هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك أطلع الغيب من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير **شعر** لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك قرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله إليه أن يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ **كلا** ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع **فإن قلت** كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد **قلت** فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله **شعر** إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجردها هاهنا لمعنى الوعيد **ونمد له من العذاب** أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار

المستهزؤن

المستهزئون أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه **ونرثه ما يقول** أي نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله لأوتين لأنه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه **فردا** على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك أي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب **كلا** ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك **كلا سيكفرون** بعبادتهم أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو للمشركين أي ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين **عليهم ضدا** في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أي من أعوانكم وكأن العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه **فإن قلت** لم وحد **قلت** وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد
جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن
أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم

واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى يكونون عليهم أي أعداءهم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار وأقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن عباس رض أنه كان إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء والورد العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء قال شعر ردي ردي ورد قطاة صما كدرية أعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في لا يملكون إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على الفاعلية أو على البدل ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف

أي إلا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالإيمان والعمل وعن ابن مسعود رض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني إلى الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ إدا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإد والأد العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي أدا تكاد قرأ الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لأنها تهد فإن قلت ما معنى انفطار السموات والأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا والثاني أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن تصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله عز وجل والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في أن دعوا ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله شعر على حالة لو أن في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام

إفضاء الفعل أي هدًّا لأن دعوا أو محل الجر بدلاً من الهاء وأهلها بدعاء الولد للرحمن
ومرفوعًا بأنه فاعل هدًّا أي هدّها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن
وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من
قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما
قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه
فمن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق
اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمّى المتعدي إلى مفعولين فاقتصر على أحد
الذي هو الثاني طلبًا للعموم والإحاطة بكل ما دعي له ولدًا أو من دعا بمعنى
نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادّعى إلى غير مواليه وقول الشاعر
شعر إنا بني نهشل لا ندّعي لأب أي لا ننتسب إليه انبغى مطاوع بغى إذا
طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلاً لأنه محال
غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما
التبني فلا هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول
الظالمون علوًا كبيرًا من موصوفة وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب
في قوله شعر رب من أنضجت غيظًا صدره وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة
آتِ الرحمن على أصله قبل الإضافة أحصاهم الحصر والضبط يعني حصرهم
بعلمه وأحاط بهم وعدّهم عدًّا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير عليهم
السلام أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون
والدًا والثاني إشراك الذين زعموهم لله أولادًا في عبادته كما يخدم الناس
أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات
ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السماوات والأرض
من الملائكة إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدًا منقادًا
مطيعًا خاشعًا خاشيًا راجيًا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما
يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون
في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها
وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردًا
ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم وقرأ جناح بن حبيش ودًّا بالكسر والمعنى
سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرّض

للأسباب التي بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع
بمبرة أو غير ذلك وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصًا منه لأوليائه بكرامة
خاصة كما قذف الله في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظامًا لهم وإجلالًا
لمكانهم والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم الله ذلك إذا دجا الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه
بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروي أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال لعلي رضوان الله عليه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدًا واجعل
لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم
الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل
يا جبرئيل قد أحببت فلانًا فأحبه فيحبه جبرئيل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء
ثم يضع له المحبة في الأرض وعن قتادة ما أقبل العبد إلى الله عز وجل إلا أقبل الله
بقلوب العباد إليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلّغ هذا المنزل أو
بشّر به وأنذر فإنما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين
وسهّلناه وفصّلناه لتبشر به وتنذر واللدّ الشداد الخصومة بالباطل الآخذون
في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله
وكم أهلكنا تخويف لهم وإنذار وقرئ تُحِسّ من حسّه إذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات وقرأ حنظلة تُسمِع مضارع أسمعت والركز الصوت الخفي ومنه
ركز الرمح إذا غيّب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذّب زكريا
عليه السلام وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى
وهارون وإسمعيل وإدريس صلوات الله عليهم وعشر حسنات بعدد من دعا الله
في الدنيا وبعدد من لم يدع الله بعون الله وتوفيقه سورة طه مكية وهي مائة
بسم الله الرحمن الرحيم أبو عمرو فخّم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء
وفخّمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما وعن الحسن طه وفسّر
بأنه أمر بالوطء وأن النبي عليه السلام كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر
بأن يطأ الأرض بقدميه معًا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفًا في
يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفي
بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسمّيين والله أعلم بصحة ما
يقال إن طا في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكًّا تصرفوا في يا هذا كأنهم

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى

في لغتهم فقالوا في يا طا واختصروا هذا عليها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به شعر إن السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين والأقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في فاتحة الكشاف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون ما أنزلنا إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل لعنه الله والنضر بن الحارث قالا له إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه السلام صلى حتى استعدت قدماه فقال له جبريل صلوات الله عليه أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السهلة السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس بفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فإن قلت أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها فإن قلت هل يجوز أن تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا إليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن

يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية وفي نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له فإن قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل صلوات الله عليه والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن وإما أن يكون رفعا على مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق فإن قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الأرضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي

وَاِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَاَخْفَى اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَهَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ
مُوسٰى اِذْ رَاٰى نَارًا فَقَالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوٓا اِنِّيٓ اٰنَسْتُ نَارًا لَعَلِّيٓ اٰتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ اَوْ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّآ اَتٰيهَا
نُودِيَ يَا مُوسٰى اِنِّيٓ اَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝

تحت الارض السابعة اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته
ببالك او ما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما ومن بعضهم
ان اخفى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذلك **فان قلت** كيف طابق
الجزاء الشرط **قلت** معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك
فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون
الجهر من القول واما تعليما للعباد وان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض
اخر **الحسنى** تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك
الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذى فضلت به
اسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم و
الربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن قفاه بقصة موسى صلوات الله عليه
ليأتسى به فى تحمل اعباء وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى
ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب **اذ** ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اى حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا
عليهما السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد
زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة **امكثوا** اقيموا فى مكانكم **الايناس**
الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشى والانس
لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد الايناس
وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان
بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به
القبس النار المقتبسة فى راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما
يقتبس فيه من شعفة او نحوها **هدى** اى قوما يهدونه الطريق او ينفعونه
بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة
بالهمة الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او
اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق
بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها

وَاَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحٰى اِنَّنِيٓ اَنَا اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاعْبُدْنِي وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِيٓ اِنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ اَكَادُ
اُخْفِيهَا لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعٰى ۝

قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى **شعر** وبات على النار الندى و
المحلق **قرا** ابو عمرو وابن كثير **انى** بالفتح اى نودى بانى انا ربك وكسر الباقون
اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير
فى انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما
نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست
واسمعه بجميع اعضائى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملئكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت
عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان
يسمع من الصوت وعن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى
نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا
من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه
متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين و
منهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق
والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى
انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادى **طوى** منصرف وغير منصرف بتاويل
المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد
كرة **اخترتك** اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك **لما يوحى** للذى
يوحى وللوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك **لذكرى** اى لتذكرنى فان ذكرى
ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او
لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك
لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى
لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى
جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة و
لا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست
ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى قدمت لحيوتى وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من
قوله صلى الله عليه من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق
العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا ذكرها ومن

فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هويه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقيها فإذا هي حية تسعى

يتحلى بقول إذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلوتي أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للذكرى أي **أكاد أخفيها** فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي و في بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين **لتجزى** متعلق بآتية **بما تسعى** بسعيها أي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيمة ويجوز أن يكون للصلوة **فإن قلت** العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى صلوات الله عليه عن التكذيب بالبعث أو أمره بالبعث فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود **قلت** فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته و ذلك سبب في رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث ولا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله **تلك بيمينك** كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فيقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول

فيقول

لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد قرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق سكون الياء **أتوكأ عليها** أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة **أهش** الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع و هشة تخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وقرأ النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظمى كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في **المآرب** كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده و سقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام **السعي** المشي بسرعة وخفة حركة **فإن قلت** كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان **قلت** أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان

قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية
أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي
أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري

العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت
وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها
كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما
رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها
أربعون ذراعا لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما
يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس رض انقلبت ثعبانا
ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم
إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ
من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت
إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف
أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد
منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير شعر وعادك أن تلاقيها
عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها
مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت
عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب
كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى
حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار
منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى
جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في
كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب
الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم
عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى
عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن
وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من
صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن

لكي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى
إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى

يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق
بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين
الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا
الكبرى فعلنا ذلك لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف
أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال أن فعيلا جاء في
معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم
فلما قلبت في أخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا إلى أن وزر
وأخواته وإلى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما
على أولهما عناية بأمر الوزارة أو لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير
وأخي في الوجهين بدل من هرون وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا
جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي
في مصحف ابن مسعود رض أخي واشدد وعن أبي بن كعب أشركه في أمري واشدد به
أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد
به خبره ويوقف على هرون الأزر القوة وآزره قواه أي اجعله شريكي في الرسالة
حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فإن التعاون لأنه مهيج الرغبات فيزداد
به الخير ويتكاثر إنك كنت بنا بصيرا أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا
وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا السؤل
الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول الوحي إلى أم
موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أو يبعث
إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو
يلهمها كقوله وأوحى ربك إلى النحل أي أوحينا إليها أمرا لا سبيل إلى التوصل
إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل
به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق أن يوحى أن هي المفسرة
لأن الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن
يافعا أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع
بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم فإن
قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل قلت ما ضرك لو قلت
المقذوف والملقى هو موسى صلوات الله عليه في جوف التابوت حتى تفرق

أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة
مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت
نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى

الضماير فيهما في عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وإلقاءه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه فقيل **فليلقه اليم بالساحل** روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ على أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذفه به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة **مني** لا يخلو أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روي أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه **على عيني** لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي **ولتصنع** معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في **إذ تمشي** ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا **فإن قلت** كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان **قلت** كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول أنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها ويروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية

استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع هي **نفس** القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله عز وجل ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به إلى مدين **فتونا** يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه عن قوله وفتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الإنسان وكل ما يبتلي الله عز وجل به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة **مدين** على ثمان مراحل من مصر وعن وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الأجلين أي سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينيه وأذنيه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره **الونى** الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للإتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر روي أن الله جل وعز أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى لأن ظاهره

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا
إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك
والسلام على من اتبع الهدى

الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عده شبابا لا يهرم
بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب و
المنكح إلى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره وألطفا له في القول لما له من
حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة وقيل كنياه وهو من
ذوي الكنى الثلاث أبي العباس وأبي الوليد وأبي مرة والترجي لهما أي اذهبا
على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا
يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما
إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك أي يتذكر
ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق أو يخشى أن يكون الأمر
كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي
يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة
ويبادر بها وقرئ يُفرط من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل
على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه
الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى
عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قوم فرعون وقرئ
يُفرِط من الإفراط في الأذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة
بالمعاجلة أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا
من شرارته وعتوه أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته
عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب
من حسن الأدب تحاشٍ عن التفوه بالعظيمة معكما أي حافظكما وناصركما
أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظي
ونصرتي لكما فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شيء وكأنه
قيل أنا حافظكما وناصركما سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك
تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو كانت بنو إسرائيل
في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء
ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد
جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك
مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي

المجيء

إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء
خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم
الأرض مهدا
وسلك لكم فيها سبلا

المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت
الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه
من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين
أو لو جئتك بشيء مبين يريد سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو
موسى لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه
ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة
هرون والرتة التي في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون
إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي
يوافق الاستماع وكذا الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق
لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج
منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف
إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف كيف
يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه
وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق سأله عن
حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد
فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله عز وجل به لا يعلمه
إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب
علم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيئا أو
ينساه يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل
وقرئ يُضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا
يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازع في إحاطة الله بكل شيء
وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد
أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط
به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك
أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي

وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت
مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة

الربوبية بالجهل والوقاحة **الذي** مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب
على المدح وهذا من مظانه ومجازه **مهدا** قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها
فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي **سلك** من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه
نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم **فيها سبلا** ووسطها بين الجبال والأودية والبراري
فأخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان
والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة
لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق
وفيه وجه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد
أزواجا أصنافا فسميت بذلك لأنها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض **شتى**
صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى
مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم
قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها
مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله أي قائلين **كلوا وارعوا** حال من الضمير في
فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا
بعضها أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم صلوات الله عليه منها وقيل إن
الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق
من التراب والنطفة معا وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة
بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا
عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا
يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها
أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا
وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة **أريناه** بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها
وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد
علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وفي قوله **آياتنا كلها** وجهان
أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها

أعني أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات
المختصة بموسى صلوات الله عليه العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء
من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها
جميعا وأبى أن يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق يلوح من جيب
قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به
موسى صلوات الله عليه لعلمه وإيقانه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت
له وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة وقوله **بسحرك**
تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه
ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو **الموعد** في قوله **اجعل بيننا وبينك موعدا** من أن
يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا فإن جعلته زمانا نظرا في أن قوله موعدكم يوم الزينة
مطابق له لزمك شيئان أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا
وإن جعلته مكانا لقوله **مكانا سوى** لزمك أيضا أن توقع الإخلاف على المكان
وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا
جميعا لأنه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر
مضاف محذوف أي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان
المحذوف **فإن قلت** فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله
زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان **قلت** هو مطابق معنى وإن لم يطابق
لفظا لأنه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في
ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى
إنجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف
محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه **فإن قلت** فبم ينتصب مكانا
قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر **فإن قلت** فكيف يطابقه الجواب **قلت**
أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة
ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية
التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم
النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون
ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الأمر وقرئ
سوى وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا و

وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى
فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من
القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا
لا تخف انك انت الاعلى

بينك وعن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية
لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجرى الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر
الناس بالياء والتاء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه
ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى تخاطب بها الملوك او خاطب
القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم
او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق
الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين
واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع اهل الوبر
والمدر لا تفتروا على الله كذبا اى لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت
لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا
او مجلف فى بيت لا ترى الركب يصطك فى ثنويه اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم
ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر
وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر
وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا
الكلام وتزوينه خوفا من غلبتهما وتثبيط الناس عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين
لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على
قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ
ابى ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل
من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة بلحارث بن كعب
جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى اخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء
فى الجر والنصب قال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام
داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم
الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا
اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى صلوات الله عليه ارسل معنا بنى
اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم
يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم
اى ازمعوا بعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه حتى
لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا
لانه اهيب فى صدور الرائين وروى انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد

والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقى السحرة سجدا

منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابى عبيدة انه فسر الصف بالمصلى
لان الناس يجتمعون فى عيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى
بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم
من استعلى اعتراض يعنى وقد فاز من غلب ان مع ما بعده اما منصوب
بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر
القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض
جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك
وعلم موسى اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم
من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله عز وجل
سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال فى اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق انها
اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض
المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى
حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه
السعى وقرئ وعصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلى ودلى وقسى
وقسى وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال قوله انها تسعى
من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبنى زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصى
مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل
للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شئ منه وكذلك توجس الصوت
تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو
من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه
تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف
وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما فى يمينك ولم يقل عصاك
جائز ان يكون تصغيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد
الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اى لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة
الكثيرة فان فى يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شئ وانزره

قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

عنده فالقه تتلقفها بإذن الله وتمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين العلم تريد رهم ونحو علم فقه وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج شعر في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقائين وروي أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم أي أنه أسحركم وأعلاكم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمر لي كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله عز وجل لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى صلوات الله عليه واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء

فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم

والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم فرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها أن الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل وجمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله شعر ومعا جياعا جعل لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرئ درك بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى إذا قرئ ولا تخف ثلثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن تكون مثل قوله شعر كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأول أي قلنا يا بني إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ أنجيتكم إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة وبجانب الطور

ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى

وكتب التوراة في الألواح وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لابستهم واتصلت
بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم
وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه طغيانهم في النعمة أن
يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها
وأن ينفقوها في المعاصي وأن يمنعوا الحقوق الواجبة فيها وأن يسرفوا
في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ **فيحل** وعن عبد الله لا
يحلن **ومن يحلل** المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه و
منه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوبته
ولذلك وصف بالنزول **هوى** هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك قالت
هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا لا
نهوض بعده **الاهتداء** هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة
والإيمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة
التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني
أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منها وأفضل
وما أعجلك أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء
إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به
بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله جل وعز وزل عنه أنه
عز وجل ما وقت أفعاله إلا نظرا إلى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل
وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون
قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم أولاء على أثري وعن أبي عمرو ويعقوب
إثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أُثري بالضم وعنه أيضا أولا بالقصر والأثر أفصح
من الإثر وأما الأثر فمسموع في فرند السيف مدون في الأصول يقال أثر السيف
وأثره وهو بمعنى الأثر غريب **فإن قلت** ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان
الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك
وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثري كما ترى غير منطبق عليه **قلت** قد تضمن ما
واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب
المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في
نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة
ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم

قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري

ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال **وعجلت إليك رب لترضى** ولقائل
أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله جل وعز فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق
المرتب على الكلام وأراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فما
نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا **فإن قلت** في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل
بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه إنا قد فتنا
قومك **قلت** قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة
على عادته أو افترص السامري غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ في تدبير
ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ **وأضلهم السامري** أي وهو أشدهم ضلالا
لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة
قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا
من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم
يعبدون البقر **الأسف** الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة رحمة
للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين **فإن قلت** متى رجع إلى قومه **قلت** بعدما
استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه وتعالى أن يعطيهم
التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذاك وأجمل حكي لنا أنها كانت
ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا **العهد** الزمان يريد مدة
مفارقته لهم يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه أن
يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل **بملكنا**
قرئ بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا
وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده أي حملنا أحمالا
من حلي القبط التي استعرناها منهم أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا
معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم
لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها
الحلي وقرئ حملنا **فكذلك ألقى السامري** أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا
وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل صلوات الله عليه
أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا فأخرج لهم السامري
من الحفرة عجلا خلقه الله عز وجل من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فإن قلت كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات **قلت** أما يصح أن يؤثر الله سبحانه

فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه

روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه
بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا
الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله العجل
من الحلي حتى صارت فتنة لبني اسرائيل وضلالا **قلت** ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله
الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد
فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على
الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى **فنسي** اي فنسي موسى ان يطلبه
ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر
يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة
للافعال **من قبل** من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه
ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري
بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا هذا والمعنى
ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت
من كفر بمن امن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا ومالك
لم تلحقني قرئ **بلحيتي** بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه
رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله و
لدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا
من الايات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة
غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل اقبال
العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه
اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك
بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم
النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها **الخطب**
مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك
له قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت بما لم
تفطنوا له قرا الحسن **قبضة** بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة و
اما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر
كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد والضاد بجميع الكف والصاد باطراف

وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء
علما

الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن
مسعود **من اثر فرس الرسول** فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح
القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله جل وعز الى موسى
صلوات الله جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال
ان لهذا لشانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته
قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف
انه جبريل صلوات الله عليه عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها
واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته
ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا و
اذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس و
تحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى
الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم
وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب
وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب و
هو الطلب **لن تخلفه** اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد
في الارض ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا
والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل
كما مر في لاهب لك **ظلت** وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى و
نقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل **لنحرقنه** ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف
ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه
انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي
قراءة علي بن ابي طالب عليه السلام **لننسفنه** بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي
ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين وقرا طلحة **الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما** وعن
مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما
علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين
فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوف

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا
خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم
إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا

[illegible] الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد
من الله عز وجل لرسوله أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك من قصة
موسى صلوات الله عليه وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم
وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وأن هذا الذكر الذي آتيناك
يعني القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار
لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض
عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا
تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل و
ينقض ظهره ويلقي عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمل جمع خالدين
على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في أعرض وما
بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم
خالدين فيها فيه أي في ذلك الوزر أو في احتماله ساء في حكم بئس والضمير
الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة
الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد
إنه أواب أيوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا
جهنم فإن قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت
لك فإن قلت ما أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح أن يكون
في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فإن قلت فلا يكن ساء
الذي حكمه حكم بئس وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا بمعنى أهمهم وأحزنهم قلت كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى
قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج من عهدة
هذا اللام وعهدة هذا المنصوب أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون
ولأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة
فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته وقرئ
ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير
لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ
في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه
القراءة تدل عليه والثاني أنه القرن قيل في الزرق قولان أحدهما أن الزرقة

أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك
قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين والثاني أن المراد
العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم
من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا إما لما يعاينون من الشدائد
التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن
أيام السرور قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت
مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى
بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها
عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله
قول من يكون أشد تقالا منهم في قوله إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما
ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض
يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل و
يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث
ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها
أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله ما
ترك على ظهرها من دابة فإن قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر
في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة و
نفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها
اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن
بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك
اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم
يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الأمت
النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله
يومئذ أي يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد
الداعي إلى المحشر قالوا هو إسرافيل عليه السلام قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس

يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون **لا عوج له** أي لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته أي خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع إلا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر **من** يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى **أذن له ورضي له** لأجله أي أذن للشافع ورضي قوله لأجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه **يعلم** ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه **ولا يحيطون** بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله **وقد خاب** وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر **الظلم** أن يأخذ من صاحبه فوق حقه **والهضم** أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي **وكذلك** عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في اليوم أشرب غير مستحقب **فتعالى الله الملك الحق** استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل صلوات الله عليه ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي إليك وحيه وقل رب

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى

رب زدني علما أي علما فإن لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه قصة آدم صلوات الله عليه ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فإن قلت** ما المراد بالنسيان **قلت** يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها وقرئ فنسي أي نساه الشيطان **والعزم** التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له **والوجود** يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما **إذ** منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات **فإن قلت** إبليس كان جنيا بدليل قوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة **قلت** كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم صلوات الله عليه والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام **فإن قلت** فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال **أبى** جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط **فلا يخرجنكما** فلا يكونن سببا لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط إلى آدم صلوات الله عليه ثور أحمر

وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها
فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا

فكأن تحرق عليه وتمسح العرق من جبينه وقرئ وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ألا تجوع فإن قلت إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فإن قلت كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي شعر وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله شعر أجرس لها يا ابن أبي كباش ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه وأضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي رضوان الله عليه وابن عباس إلا أن تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعها وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس لا شبهة في أن آدم صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله جل وعز الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة

ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا

غير المنفرة بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تهتما ونوا بما يفرط منكم من الصغائر والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه من جبى إلى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيتها إليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى لما كان آدم صلوات الله عليه وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فإما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله عز وجل وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر قرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط

وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد و
أبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل
فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم

وقرئ يحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن
آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها
فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره
بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله
ولعذاب الآخرة أشد وأبقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق
العيش المنقضي أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل لم يهد
الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه
في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون
فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشا يتقلبون
في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي
العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه الكلمة لكان مثل إهلاكنا عادا و
ثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل
أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو من أن
يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين
له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل بحمد ربك
في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد
بالتسبيح الصلوة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل
آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما
واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل
وأطراف النهار مختصا لها بصلوتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع
القلب وهدو الرجل والخلو بالرب تعالى وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي أشد
وطئا وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت
السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن
أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله عز وجل وقد تناول
التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي أطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على
التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله تعالى وأطراف النهار على الجمع
وإنما هو الطرفان كما قال أقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي التثنية

زيادة بيان ونظيره مجيء الأمرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل لعلك للمخاطب أي اذكر الله عز وجل
في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك
وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك ومد
النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن
يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه
لذو حظ عظيم حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر
ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر
منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه قيل لا تمدن عينيك أي لا
تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب
غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم
إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري
لهم على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء
الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا
منهم فإن قلت علام انتصب زهرة قلت على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب
على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله
من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة فإن قلت ما معنى
الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة
والجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه
الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم
بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم
لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه
ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم
أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب و
السرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى لأن الله تعالى لا ينسب إلى
نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا أصلا
وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله

وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

لا أو ضيق الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأمين في السماء اني
لأمين في الأرض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك
بالصلوة أي أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله عز وجل والصلوة واستعينوا
بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا
ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة
وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان
إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة
رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا
فصلوا بهذا أمر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية اقترحوا على عادتهم في التعنت آية
على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن
من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك
ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة
الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان
والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل أي كل واحد منا ومنكم
متربص للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد
أو المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلموا
قال أبو رافع حفظته من رسول الله عليه السلام من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب
المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس والله أعلم سورة
الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم هذه اللام لا تخلو
من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم
الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده
سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد
راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه
أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما
يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان
قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام
قلت هو مقترب عند الله عز وجل والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك
بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طال
أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم

ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين صلوات الله عليه
الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض
المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية
الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة
وقصر المدة وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه
للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم
غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع إليه خاتمة
أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا
عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم
ونفروا وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله عز وجل يجدد لهم
الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم
التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون
المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر
هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله
وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع
فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه إذا
ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا
أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى
وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا قلت معناه وبالغوا في
إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل
الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به
أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ
خبره أسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر
تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون
هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا
مضمرا اعتقدوا أن رسول الله لا يكون الا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر
وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر
وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر فان قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا
في إخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى

قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل
الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين

هذه أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في
شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا
على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يسروا
نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إن كان ما
تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه فإن قلت هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا
النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان
آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن تقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من
أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العالم لذاته فكيف تخفى عليه خافية
فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر
في السموات والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد
تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا
ويجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه الآية من
قبل أنه قدم هاهنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه
فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي
يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقوله صلى الله عليه وآله وسلم بل أضربوا عن
قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر
وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون
تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول
والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما أرسل
الأولون من حيث أنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن
للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى
محمد بالمعجزة أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات
وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم
ما يقترحون لكانوا أنكث وأمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب
حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا
وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و
من الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله لا يأكلون

الطعام

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا ٣٠
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون

الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد
الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام و
يشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل أن يقولوا
إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم و
يخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم
الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن
قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون
ومن في بقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك
أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر
كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه
ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم
أراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى أهلكنا
قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها حضور وهي وسحول
قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله
عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي أنه لما أخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك
حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور
بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس
ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى
اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم
مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم
فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فإن قلت من القائل قلت يحتمل أن يكون بعض
الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل
أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا
به نفوسهم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف
إبطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم
ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والأرض ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ٥

السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بما تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيروكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ **تلك** إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين **فإن قلت** لم سميت دعوى **قلت** لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك و**تلك** مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم **الحصيد** الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا على المفعولية **فإن قلت** كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير وقوله **لاتخذناه من لدنا** كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل **اللهو** الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردا لولادة المسيح وعزير **بل** إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله به وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ٥

قال **ولكم الويل مما تصفون** به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله **شعر** سأترك منزلي لبني تميم ° وألحق بالحجاز فأستريحا ° وقرئ فيدمغه **من عنده** هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه **فإن قلت** الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور **قلت** في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع الأوقات لا تتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر هذه **أم** المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات **فإن قلت** كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا **قلت** الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله **من الأرض** قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض **فإن قلت** لا بد من نكتة **قلت** النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الموتى ونشرها وصفت **آلهة** **بإلا** كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله **فإن قلت** ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام

فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران قلت لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون وما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله عز وجل بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين قبلي يريد أمم الأنبياء عليهم السلام وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافية في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون

إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولاده تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فقصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد وقرئ ألم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين فإن قلت الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لأنه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وإنما قيل كانتا دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ
أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥

من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو أن يتعدى الى واحد او اثنين فان
تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء
او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان
من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء لا بد له منه
ومن هذا نحو من في قوله عليه السلم ما انا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثاني
والظرف لغو اى كراهة ان تميل بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام
انما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا
مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة
ولكن جعلت حالا كقوله شعر لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما
من جهة المعنى قلت فيه وجهان احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك
بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها
من الملئكة عن اياتها اى عما وضع الله تعالى فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر
وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واى جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب
به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها
عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها على التوحيد اكتفاء
بالواحدة في الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع
الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان
بامطارها وهم عن كونها اية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه اى كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس
الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها
بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو
العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها
النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب
الحال عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة
يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له

يختص

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ
مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ٥

اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين
فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير
حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما
يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت
فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد في الدنيا
بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت
ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما
سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر
مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما
اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو
ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذى
يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر الهتهم وما يجب ان يذكر به من كونهم
شفعاء وشهداء ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله عز وجل
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق
بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم
ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما
انزل عليك من القران والجملة في موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هى
اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجئة الى
العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم
اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس
ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه
اراد بالانسان ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى
لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله
في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس
انه النضر بن الحرث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم
شعر والنخل تنبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال
مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم
من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا
نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ٥

ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي
يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا
الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون
على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز
أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا
مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم
كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم
يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر أي غلب إبراهيم الكافر
وقرأ الأعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين فإن قلت فإلام يرجع
الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي
التي وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البغتة
وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون
تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكير عليهم أي لا يمهلون بعد طول
الإمهال سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء
عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا
من الرحمن أي من بأسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا
أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه
والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم
عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال أم لهم آلهة
تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر
على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره
ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما
كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من
الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد وامتدت أيام الروح والطمأنينة
فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم واستمتاعهم
وذلك طمع فارغ وأمل كاذب أفلا يرون أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب
ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار

فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين ٥

الإسلام فإن قلت أي فائدة في قوله نأتي الأرض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله
يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تأتي أرض المشركين وتأتيها
غالبة عليها ناقصة من أطرافها قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء
أي لا تسمع أنت أو لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسمع الصم من أسمع
فإن قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إذا ما
ينذرون قلت اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس
والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة
على التصام من آيات الإنذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا
وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث
مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير
ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة
كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة
مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة شعر توهمت آيات
لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل الحساب يوم القيمة أي
لأجلهم فإن قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان أحدهما إرصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة
فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية
ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه
السلم سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي
يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة
فإن قلت كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض قلت فيه قولان أحدهما توزن صحائف
الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات
جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة
وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة و
المكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا من الثواب وفي حرف
أبي جئنا بها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه
أي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى أنه في
نفسه ضياء وذكرا أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا ومن

الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا
إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب
السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين

ابن عباس رض الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه **ذكر مبارك** هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره **الرشد** الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شأن **من قبل** من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل **اذ** اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله **ما هذه التماثيل** تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها **فان قلت** هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم **قلت** لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم **انتم** من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم

وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا
بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون
قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا
إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون

قرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه **بالله** وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين **فان قلت** ما الفرق بين الباء والتاء **قلت** ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن **شعر**
اذا الله سنى عقد شيء تيسرا
روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد **جذاذا** قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله **بل فعله كبيرهم فاسألوهم** وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات **فان قلت** فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلى الله عليه وسلم غرضا **قلت** اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها **فان قلت** ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما **قلت** هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك **فان قلت** ابرهيم ما هو **قلت** هو خبر مبتدأ محذوف او منادى والصحيح انه فاعل

يقال لأن المراد الاسم لا المسمى **على أعين الناس** في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا
أي بمرأى منهم ومنظر **فإن قلت** ما معنى الاستعلاء في على **قلت** هو وارد على طريق
المثل أي يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه
لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روي أن
الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا بإحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف
هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد
إبراهيم لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه
وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا
كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت
كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط أو لا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت
له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عنك وإثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء
به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة
مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل
إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشره
يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما
تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد
منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها
وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله أي فلعل الفاعل كبيرهم فلما ألقمهم
الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين **نكسته** قلبته فجعلت أسفله أعلاه
وانتكس انقلب أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة و
أن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم
أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق
أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به
إبراهيم فما أحاروا جوابا إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على
لفظ ما سمي فاعله أي نكسوا أنفسهم على رؤوسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود
أف صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على

عبادتها

قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه ٣٦
وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين

عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم
اللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه
وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض إليه من المحق ولم
يبق له مفزع إلا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين عجزوا
عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود وعن عمر رض رجل من أعراب العجم يريد الأكراد
وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا أصناف
الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول إن عافاني الله لأجمعن حطبا
لإبراهيم ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه
في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبرئيل صلوات الله عليه **يا نار كوني بردا**
وسلاما ويحكى أنه ما أحرق منه إلا وثاقه وقال له جبرئيل حين رمي به هل لك
حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس
رض إنما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة
ومعه جليس له من الملائكة فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة و
كف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة و
اختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب
بالنار إلا خالقها ومن ثم قالوا **إن كنتم فاعلين** أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا
مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الإحراق بالنار وإلا فرطتم في
نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا
في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله عز وجل وإرادته كمأمور أمر بشيء
فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام
والمراد ابردي فيسلم منك إبراهيم أو ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس
رض لو لم يقل ذلك لأهلكته بردها **فإن قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت**
نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق
والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم
أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على إبراهيم **و**
أرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه
الله ولقنه المبكت وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه نجيناه من العراق
إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين
شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر

ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا اتيناه
حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا
انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين

والتمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفين انه خرج الى الشام فقيل
له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة **نافلة** ولد الولد وسأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب
نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال **يهدون بامرنا** فيه ان من صلح ليكون قدوة
في دين الله عز وجل فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها
ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس
الى الاقتداء بالمهدي اميل **فعل الخيرات** اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة **حكما** حكمة او فصلا بين الخصوم
وقيل هو النبوة **والقرية** سدوم **في رحمتنا** اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث
هذه رحمتي ارحم بها من اشاء **من قبل** من قبل هؤلاء المذكورين هو نصر الذي هو مطاوعه
انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصره منه اي اجعلهم منتصرين منه **و**
الكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما **النفش**
الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير
في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث
فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن
فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث
الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء
ما قضيت وامضى الحكم بذلك **فان قلت** احكما بوحي ام باجتهاد **قلت** حكما جميعا
بالوحي الا ان حكومة داود صلوات الله عليه نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا
جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب **فان قلت** ما وجه كل واحدة من الحكومتين
قلت اما وجه حكومة داود صلوات الله عليه فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت
بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك
او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان
انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك
المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع
بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فلو
وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا

بالليل

وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا
فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين

بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل
وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله **وكلا اتينا**
حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب **يسبحن** حال بمعنى مسبحات او استيناف كان
قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن **والطير** اما معطوف على الجبال او مفعول معه
فان قلت لم قدمت الجبال على الطير **قلت** لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على
القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال
مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار **فان قلت** كيف تنطق الجبال
وتسبح **قلت** بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر
وهو ان يسبح من راها تسير بتسيير الله عز وجل فلما حملت على التسبيح وصفت به
وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل
مثل ذلك بالانبياء **اللبوس** اللباس قال **شعر** البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال
قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود صلوات الله عليه فجمعت الخفة
والتحصين **لتحصنكم** قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون
لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود صلوات الله عليه
او للبوس قرئ **الريح والرياح** بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب
للعطف على الجبال **فان قلت** وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى
فما التوفيق بينهما **قلت** كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه
ابعدت منه في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين
الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها
على حسب ما يريد ويحتكم اية الى اية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء
كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي **يغوصون له** في البحار فيستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع
العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا
عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي
ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه **والضر**
بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين
لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه
بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسمعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ٥

عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين قد مست جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب صلوات الله عليه رومياً من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلم وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوماً لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابناً أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة قيل في ذي الكفل هو إلياس وقيل زكريا عليه السلم وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله عز وجل والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء عليهم السلم في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد النون الحوت فأضيف إليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضباً قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففاً ومثقلاً ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عز وجل عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معوية فقال له لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك قال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى وكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون ٥

ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر أي بأنه لا إله إلا أنت أو بمعنى أي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم ننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث ثم رد أمره مستسلماً فقال وأنت خير الوارثين أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير الوارثين إصلاح زوجته أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكان سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الأنبياء عليهم السلم يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون وقرئ رغباً ورهباً بالإسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللاً لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الأعمش فقال أما إني سألت إبرهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه فلير الله منه خيراً لعلك ترى أنه يأكل خشناً ويلبس خشناً ويطأطئ رأسه أحصنت فرجها إحصاناً كلياً من الحلال والحرام جميعاً كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً فإن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها فإن قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أي أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ونصب الحسن

وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون

امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبر او عنه ورفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني
مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى الاخرين ويقبح عندهم فعلهم
ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما
بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب
تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق
المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما
ان الشكر مثل في اعطائه واذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ
من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه
في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام
للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم
فابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها
عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام
والانابة ومجاز الاية ان كل ما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا
وينيبوا الى يوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون
عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد
من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية
المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون
عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا
يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية
الثلث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي
الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج و
هو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها و
قرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج
وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون
حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث
وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل
اسرع و اذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم

اي ان هذه امتكم هي ملة واحدة

تعنم بغير شكره

يقنطون

ولو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم
الذي كنتم توعدون

يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي
شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر
الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في
موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فافحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم
يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت
قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وآله وسلم هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم الاية فان قلت لم قرنوا بآلهتهم
قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم
والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة
ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم
منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا
كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا
هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس الحصب المحصوب به اي يحصبون في
النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب
بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار
فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا
رضوان الله عليه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير
وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون
حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزن
من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الارض وعن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق
على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ
الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
تَصِفُونَ ۝

على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل العامل فى يوم نطوى
لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرى لا تطوى على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل و
السجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب
فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه
للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت
اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب
فيها **اول خلق** مفعول نعيد الذى يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق
كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء **فان قلت** وما اول
الخلق حتى يعيده كما بدأه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو كقولك هو اول رجل جاءنى تريد اول
الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول الخلق اول
الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اى
اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى **وعدا**
مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة **انا كنا فاعلين** اى قادرين على ان نفعل
ذلك عن الشعبى رحمه الله **زبور** داود **والذكر** التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء
والذكر ام الكتاب يعنى اللوح اى **يرثها** المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى صلوات
الله عليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هى ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها
امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم **الاشارة** الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار
والوعد والوعيد والمواعظ البالغة **والبلاغ** الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **رحمة للعالمين** لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه و
من خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر
الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون
عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله عز وجل ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث
ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال **انما** لقصر الحكم على شئ او
لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝

هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة
انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله مقصور على استيثار
الله بالوحدانية وفى قوله **فهل انتم مسلمون** ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب
ان تخلصوا التوحيد لله عز وجل وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان تكون
طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة **آذن** منقول
من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب
من الله ورسوله وقول ابن حلزة **شعر** آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم
عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه و
بين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم
جميعا بذلك **على سواء** اى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر
العصا عن لحائها **وما توعدونه** من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم
بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى
عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين فى الاسلام وما تكتمونه
فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادرى لعل تأخير هذا الموعد
امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم **الى حين** ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت
هو فيه حكمة وقرئ **قل وقال** على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه **ربنا احكم** على الاكتفاء بالكسرة
ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل وربى احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب
لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك
على مضر وقرئ **تصفون** بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين
وخذلهم قال رسول الله عليه السلام من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا
وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن **سورة الحج مكية غير ست آيات وهى هذان خصمان**
الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج
وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير
الفاعلة لها كأنها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى
فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله
تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها و
اختلف فى وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من
مغربها امر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد

لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به وروي أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تُذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتُذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وتُرى بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الأعمش سُكرى وبسُكرى بالضم وهو غريب والمعنى تراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله عز وجل هو الذي أذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فإن قلت لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع البرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات الشيطان علم من حاله وظهر وتبين

كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا

أنه من جعله وليا لم يثمر له الولاية إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمام في دين الله عز وجل إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال شعر

وإن رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستوي نهج
ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته مجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقرّهم بالنون وضم القاف من قرّ الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخره ستة أشهر أو تسعة أو سنتين

ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ

أو أبعد فكما شاء وقدر وما كونها أقرأت محتبية الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا والأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود وغير ذلك فكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجموع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ وربأت أي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر إليه أي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو أن الله هو الحق أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل تعليل للجدال وقرئ بضم الياء وفتحها فإن قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال قلت لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ

عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل الخارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري رحمه الله أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف واستعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن قلت الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه سيستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله عز وجل ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله تعالى يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليتصور في نفسه أنه إن

هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شئ شهيد الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله

فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع
الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما
كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى
السماء المطلة وليصعد عليه فليقطع الوحى ان ينزل عليه وقيل كان قوم من
المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من
النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت
وقد فسر النصر بالرزق وقيل ان معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا
بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به
صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا
يرده مرزوقا اى ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله
يهدى به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك
مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء
واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان و
واحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى
بينهم اى بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئى الجملة لزيادة
التأكيد ونحوه قول جرير شعر ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره
لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف فى باب الطاعة والانقياد
وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس
وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذى فسرته به لا يسجده بعض
الناس دون بعض والثانى ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من فى الارض من الانس
والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا انظم كثيرا فى المفردات
المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اى
ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذى هو ظاهره
الطاعة والعبادة فى حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله فى حالة واحدة
على حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو
مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من
الناس خبرا له اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله

ويجوز ان يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم
بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق
بالضم وقرئ حقا اى حق عليه العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة
لما سبق فى علمه من كفره او فسقه فقد بقى مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح
الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا
ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او
الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز
يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رض رجع الى اهل الاديان الستة فى ربهم فى
صفاته وروى ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا
قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآمنا بنبيكم وبما انزل
الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم
فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفى رواية
عن الكسائى خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير
جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك
النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم
الماء الحار عن ابن عباس رض لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب و
عن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اى اذا صب الحميم على رؤسهم فان تاثيره فى الباطن نحو تاثيره
فى الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم والمقامع السياط فى الحديث لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع
عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج
فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان
النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين
خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم
الاهلاك يحلون عن ابن عباس رضى الله عنه من حليت المراة فهى حال ولؤلؤا
بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولول كادل وبالجر ولؤلؤ وليليا بقلبهما
ياءين عن ابن عباس رض وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده و
هداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال

بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر ان يفعل ذلك في حجة الوداع **رجالا** مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس رض **وعلى كل ضامر** حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا **يأتين** صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان **من كل فج عميق** البعيد وقرأ ابن مسعود رض معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومة بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة **الايام المعلومات** ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر **البهيمة** مبهمة في كل ذات اربع في البحر والبر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمه استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود رض انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا **البائس** الذي اصابه بؤس اي شدة و**الفقير** الذي اضعفه الاعسار **قضاء التفث** قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ **وليوفوا** بتشديد الفاء **نذورهم** مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم **وليطوفوا** طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع **العتيق** القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فان قلت** قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع **قلت** ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل **ذلك** خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب

والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق

ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعمة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله **ويصدون عن سبيل الله** اي الصدود منهم مستمر دائما **للناس** اي الذين وقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحاق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه **سواء** بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان **الالحاد** العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله **بالحاد بظلم** حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما **نذقه من عذاب اليم** يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك وعن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم **وان** هي المفسرة **فان قلت** كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلت** كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة **واذن في الناس** ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا
قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق

جملة من كتابه في بعض المعاني ثم أراد الخوض في معنى آخر فقال هذا وقد كان كذا والحرمة
ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل
أن يكون عامًا في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصًا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل
فهو خير له أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ
والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه
وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام
كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئًا
كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل
الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر
باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول
أعظم الحرمات وأسبقها خطوًا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك
أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة فكأنه
قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا
شيئًا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان
وسمى الأوثان رجسًا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما
تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل
تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة
في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب من الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك
عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا
الرجس الذي هو الأوثان والزور من الزور والإزورار وهو الانحراف كما أن
الإفك من أفكه إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما
أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائمًا واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة
الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور
الإشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه
أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيهًا مركبًا فكأنه قال من أشرك بالله فقد
أهلك نفسه إهلاكًا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكًا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله

الطير فتفرق قطعًا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح
وإن كان مفرقًا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك
بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر الفاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها
تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها
عظام الأجرام حسانًا سمانًا غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون
في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه
أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنًا فنهاه عن ذلك فقال بل أهدها وأهدى رسول الله
مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن
مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها
وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه فإنها من تقوى
القلوب أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وإنما ذكرت
القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء
إلى أجل مسمى إلى أن ينحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت
فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم
وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد
الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطًا في النفع محلها إلى البيت أي وجوب
نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله هديًا بالغ الكعبة والمراد نحرها
في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريمه ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا
البلد وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك
كلها ومحلها إلى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا
لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على
النسائك وقرئ منسكًا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون
بمعنى الموضع فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالمًا أي خالصًا
لا تشوبوه بإشراك المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من
الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة

فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدفع
عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل
خوان كفور

بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل البدن جمع
بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقرة في حكم
الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه و
الا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن
ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله
والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها
الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء
فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى
بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس رضي الله
عنه دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب
فاذكروا اسم الله ان تقولوا عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون
الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد
صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافي نحو مثل
العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجبت جنوبها وقوعها على الارض من وجب
الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها
وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت
اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضي
بما عنده وبما يعطى بغير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض
بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ
ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع منّ الله على
عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها
منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون
في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي
اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة اي لن يصيب
رضاء الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم و
الدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص

اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع و
صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله
من ينصره ان الله لقوي عزيز ٥

والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية و
اوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب وان كثر ذلك
منهم وقرئ لن تنال ولكن تناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت
كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك
حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
خص المؤمنين بدفعهم ونصرتهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقال
انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك
ان الله لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون
اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم
كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى اذن ويقاتلون قرئا على لفظ
المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف
وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم
في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام
الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا الا ان يقولوا في
محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب
الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا
بالله دفع الله الناس بعضهم ببعض باظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين
بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم
فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا
للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين
وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع و
لهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معرب
اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه هو اخبار
من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الا

الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

وبسطهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمن هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا **ولله عاقبة الامور** اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم يقول لرسوله عليه السلام تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت** لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى **قلت** لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره **النكير** بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش **والخاوي** الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله **على عروشها** لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان تكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خاوية وهي على عروشها اي هي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت** ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية **قلت** الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها **والمشيد** المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله عليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم

وعطل

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين

وعطل بئرهم وخرب قصورهم ثم حثهم على ان يسافروا ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي **فانها** الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم **فان قلت** اي فائدة في ذكر الصدور **قلت** الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ **تعدون** بالتاء والياء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي **فان قلت** لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو **قلت** الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيك **وعاجزه** سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط

أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عزيز حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة

الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير
لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم
الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم
ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء
من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما
امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما
جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم
لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه
فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته
التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط
الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن
له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل صلوات الله عليه او تكلم
الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي
وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد
المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء
من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي
في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له
ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين
ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد شعر تمنى كتاب الله اول ليلة
تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى
الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله
ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية
قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين
واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم انه الحق من

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به
ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله
سميع بصير

ربك اى ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة و
ان الله لهاد الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة
حتى لا تلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا
بالتنوين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف
يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن
او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل
المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او
قيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد
بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل
حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت
التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم
تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم
المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي
من قتل فضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم
حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله
من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل هاتين
الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه
كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق
ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال
بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند
الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر
وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على
ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصرته في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه
من الباغي عليه ويجوز ان يضمن النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان
اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على
انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اى ذلك

ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى

النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه **يولج الليل في النهار** ويولج النهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه **سميع** لما يقولون **بصير** بما يفعلون **فإن قلت** ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر **قلت** تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وإن ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا وقرئ **مخضرة** أي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة **فإن قلت** هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع **فإن قلت** فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام **قلت** لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله **لطيف** واصل علمه أو فضله إلى كل شيء **خبير** بمصالح الخلق ومنافعهم **ما في الأرض** من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ **والفلك** بالرفع على الابتداء **أن تقع** كراهة أن تقع **إلا بمشيئته** **أحياكم** بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة **لكفور** لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير

الإيمان اثنين **في الأمر** في أمر الدين وقيل في أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله فلا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أي غلبته فلعلهم لم يغلبوه في المنازعة **فإن قلت** لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه **قلت** لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا **إن الله أعلم** بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين **الله يحكم بينكم** خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم **ويعبدون** ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم **المنكر** الفظيع من التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام وقرئ يعرف والمنكر **السطو** الوثب والبطش وقرئ **النار** بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر **من ذلكم** من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم **وعدها الله** استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وأن تكون حالا عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد **فإن قلت** الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا **قلت** قد سميت الصفة أو القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم وقرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول **لن** أخت لا في نفي المستقبل إلا أن لن تنفيه نفيا فيه تأكيد وتشديد وتأكيدها هنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا

ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملئكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير ه

فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله عز وجل واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس رضه انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله عز وجل على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه ترجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ه للذكر شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضه قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه رجع

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون ه

عن بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت الاضافة اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله شعر ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص وبالكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سميكم من قبل وفي هذا اى من قبل القران في سائر الكتب وفي القران اى فضلكم على الامم وسميكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية وثمان عشرة عند الكوفيين ه

بسم الله الرحمن الرحيم قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله شعر فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها

والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم
يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين

الا البر التقي دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن
قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصلي رافعا
بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو موضع سجدته وكان الرجل من العلما
اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشأن من شأن
الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى
كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض و
تغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال صلوات الله عليه
لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن رضوان الله عليه الى رجل يعبث بالحصى وهو
يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان
قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي
هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة
اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب
المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم
بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك
الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك
بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى
فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله عز وجل فجعل المزكين فاعلين
له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه
فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل
التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل
هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين
ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق
ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة
الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف
محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في
موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة
فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم
فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون

في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه غير
ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما
اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي
عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى
ما طلبت منك الا فعلك فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس
العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف
عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة
اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون
فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج
اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة و
عهدا ومنه قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم
وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي
القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء
اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز
وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على
صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان
فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك
ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام
بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في
جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي
الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين
والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة
التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم
الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله
الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى
الارث ما مر في سورة مريم عليها السلام انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان
الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيمة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق وما كنا عن الخلق غافلين

الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين
فإن قلت ما الفرق بين من ومن قلت الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأوثان فإن
قلت ما معنى جعلنا الإنسان نطفة قلت معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا
طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث
هي وأحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا
العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان
ذو عظام كثيرة خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله
حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع
باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب
حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن
غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى
البيضة فتبارك الله فتعالى أمره في قدرته وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن
للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروي أن عبد الله بن سعد بن
أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنطق بذلك قبل إملائه فقال
له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى
إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون
والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث
تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في
قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الإماتة التي هي إعدام الحيوة والبعث الذي
هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع
فإن قلت فإذا لا حيوة إلا حيوة الإنشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين
نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم
يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلثة
الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة الطرائق
السموات لأنها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله
فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق

وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب
لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين

الكواكب فيها مسيرها أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها
غافلين وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه
إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما
كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى
المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض كقوله
فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون
نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله
من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها
منافع للناس في أصناف معايشهم وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته
وقوله على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من
وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا
عليه الشيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم
غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها
بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر خص هذه الأنواع الثلثة لأنها أكرم
الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرها جامع بين
أمرين أنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا
والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون
قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها
ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال
وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة
عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة طور سيناء
وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون
وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس وكبعلبك
فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها
بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرفه لأن الألف
للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى عليه السلام
وقرأ الأعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ
تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير شعر رأيت
ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل والثاني أن مفعوله محذوف

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا

اى تنبت ملتبسا بها وفيها الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم
تنبت وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج
بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش و
صبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للايتدام وقيل هي
اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله عز وجل بالبركة في قوله توقد
من شجرة مباركة وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اى تسقيكم الانعام ومنها تأكلون
اى تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال
والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذى هو الانتفاع بذواتها والقصد
بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن
لانها سفائن البر قال ذو الرمة في شعر سفينة بر تحت خدى زمامها يريد صيدحه
غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة
افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم وخالقكم ورازقكم
وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق
العبادة في شئ ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم كقوله تعالى
وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح صلوات الله عليه او الى ما كلمهم
به من الحث على عبادة الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذى يدعى وهو بشر
انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما اعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة
ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة
متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم
وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه
ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا به جنة جنون او جن اى به جن يخبلونه
حتى حين اى احتملوه واصبروا عليه الى زمان يتجلى امره عن عاقبة فان افاق من جنونه
والا قتلتموه في نصره اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياى او انصرني
بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اى بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم
سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين
قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه
حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله عين كالئة ووحينا اى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى انه اوحى
اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروى انه قيل لنوح صلوات الله عليه اذا

عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من
القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين
ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون

رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من
التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم صلوات الله عليه وكان من حجارة فصار
الى نوح عليه السلم واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما
يلي باب كندة وكان نوح عليه السلم عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال
له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف
موضع في الارض اى اعلاه وعن علي رضوان الله عليه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه
ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول
هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في
قتائدة من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان و
الرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اى من كل امة زوجين
واثنين تأكيد وزيادة بيان جئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع
قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا
لا علي ولا لي فان قلت لم نهاهم عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم
ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة
في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة
البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهى عنه الامر
بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في
الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين و
ان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله وانت خير المنزلين
فان قلت هلا قيل فقولوا فاذا استويتم انت ومن معك لانه في معنى فاذا
استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل
النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يرتقي اليها الا ملك
او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان
الشان والقصة كنا لمبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او
مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل

وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين إن هو
إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين

مذكر قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس ويشهد له حكاية الله
قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على أثر قصة
نوح عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء فإن قلت حق أرسل أن
يعدى بإلى كأخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث فما له عدي بفي في التنزيل ومنه أخرى
كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير فأرسلنا فيهم رسولا أي
في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بإلى ولم يجعل
صلة مثله ولكن الأمة والقرية جعلت موضعا للإرسال كما قال رؤبة شعر أرسلت
فيها مصعبا ذا إقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
أن مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فإن قلت ذكر مقال قوم
هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا
لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو على تقدير سؤال السائل فما قالوا فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي
مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل
وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا
جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم أو حذف منه لدلالة
ما قبله عليه إذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون
عقولكم وتغبنون في آرائكم ثنى إنكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني
بالظرف ومخرجون خبر عن الأول أو جعل إنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبرا على
معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن إنكم أو رفع إنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط
كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن إنكم وفي قراءة ابن مسعود
أيعدكم إذا متم وفي هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون
على لفظ الوقف فإن قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات
كما ارتفع في قوله شعر فهيهات هيهات العقيق وأهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج
في تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر
وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد
كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما
يتلوه من بيانه وأصله إن الحيوة إلا حيوتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لأن
الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت
والمعنى لا حيوة إلا هذه الحيوة لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة

فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا
وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين إلى

على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا أي يموت
بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هو إلا مفتر على
الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين
قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه
عن قريب وما توكيد معنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل صلوات الله عليه
صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من
الله من قولك فلان يقضي بالحق إذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم
بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى
فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس شعر من السيل والغثاء
فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهي
من جملة المصادر التي قال سيبويه نصب بأفعال لا يستعمل إظهارها ومعنى بعدا
بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا للقوم الظالمين
بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني إسرائيل أجلها الوقت الذي حد لهلاكها
وكتب تترى فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين
والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد أضاف الرسل إليه وإلى أممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات لأن الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس
المرسل والمرسل إليه جميعا فأتبعنا الأمم والقرون بعضهم بعضا في الإهلاك
وجعلناهم أخبارا يسمر بها ويتعجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث
ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكون جمعا للأحدوثة التي
هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا
وهو المراد ههنا فإن قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز أن يراد العصا
لأنها كانت أم آيات موسى صلوات الله عليه وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى
من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما
بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست
بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال
ويجوز أن يراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين أو
فرعون علا في الأرض لا يريدون علوا في الأرض أو متطاولين على الناس قاهرين

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ۝

بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فإما ترين من البشر ومثل وغيره لم يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم ومن الأرض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقومهما يعني بني إسرائيل كأنهم يعبدونهما خضوعا وتذللا أو لأنه كان يدعي الألهية فادعى للناس العبادة وإن طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب أي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم إلى فرعون وملائه لأن التورية إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فإن قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لأن مريم عليها السلام ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله صلوات الله عليه ألقي إليها وقد تكلم في المهد فكان يحيي الموتى مع معجزات أخر فكان آية من وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة قيل هي إيليا أرض بيت المقدس وإنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب قيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه و

يشهد

أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ۝

يشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم عليهما السلام إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى لأن وأن مخففة من الثقيلة وأمتكم مرفوعة معهما وقرئ زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعير من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال شعر كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضوان الله عليه في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي واستجرارا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين بل استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير فإن قلت أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الله به كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس يؤتون ما آتوا يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها

ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك
هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي
تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول
أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون

ويعجلونها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين
وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس
لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز أن
يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله شعر أنت لها أحمد من بين
البشر يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة
وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه
في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما
هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن الله عز
وجل لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد
أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا
نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من
هذا أي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم أعمال متجاوزة متخطية
لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها
حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية
والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط
حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد الجؤار الصراخ باستغاثة
قال جأر ساعات النيام لربه أي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم
منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة
قالوا الضمير في به للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم
والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم
ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه ذكر لأنها في معنى كتابي ومعنى
استكبارهم تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يحدث
لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أي
تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون و
كانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا أو شعرا وسب رسول الله عليه السلام
أو يهجرون والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون
وتهجرون من أهجر في منطقه إذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو
مبالغة في هجر إذا هذى والهجر الهذيان القول القرآن يقول أفلم تدبروا

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم
خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين

ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك
أنكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند
تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم
حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم إسمعيل وأعقابه من
عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما
كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد
بن خزيمة ولا تميم بن مر فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا
في أن تبعا كان مسلما وروي أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود
عليهما السلام أم لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه
وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب في
نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه
بريء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم
وأهواءهم ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا
إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر فإن قلت
قوله وأكثرهم فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك
الإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا
كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه
قلت يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى
تشتهر إسلام حمزة والعباس ويخفى إسلام أبي طالب دل بهذا على عظم شأن الحق وأن
السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب
ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد وهو الإسلام
لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة
أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان
إلها ولكان شيطانا ولما قدر على أن يمسك السموات والأرض بذكرهم أي بالكتاب
الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو
أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم وقرئ خرجا فخراج
وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل
من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه

وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون

أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فإن قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فإن قلت هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون لأن المعنى محناهم فما وجدت

وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل

منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا إنما خص السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أبصارهم وأسماعهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند وشريك أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ذرأكم وبثكم بالتناسل وإليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة شعر: إني وأسطار سطرن سطرا. وهو ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق أي أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهلهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ أتيتهم وأتيناهم بالفتح والضم بالحق بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل إله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة

عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين و
اعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة
هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة
من المشركين **عما يصفون** من الانداد والاولاد **عالم الغيب** بالجر صفة لله
وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني
ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم
عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره ا في حيوته ام بعد موته فامره
ان يدعو بهذا الدعاء **فان قلت** كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع
الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم **قلت** يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله
وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا
له واستغفاره صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة
مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه
خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ ترئنهم بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن
الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار
كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر
على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة
لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم
ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن
عباس رض هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام
يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف و
قيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروة **بما
يصفون** بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم
والله **اعلم** بذلك منك واقدر على جزائهم **الهمز** النخس والهمزات جمع المرة منه
ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم
عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الازّ في قوله تؤزهم
ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من
ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة
عند النزع **حتى** يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية
فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على

ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانتم لكاذبون
خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله **شعر** فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله **شعر** الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر
ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة
وقال **لعلي اعمل صالحا** في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد واسس اسا وابني عليه وقيل
فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا
نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر
فيقول رب ارجعون **كلا** ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة
الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت
هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم
او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه **ومن ورائهم برزخ** والضمير للجماعة
اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة
الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن
فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون
معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا بالاعمال فتلغو
الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين
الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود
ولا يتساءلون بادغام التاء في السين **فان قلت** قد ناقض هذا ونحو قوله ولا
يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم
كيف التوفيق بينهما **قلت** فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي
بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند
النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس رض
الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن
وقدر عند الله عز وجل من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا **في جهنم خالدون**
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر
بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف **تلفح** تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح

وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا
منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا
أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين

وأجلاه لأن اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمر عن الأسنان
كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر
في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط
رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون غلبت علينا
ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا إذا أخذه منك وامتلكه وشقاوتنا
سوء العاقبة التي علم الله أنا نستحقها بسوء أعمالنا وقرئ شقوتنا وشقاوتنا
بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما ينزجر الكلاب
إذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فإنه
لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضي الله
عنه أن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا
فيجابون حق القول مني فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم
بأنه إذا دعي الله فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ماكثون
فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا ربنا أخرجنا
نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا
فيها إنه في حرف أبي أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه سخريا بالضم والكسر مصدر
سخر كالسخر إلا أن في ياء النسبة زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص
وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية أي
تسخروهم واستعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل
هم أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى أنسوكم
بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه أي تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي
وقرئ أنهم بالفتح والكسر استئنافا أي قد فازوا واختص بالجزاء والضمير هم
الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف أهل
الكوفة وقل في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله أو المأمور
بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار استقصروا مدة
لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستطيل
أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها أو لأنهم كانوا في سرور وأيام
السرور قصار أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن وتصديقهم الله في مقالهم لسني لبثهم في

المنقضي

الدنيا

قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا
ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند
ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم
وأنت خير الراحمين

الدنيا وبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين والمعنى لا نعرف
من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه
من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر
أن يلقي إليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون
أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ
العاديين أي القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف من دونهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا
حال أي عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم
تدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء
وأنكم إلينا لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على
عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق
له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف
العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال
بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان
له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد
لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يكون عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن
إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه
حسابه عدم الفلاح والأصل أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من
يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة
السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين
الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي
أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ
بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل
القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا
ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن
دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر تمت السورة بعون الله وحسن توفيقه

أن يقوم عليه برهان بجوازه

وأكرمنا

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف انزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكان في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال

له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة لا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وفي العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصهم بالمؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والتخبث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان

خلاف صفتها وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة
المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب
فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية و
رغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما
فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة
وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف
بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من
عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء
المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت وعن عائشة
ان الرجل اذا زنا بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه
ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا
في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية
لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله
وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب **فان قلت** اي فرق
بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية **قلت** معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في
العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن
للزناة وهما معنيان مختلفان **فان قلت** قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم
عليها ثانيا **قلت** سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي
منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن
فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل
اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ وآكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ
من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن
ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف
يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات
عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان
والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ المحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن

الزاني

الزاني يا ابن الزانية ويا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول
يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه
التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز
ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف
خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين
وشهداء صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت** الواجب عند ابي حنيفة
واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي
يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم
قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي **فان قلت** كيف يجلد القاذف **قلت** كما جلد
الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة
ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزاني ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب
القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض
وردعا عن هتكها **فان قلت** فاذا لم يكن المقذوف محصنا **قلت** يعزر القاذف ولا
يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف
متعلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت
شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء
وعند الشافعي يتعلق رد الشهادة بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع
عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط
الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة
عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله **واولئك هم الفاسقون** كلاما
مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء
الجملة الشرطية و**الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى
فان الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد
الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا
بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان
يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلث بمجموعهن
جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا من القذف واصلحوا فان الله
يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت** الكافر يقذف

فيتوب عن الكفر فيقبل شهادته بالإجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل
شهادته عند أبي حنيفة كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام قلت المسلمون
لا يعبأون بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف
الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا
وكفا عن إلحاق الشنار فإن قلت هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حد القذف قلت
لهما ذلك قبل أن تشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب إلى أن لا يرافع القاذف ولا
يطالبه بالحد ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا
لم يصح أن يصالح عليه بمال فإن قلت هل يورث الحد قلت عند أبي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام
الحد لا يورث ويورث عند الشافعي وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل
نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة قاذف امرأته إذا كان
مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان
بينهما إذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين وإذا كان
الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبيات وما لم ترفعه
إلى الإمام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها
به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم
تقول في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي
يقام الرجل قائما حتى تشهد المرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الإمام
من يضع يده على فيه ويقول له إني أخاف إن لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان
بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة
وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد الحرام لقوله تعالى إنما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند
أبي حنيفة وأصحابه إلا عند زفر فإن الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة أصلا
وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة
ومحمد ولا يتأبد حكمها فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها و
عند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما
مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال جعلني الله فداك

ان

إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم

إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وإن ضربه بالسيف
قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي
خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا
فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري ألغيرة أدركته
أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن
بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عند قوله وقولها أن لعنة الله عليه أن غضب الله عليها
آمين وقال القوم آمين وقال لها إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من
غضب الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى
السواد فهو لشريك وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت
به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الأيمان لكان لي
ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل
ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة
أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ
أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على
فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فإن قلت لم خص الملاعنة
بأن تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها
ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم أهون عليك
من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب
مسكوت عنه أبلغ من منطوق به الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان
لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما
أفك به على عائشة والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا
اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح
بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولى
عبد الله لإمعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا
إلى الغميزة أي يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على
مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لأن معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان مر
بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه
ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله

لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم

هو خير لكم لمن ساء ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متاملها **بانفسهم** اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير **هذا افك مبين** هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا **عند الله** اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف من غير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المؤمنين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله **لولا** الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض **اذ** ظرف لمسكم او لافضتم **تلقونه** ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة وعن

يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة

سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ بحرف ابن مسعود **فان قلت** ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم **قلت** معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم الله بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم **فان قلت** كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم **قلت** للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها **فان قلت** فاي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا **قلت** الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم **فان قلت** فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا **قلت** معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق و **سبحانك** للتعجب من عظم الامر **فان قلت** ما معنى التعجب في كلمة التسبيح **قلت** الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر استعماله في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة **فان قلت** كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة **قلت** لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه و ابدا ما داموا احياء مكلفين و **ان كنتم مؤمنين** فيه تهييج لهم ليتعظوا او تذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح **ويبين الله لكم الايات** على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى

والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم

كبره منهم **والله يعلم** ما في القلوب من الاسرار والضمائر **وانتم لا تعلمون** يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب بالرؤف والرحيم **الفحشاء** والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب شعر ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها **والمنكر** ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو **سميع** لقولهم **عليم** بضمائرهم واخلاصهم **هو من ايتلى** اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان ولا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم **الغافلات** السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال شعر ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء يطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء **والحق** بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وان الله يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك **ان الله هو الحق المبين** فاوجز

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ٥

في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم عليها السلام بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وحرمة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال شعر قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه اي **الخبيثات** من القول تقال او تعد **للخبيثين** من الرجال والنساء **والخبيثون** منهم يتعرضون **للخبيثات** من القول وكذلك **الطيبات والطيبون** و**اولئك** اشارة الى الطيبين وانهم **مبرؤن مما يقول الخبيثون** من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها من النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبرئيل عليه الصلوة والسلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان

فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم

الوحى لينزل عليه فى اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه فى لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما **تستأنسوا** فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى ان يكون من الاستيناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشئ اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة

شعر على مستأنس وحد

ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابى ايوب الانصارى قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال ان يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح ويؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابى موسى الاشعرى انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم أادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أألج فقال عليه السلم لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولى له يقول السلم عليكم أادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة وقد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت فى بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعية وفى قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفى رواية ابى حتى تستأذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفى الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وآله أأستأذن على امى قال نعم قال ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن **لعلكم تذكرون** اى انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به فى باب

وليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن

الاستيذان يحتمل **فان لم تجدوا فيها احدا** من الآذنين **فلا تدخلوها** واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التى يطويها الناس فى العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف فى ملك غيرك فلا بد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب **ارجعوا** اى لا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابى عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فان قلت** هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم **قلت** بعد ان جزم النهى عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة فى كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن **فان قلت** فاذا عرض فى دار امر من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره **قلت** ذلك مستثنى بالدليل اى الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه واستثنى من البيوت التى يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهى الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشرى والبيع وروى ان ابا بكر الصديق قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية فى الاستيذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة ومن للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه **فان قلت** كيف دخلت فى غض البصر دون حفظ الفروج **قلت** دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها فى احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق عليك وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا الى ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز ان يراد مع حفظها من الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما فى القرآن من حفظ الفرج

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ
أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥

نهوا عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه **خبير** باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون
ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه
على تقوى وحذر في كل حركة وسكون **النساء** مأمورات ايضا بغض الابصار ولا يحل
للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا
ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه
حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة فاقبل ابن ام
مكتوم وذلك بعد ان امر بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس اعمى لا يبصرنا
فقال أفعميا وان انتما ألستما تبصرانه **فان قلت** لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج **قلت**
لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس
منه **الزينة** ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة
والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة
والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر لغير هؤلاء
وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها
ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها
لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا
على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها **فان قلت** ما تقول
في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها **قلت** نعم **فان قلت** أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم
النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي تحت السرة **قلت**
الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز
النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف
لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه **فان قلت** ما المراد بموقع
الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه **قلت** الصحيح انه العضو كله كما
فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب
بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة
والخضاب بالحناء **فان قلت** لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة **قلت** لان سترها فيه حرج
فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا
في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخصوصا
الفقيرات منهن وهذا معنى قوله **الا ما ظهر منها** يعني الا ما جرت العادة والجبلة على

ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين
به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في
الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب
وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان
يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها
على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا
من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة
فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا
غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن
ابن عباس رض الظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر
والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث
جميعا عن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني
في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان
المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون
بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معوية
أترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم
وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم **فان قلت** روي انه اهدي للنبي صلى الله
عليه وآله خصي فقبله **قلت** لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله
ليعتقه او لسبب من الاسباب **الاربة** الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم
ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا
ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلا **لم يظهروا** اما من
ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان
اذا قوي عليه وظهر على القرآن اي اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات
وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال **قلت** سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا
يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا
العم والخال وابناؤهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره
لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك ان النهى عن اظهار مواضع الحلى ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة **فان قلت** قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما قال العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها **الايامى** واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال شعر ان تنكحى انكح وان تتايمى وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة سوء الكرم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب فى حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلم من احب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وآله اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم منى ثلثى دينه وعنه عليه السلم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر بكم الامم والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبى صلى الله عليه وآله اذا اتى على امتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفى الحديث يأتى على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد فى الاثرة والمودة فكانوا مظنة التوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغى ان تكون شريطة الله غير منتسية فى الموعد ونظائره وهى مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

الزنى من الابل الهالكة هزالا والذى تعش الفاتر ونهض من غترته والبكر المرأة التى ولدت بطنا واحدا وبكرها ولدها الذكر والانثى فيه سواء والبكر العذراء ايضا والازر المصيبة والجمع الازرار وزرأت الرجل اذا رزئته ورزئته اذا اصبت منه خيرا ما كان يقال ما زرأته ماله وما زرئته ماله اى ما نقصته وارزئه الشى انتقص ...

فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شئ ففنى واصبح مسكينا وعن النبى صلى الله عليه وآله التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليه السلم عليك بالباءة وعن عمر عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت فى اول امرى على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما ولد لى الثانى زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله على الخير صبا فاصبحت الى ما ترى **والله واسع** اى غنى ذو سعة لا يرزأه اغناء الخلائق ولكنه **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وليستعفف** وليجتهد فى العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه **لا يجدون نكاحا** اى استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله** ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم فى استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه **والذين يبتغون** مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداه عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك ان تفى بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابى حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عنده على مال قليل وكثير وعلى خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذى هو فى الاصل له وهذا الامر للندب عند العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود **خيرا** قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرنى ان آكل غسالة ايدى

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ

الناس وآتوهم أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه فإن قلت هل يحل للمولى إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى لما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو إيجاب على الموالي أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا وعن علي عليه السلام يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة على وجه الندب وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي والبغاء مصدر البغي فإن قلت لم أقحم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وأمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم أو لهن أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فإن قلت لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة قلت لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني عائشة وموعظة ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في

دين الله لولا إذ سمعتموه ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا نظير قوله تعالى الله نور السماوات والأرض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السماوات والأرض وصاحب نور السماوات ونور السماوات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض وإما أن يراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به مثل نوره أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة أي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم صلى الله عليه وعليهم ومن ثم قال عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار نور على نور أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي عليه السلام الله نور السماوات والأرض أي نشر فيهما الحق وبثه فأضاءتا بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب إلى الدر أي أبيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودري كالسكينة عن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما
عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج

والفعل الزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقّد بالتشديد ويوقّد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو قريب ويمسسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت يتعلق بما قبله أي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسويها وإذ يرفع إبرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وأن يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشها والآصال جمع أصل وهو العشي بالغدو أي بالغدوات وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل يقال آصل كأظهر وأعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يشتري للربح فإما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذاك مظنون وإما أن يسمى الشراء تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما يقال رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لأهل الجلب تجر فلان في كذا إذا جلبه التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه شعر
وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا تتقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر أحسن ما عملوا أي أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل إما تفضل وإما ثواب وإما عوض والله يرزق ما يتفضل بغير حساب فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه

ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك
السموات والأرض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل
من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار

ماء يجري والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار ونحوه بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم البحر وفي أخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة شعر إذا
تغير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح أي لم يقرب من البراح فما بال البراح شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يولّه نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى صافات يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أن يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للإتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالأبصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه

يُقَلِّبُ اللّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ

وانه سخّر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر فيه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصّر وتدبّر **فان قلت** متى راى رسول الله صلى الله عليه وآله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل الم تر **قلت** علمه على جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى ومن الثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال **فان قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت** فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلّب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدابة كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم **فان قلت** لم نكّر الماء في قوله من ماء **قلت** لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص هو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فان قلت** فما باله معرّفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي **قلت** قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه **فان قلت** لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب **قلت** قدّم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان قلت** لم سمّي الزحف على البطن مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين **وما اولئك بالمؤمنين** اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

يرتابوا ومعنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

فلستُ لِقِبْلِيٍّ ولكن لمُلأَكٍ ... تَنَزَّلَ من جوِّ السماء يَصُوبُ (سقط من النسخة)

غلسته قبل القطا وفرّطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجرّه الى رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب عليه السلام خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي اتى وجاء قد جاء مسرعين بالحاء ويتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدّم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المرّ والعدل البحت يزورّون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما كان لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله **بل اولئك هم الظالمون** اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف و**ان يقولوا** اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فان قلت** الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا قرئ **ويتقه** بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبّه تقه بكتف فخفف كقوله **شعر** قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها **ومن يطع الله** في فرائضه ورسوله في سننه **ويخش الله** على ما مضى من ذنوبه **ويتقه** فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية **جهد** يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم **وطاعة معروفة** خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون

لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم

بأيمانا بالقول دون الفعل وطاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة إن الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج من الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلوة والسلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة من بعدي ثلثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فإن قلت أين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم فإن قلت ما محل يعبدونني قلت إن جعلته استينافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وإن جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فإن قلت هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين قلت أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم وأقيموا الصلوة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف

ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم

المعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكأن الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانا لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد المقيمون حيث أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستيذان في كل وقت لأدى إلى الحرج وروي أن مدلج بن عمرو كان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الظهيرة إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وآله فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن أبي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات أي أوقات ثلث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل فإن قلت ما محل ليس عليكم قلت إذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان وإذا نصبته لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستيذان في تلك الأحوال خاصة فإن قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الأطفال منكم أي من الأحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في

والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن
خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او
بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم
او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا

العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا
السن التى يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا
فى جميع الاوقات كالرجال الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه فى
غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن و
انى لآمر جاريتى ان تستاذن علىّ وسأله عطاء استاذن على اختى قال نعم وان كانت فى حجرك
تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله
اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على
آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبى ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله
المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة لا والله ما هى منسوخة ولكن الناس تهاونوا
بها فان قلت ما السن التى يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثمانى عشرة سنة فى الغلام و
سبع عشرة فى الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن على عليه السلام انه كان يعتبر القامة ويقدره
بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق فى قوله شعر ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمن انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره القاعد التى قعدت
عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة
والجلباب الذى فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التى
ارادها فى قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف
اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه تعالى على
اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم
فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء
عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه اختص
بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج
وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم
والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة فى ذلك
وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج
فى ذلك وعن عكرمة كانت الانصار فى انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا
وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدى الى الكراهة من قبلهم ولان
الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين أكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه ويأخذ
اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذى او جرح يبض او انف يذن ونحو

ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح
ويأذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا
وخلف مالك بن زيد فى بيته وماله فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا
عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج
فى القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فى ان كل
واحدة منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج
مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم
الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه
وحكمه حكم نفسه وفى الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من
بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات
فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذى هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او
ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه
ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد
لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق
يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة
من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون
فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يعنى كبراء الصحابة ومن
لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ
ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان
جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس
الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح
وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه فى الاكل منه جميعا او اشتاتا
اى مجتمعين او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد
منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف
لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على
بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدأوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة
تحية من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة
للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله
إن الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن
لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل

الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين وروى تسع سنين
فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه
فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى
لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى
فإنها صلوة الأبرار الأوابين وقالوا إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لأنها في
معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وآله بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه
ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير
الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه
بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة
الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه
لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استيذانهم بمشيته
وإذنه لمن استصوب أن يأذن له والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الأمر بالجامع
على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو
تماسح في حلف وغير ذلك والأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه وقرئ أمر جميع وفي قوله إذا كانوا معه
على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه
ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه
ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس
الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين
دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر
الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين
والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر في الإذن مفوض
إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه إذا احتاج رسول الله صلى الله
عليه وآله إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي ولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم
بعضا ويناديه باسمه الذي سماه أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع

الوجه

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا
٧٣
ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء
فقدره تقديرا

التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما
يدعو صغيركم وكبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فإن دعوات رسول
الله عليه السلام مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ
الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن
فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه
ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه ومعنى
الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول والضمير
في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم
من عذاب أليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد
يسلط عليهم سلطان جائر أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع
توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في
خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله شعر فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود ونحوه
قول زهير شعر أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى أن جميع ما
في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون
في سترها عن العيون وإخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم
حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكون جميعا
للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله
أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد
كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة الخير وزيادته
ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه
لم ينزل جملة واحدة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا
فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق
وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل
إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين
للجن والإنس نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف
كان عذابي ونذر الذي له رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه فإن قلت

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتريه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما وقالوا ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال
الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ٥

كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته
نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به فإن قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى
قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كأنه قيل وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى أنه
أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه
خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة
به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة
الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه أو سمي إحداث
الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله
كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل
شيء فقدره في إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء
إلى أمد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون
إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون
على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم
يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون أي لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر أو جلب
نفع وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد
كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس
مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن
الحارث بن عبد الدار جاؤا وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما
كما يقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي
الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه
أساطير الأولين ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة
كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه
لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب
بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب
كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن
كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فإن قلت كيف قيل اكتتبها
فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها وطلبه
فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء
على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم فإنما يستقيم

انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا
من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا ٥

أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله شعر أفرح أن أرزأ
الكرام وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر
الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته ما
تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمور رسول
الله صلى الله عليه وآله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فإن
قلت كيف طابق قوله إنه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل
على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا
بمكابرتهم هذه أن تصب عليهم العذاب صبا لكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير
وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه
رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله
مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب
أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى أن يكون إنسانا معه
ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا
بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا
له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به
في دنياهم ومعاشهم وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فإن قلت ما وجه الرفع و
النصب في فيكون قلت النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف
على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا
يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر
بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله أو
ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك
فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه تبارك الذي
إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور
وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله شعر وإن أتاه
خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في يجعلك إذا أدغمت أن يكون اللام في تقدير الجزم و
الرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب

اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم نحشرهم
وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان تتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا
الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار
وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تترا آى اي تتناظر ومن قوله عليه السلم لا تترا آى
نارا هما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت
غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا
على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة
بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا
ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون تراصا
كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون
في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم
الاصفاد الثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا
تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا
انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور
لشدته وفظاعته ولانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع الى الموصولين
محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في
تحققه كأنه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح
الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم
الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف
بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة ولذلك ذكر المصير مع ذكر
الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك
انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملئكة في دعواتهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون
يريد المعبودين من الملئكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما
لهم جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم
بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم
من لما يعقل او اريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد
تعني طويل او قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل ءاضللتم عبادي

هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب
وانما هو عن متوليه فلابد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤل عنه فان قلت فالله
سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت
عبدتهم بتكذيبهم فيبهتوا ويتخاذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه
ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك ولتكون حكاية ذلك في القرآن لطفا
للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه
ءانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين
ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي
حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت
الملئكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم
لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتع
بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله
الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت
اضللتهم والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله
وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط
في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء
معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون
المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد
ان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان
نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولوا دونك وما كان ينبغي لنا ان نكون امثال
الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني
اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى
ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو
من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين
فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من
حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرايع
والبوار الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجاة

ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في
انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا الملك يومئذ

بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله
عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل **شعر** قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم
القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ تقولون بالتاء والياء يعني من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم
آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الياء مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل
كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك
كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف
العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما تستطيع
آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون نذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة
لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما
حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام على
معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ
يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في
الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وآله على ما قالوا واستبعدوا
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي و
موجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم و
بمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر
الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم
فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمة ومشيئة
يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان
لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من
يطيعك خالصة لوجه الله من غير مطمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن مغيرة والعاص بن وائل
ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا

بالسابقة فهموا فتنان بعضهم ببعض اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا
بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا يرجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه
بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملئكة فيخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه
او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملئكة
الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين
بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما
فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه
انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا
كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير
فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القائل **شعر**
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على
التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا
بواؤها كليب يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملئكة
يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملئكة ثم
قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد
تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال
متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو
موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل
أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه
فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل وفعل في قراءة الحسن تصرف فيه
لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز **شعر**
قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر
فما معنى وصفه بمحجور قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل
الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملئكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم
عند الموت ويوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند
رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملئكة ومعناه
حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما
يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٥

وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارم محاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم على اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عينا او الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبههم بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركت الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله ماؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسؤ ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين وقرى تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملئكة ينزلون وفي ايديهم صحايف الاعمال وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملئكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة وقرى ننزل الملئكة وننزل وتنزل الملائكة ونزلت الملئكة وانزل الملئكة ونزل الملئكة ونزل الملئكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه واله وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه السلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق

بالشهادتين

بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه واله لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا عليه السلم بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره وتمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى اواراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرى يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القران او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول عليه السلم ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت تراء على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه واله وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا للنصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه واله من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا كقوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق و

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال

تجافيهم عن آياتنا عن قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلثة وما له
أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن
أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة ومفرقا وقوله **كذلك** جواب لهم أي كذلك
أنزل مفرقا والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه
على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه
والرسول صلى الله عليه وآله فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب
وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في
ثلث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه
ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا **فإن قلت** ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء
تقدمه والذي تقدمه هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا **قلت** لأن قولهم
لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا
بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين
لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل عليه جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى
يقدروا على جملته **ورتلناه** معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن
قدره آية بعد آية ووقفة بعد وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل
القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو أراد
السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله الترتيل في الأسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ورتل
تشبيه بنور الأقحوان في تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة
وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة **ولا يأتونك** بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه
مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم
ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا هذا الكلام كيت وكيت
كما بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك
نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل
شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته
مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون
مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم
أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد

الدار

ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها

الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي
وعن النبي صلى الله عليه وآله يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على
وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا **الوزارة** لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد
أنبياء ويؤمرون بأن يؤازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك
البحر فانفلق أي فضرب فانفلق أراد استحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم ثم تدميرا
فدمرانهم وقرئ فدمرا بهم على التأكيد بالنون الثقيلة كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو
كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة **وجعلناهم** وجعلنا
إغراقهم أو قصتهم للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم
فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم أو على تأويل الظالمين
أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم
إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت
بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل
هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان عليه السلام كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد
فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود و
الرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي
دسوه فيها **بين ذلك** أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب
الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود **ضربنا له
الأمثال** بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء و
أجري عليهم من عذاب الله وتدميره **والتتبير** هو التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة
والزجاج **وكلا** الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه
فارغ له أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت واحدة
ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت
بالحجارة من السماء **أفلم يكونوا** في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون **بل كانوا**
قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون **نشورا** وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة
من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية **إن** الأولى نافية والثانية مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه **هزوا** أي استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزء أو
مهزوءا به **أهذا** محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا إخراج في معرض التسليم

وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هويه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا
من السماء ماء طهورا

والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزءوا لقالوا اهذا الذي زعم او
ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله
صلى الله عليه وآله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات
والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم و
استمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى
التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال
ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد
ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو
ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في
كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول
لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره
على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت ام ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما
انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به
واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من
التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون
الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة
ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم
المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر
قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت
كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من
يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدو لهم
ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار و
المهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى
ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا
اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل
وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس
وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه الينا انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي

هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها
لبيان تفاضل الامور الثلثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها
في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة
المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها عليها فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو
شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص
ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه
وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه
وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام
الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يا باه اباء العيوف الورد
وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب
بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنياوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت
والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر وقرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا
تخفيف بشر وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته
وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة
كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء
والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر و
الاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا
حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله لا صلاة الا بطهور اي بطهارة فان قلت ما الذي
يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلثة
او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد
اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله صلى الله عليه وآله حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا
ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا
لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ
نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان ونحوه
ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء

لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا
وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا
يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا اه

أفاعيل كقولك أناعيم **فإن قلت** إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش **قلت** لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربأوا بأنفسهم من مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم **فإن قلت** لم خص الأنعام من بين الحيوان الشارب **قلت** لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم **فإن قلت** فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة **قلت** معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي الماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء **فإن قلت** لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي **قلت** لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في هذا القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير **فإن قلت** هل يكفر من ينسب المطر إلى الأنواء **قلت** إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر بها يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله **ولو شئنا** لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى **لبعثنا في كل قرية** نبيا ينذرها وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر **فلا تطع الكافرين** فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم الضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق

قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وتوكل على
الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا اه

العظام ويجوز أن يرجع الضمير في **به** إلى ما دل عليه **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا** من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال **وجاهدهم** بسبب كونك نذير كافة القرى **جهادا كبيرا** جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج **برزخا** حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا **فإن قلت** وحجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة أراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى **وكان ربك قديرا** حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى **الظهير** كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم مثال **إلا من شاء** والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين إحداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب الثواب والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين

الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما

يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراد ان ليس
اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في
مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف
سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى
للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما
هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك
انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن
ذلك تقدير الملائكة الذين هم على النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا
والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بداعي
الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب وحكمة هو كونه تيما وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك
وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت
وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن
خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسئل والباء في به
صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل
به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه وصلة خبيرا و
يجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله
خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل
عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل
بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا
الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن
المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه
لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما
تأمرنا اي للذي تأمرنا بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان قال
بعضهم لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن وما نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا
للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور

العالية

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها
ساءت مستقرا ومقاما

العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي
جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء
حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان شعر بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة
من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل
والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر
فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته
ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في
احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان
له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر
السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون
خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ
يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع
الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله عليه السلام
المؤمنون هينون لينون وفي المثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض
العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم
ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء
الرعة من قوله شعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها
آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة
والشرع واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا
من القرآن في الصلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء
والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا و
خسرانا ملحا لازما قال شعر ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب

يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالى ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم تفسيره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال وتمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة ووصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه واله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فاما فى القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما فى هذه الاية فقال لابنه يا بنى أهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر كفى سرفا ان لا يشتهى رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشئ يقال انت قوامنا بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعنى بين ذلك وقواما جاز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله شعر لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة وليس بالخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة حرم الله اى حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله اندادا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اى

قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله وقرئ اثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال شعر جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرئ ابن مسعود اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله شعر متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ يضعف ونضعف بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل الله مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده ومكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واى مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليهما اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغى ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفى للخرور وانما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعين باذان واعية ومبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا

من يذكرها ومظهر بن الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان لا يعونها ولا يتبصرون كما فيها كالمنافقين واشباههم وقرئ **ذريتنا وذرياتنا** وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ اقر لعين المؤمن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم **اماما** اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد اجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع ام كصائم وصيام او ارادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة **فان قلت** من في قوله من ازواجنا ما هي **قلت** يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان يكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **فان قلت** لم قال قرة اعين فنكر وقلل **قلت** اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قال اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعيننا انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد **يجزون الغرفات** وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة **بما صبروا** بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ ويلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلقى اثاما **التحية** دعاء بالتعمير **والسلم** دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليهم او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك ولما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم اثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم وامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عنده انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به ولولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عباء علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية **فقد**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ

كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي **فسوف** يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة **فان قلت** الى من يتوجه هذا الخطاب **قلت** الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب **لزاما** وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها **الكتاب المبين** الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين **البخع** ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح **ولعل** للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **ان لا يكونوا مؤمنين** لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد انه ملجئهم الى الايمان قاسرهم عليه **فظلت** معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم **فان قلت** كيف صح مجئ خاضعين خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال **شعر** في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به **فان قلت** كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له **فسيأتيهم** وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة

وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض
كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك
موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون

ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية
عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في
بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال شعر
حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما
يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد
علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم ان ربك لهو العزيز في انتقامه من
الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من
زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر
مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم
قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع
اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا
بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان
غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي
الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيوب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال لآيات
قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لآية اي آية
وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير سجل عليهم بالظلم
بان قدم القوم الظالمين ثم عطف عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون
وكانهما عباراتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر
عنهم بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن
جهة ظلمهم لبني اسرائيل استعبادهم لهم قرئ الا يتقون بمعنى الا يتقونني فحذف النون لاجتماع النونين
والياء اكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله
اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلم من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن
امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين
اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من
ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه
قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي
من الناس فان قلت ما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلم في وقت المناجاة
والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم

والقائه

والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة
التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها
وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا
ويضيق ولا ينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق
بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق
اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي
جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز
تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان
زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز
ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي منه ويجوز ان لا يكون
مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال
وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا
ومعنى فارسل الى هرون فارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا
كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما
يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل
بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الزام الحجة عليهم
فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يأمره الله بامر فلا يتقبله
بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس
من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه
ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا
بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز
فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به
فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون
تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع
للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده
من كلمة الردع والوعد بالكلاءة والدفع جمع الله الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه
بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب

فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون

أنت وأخوك الذي طلبته وهو هرون فإن قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل
عليه كلا كأنه يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما
وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم
لغوا فإن قلت لم جعل مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة
بأنه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء
والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن
فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى إليه وأدركه بحاسة
السمع ومنه قوله صلى الله عليه وآله من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم
فإن قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله إنا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز
التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور
قال شعر ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة
قوله شعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول ويجوز أن يوحد
لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما
واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا أن أرسل بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول
معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن افعل كذا لما في الإرسال من معنى القول كما في المناداة
والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل البازي يريد خلهم
يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا
نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال ألم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له
ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقربه من
الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز
القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك
بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت
وكزة واحدة عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازهم
وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يجوز أن يكون
حالا أي قتلته وأنت لذلك من الكافرين بنعمتي أو وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد
افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية فإن الله عز وعلا عاصم من يريد أن يستنبئه
من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين بالنعم

ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين بفرعون و
إلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك
قوله تعالى ويذرك وآلهتك فأجابه موسى عليه السلم بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من
الضالين أي الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي
الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو
من المخطئين كمن يقتل نفسا خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من
قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه
وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة
ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا
نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب
في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم و
اتخاذهم عبيدا قال شعر علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان
فإن قلت إذن جزاء وجواب معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون
وفعلت فعلتك فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك
تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء فإن قلت لم جمع الضمير
في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن
ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك
التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى
خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك
ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك
بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي
لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم
أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين
وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها
فأجاب بما يستدل عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام
والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وإما أن يريد أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا
عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته وصفاته
استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول
فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل

قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال
لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا
هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا
تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين

عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الربوبية فلما أجاب
موسى بما أجاب عجّب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز
به واحتدم وقال لئن اتخذت إلهاً غيري وهذا يدل على صحة الوجه الأخير فإن قلت كيف
قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع قلت أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما
فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين عن
فرعون وملائه الإيقان قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة
دليله فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور
وكانت للملوك خاصة فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق
كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم أولاً ثم خصص
من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما
شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده
إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر
على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى
الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي
كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت ألم يكن لأسجننك
أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤدياً مؤداه قلت أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه
فلا لأن معناه لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ
من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع
فكان ذلك أشد من القتل وأشد الواو في قوله أولو جئتك واو الحال دخلت عليها
همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جائياً بالمعجزة وفي
قوله إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق
من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي
على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات
وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل
عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة
بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك
إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئاً يجمع النظار

على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضاً نورانياً روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى
قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها
شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق فإن قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين
نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب
المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه
أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه
وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم
أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته
على ملكه وأرضه وقوله إن هذا لساحر عليم قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم تأمرون
من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأموراً لما استولى
عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من
قوله أمرتك الخير وقرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته
إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر
الله تعالى والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطاً
يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار فجاؤوا بكلمة الإحاطة
وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الأعمش بكل ساحر اليوم المعلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة في قوله
موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان
ومنه مواقيت الإحرام هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد استعجالهم واستحثاثهم
كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له
أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شراً هل أنت باعث دينار لحاجتنا
أو عبد رب أخا عون بن مخراق يريد ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة إن غلبوا موسى
ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا
الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان و
كان قوله إن لنا لأجراً في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذاً لمن المقربين معطوفاً
عليه ومدخلاً في حكمه دخلت إذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع
لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى أقسموا بعزة فرعون
وهي من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً
ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله و

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون

وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف **يأفكون** ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن نغلب وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا **فإن قلت** فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به **قلت** هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا **رب موسى وهرون** عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى **فلسوف تعلمون** أي وبال ما فعلتم الضير والضر والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل إنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنا إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا **أن كنا** معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وعلا إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك وقرئ أن أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر **إنكم متبعون** علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى إني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا

فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين

مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيكم أمري **فأرسل فرعون** في أثر ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين **إن هؤلاء** محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على قلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال شعر أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال **كذلك** يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك **فأتبعوهم** فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم **مشرقين** داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا إذا طلعت **سيهدين** طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان **إنا لمدركون** بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وقال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة شعر أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجي الحياة أم من الموت أجزع والمعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد **الفرق** الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد **الطود** الجبل العظيم المنطاد في السماء **وأزلفنا ثم** حيث انفلق البحر **الآخرين** قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

حتى لا ينجو منهم احدا وقدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اى ازللنا اقدامهم والمعنى
اذهبنا عزهم كقوله شعر تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل
ويحتمل ان يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه من عطا
بن السائب ان جبرئيل عليه السلم كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل
ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر
قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدى موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدرى موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فصار فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع عليه السلم قال يا كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى
بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه السلم قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون
لكل شئ والكائن بعد كل شئ ويقال هذا البحر هو بحر قلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال لها
إساف إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً اية آية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها
فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين
بالانجاء قد سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ المنتقم من اعداء الله الرَّحِيمُ باوليائه كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة
اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ كما تقول للتاجر
ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون
سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤا
بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه
من اظهار ما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل
لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس
فى بلادك فيقول البس البرد الاتحمى فاجر ذيله بين جواري الحى وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لابد فى يَسْمَعُونَكُمْ من تقدير حذف المضاف معناه هل
يسمعون دعاكم وقرأ قتادة يسمعونكم اى هل يسمعونكم الجواب معناه هل يسمعون من دعاكم وهل
يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه فى اذ على حكاية الماضية ومعناه استحضروا
الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ فى التبكيت
لما اجابوا بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهى عبادة
الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا

ينقلب

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي
هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ
لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعدائه ومعنى العداوة قوله تعالى
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغرى على عبادتها اعدى اعداء الانسان
وهو الشيطان وانما قال عدو لى تصويرا للمسئلة فى نفسه على معنى انى فكرت فى امرى فرأيت عبادتى
لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح
بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا ما نصح به نفسه وما
اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه
عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه
التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعى ان رجلا واجهه
بشئ فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ما هو بيتى
ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجماعة قال شعر وقوم على ذوى مئرة
اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبهها بالمصادر للموازنة كالقبول
والولوع والحنين والصهيل إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين
فَهُوَ يَهْدِينِ يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع
الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا ومن هداه الى
معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات
المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضنى لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان
فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم
وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على
العالمين وقيل هى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى وما هى الا معاريض الكلام
وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منه الا الصغائر
وهى تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لى
ان استغفار الانبياء تواضع منهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة
وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم فى اجتناب المعاصى والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم
فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر فى الدنيا قلت لان اثرها يتبين
يومئذ وهو الآن خفى لا يعلم الْحُكْمُ الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبى ذو
حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به فى جملتهم او يجمع بينه و
بينهم فى الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين وَلَا تُخْزِنِي من الخزى وهو الهوان
او من الخزاية وهى الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور لهم وفى يبعثون
ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى

الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان
كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

يوم يبعث الضالون وانى بهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون
فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك
وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا
غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه و
لك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها
سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا
لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه
حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال
والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من افات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة
محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته ثم جعله صفة له في قوله وان
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية
الله وقول اخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم صلى الله عليه
كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم
فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره و
اخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسالة في نفسه دونهم حتى تخلص
منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته
مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك دعاءه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال
الاواب ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من
الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون
قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة
مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم كلها و
الحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين
الهتكم هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم
اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل
التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى
يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من

عصاة

فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو
تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين

عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان
يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم
كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين
اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما
لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى
لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي و
قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم
عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء
والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا
ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من
الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت
لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت
جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق
وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء
انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى
الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنيي لو وليت
من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم
مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون
واحدا منهم ومنه بيت الحماسة شعر لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وآله في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما
ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى واتقوا الله و
اطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما
بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك
جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في
اتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة
الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من
اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادٌ
الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وما زال اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أبا سفيان عن رسول الله فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغافة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة ﴿وَمَا عِلْمِي﴾ وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجازي ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمي المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يميز الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك لأجلك ولأجل دينك لانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ﴿الْفُلْكُ﴾ السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسر فعلة على فعل كما كسر فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام ﴿وَالْمَشْحُونِ﴾ المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا أي ملأها ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس شعر في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها ﴿وَآيَةً﴾ العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام ﴿وَالْمَصَانِعَ﴾ مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ﴾ بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم

لا تتثبتون ز

وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ
الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حيث قال ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴿فَإِنْ قُلْتَ﴾ كيف قرن البنين بالانعام ﴿قُلْتُ﴾ هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها ﴿فَإِنْ قُلْتَ﴾ لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد ﴿قُلْتُ﴾ ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة ﴿فِيمَا هَاهُنَا﴾ في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل ﴿فَإِنْ قُلْتَ﴾ لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير ﴿شعر﴾ تسقي جنة سحقا ﴿قُلْتُ﴾ فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ﴿الطَّلْعُ﴾ هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه ﴿وَالْهَضِيمُ﴾ اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد ارطب ثمره وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ ﴿فَرِهِينَ﴾ و﴿فَارِهِينَ﴾ والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسام طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة وقوله تعالى اطيعوا امري ﴿فَإِنْ قُلْتَ﴾ ما فائدة قوله ولا يصلحون ﴿قُلْتُ﴾ فائدته ان فسادهم فساد

الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين
قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم
العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم
لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون

مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح. **المسحر** الذي سحر حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر. **الشرب** النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم. روي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء. **بسوء** بضرب أو عقر أو غير ذلك. عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروي أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم. **فإن قلت** لم أخذهم العذاب وقد ندموا **قلت** لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم. أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان. **من أزواجكم** يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون تبعيضا ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم. **العادي** المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها **بل أنتم قوم عادون** في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة. **لئن لم تنته** عن نهينا وتقبيح أمرنا **لتكونن** من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوء حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه كما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة. و**من القالين** أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم و**القلى** البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الديّن في دين الله حتى تقرب كراهته المعاصي من

رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ
قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين

من الكراهة الجبلية. و**مما يعملون** من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة. **فإن قلت** فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا **قلت** معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي. **فإن قلت** كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم **قلت** الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان. **فإن قلت** في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم **قلت** معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم. قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم. **فإن قلت** هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع **قلت** قالوا إن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة. **الكيل** على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه. قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل. يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا شرعيا. يقال عثا في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك. وقرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الأولين. **فإن قلت** هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود **قلت** إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا تقرر بكونه بشرا مثلهم. **فإن قلت** إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني

وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالوا
إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين
قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين

مفعوليه **قلت** أصلهما أن تفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيدا لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء **ربي أعلم** بما تعملون يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عذابا آخر فإليه الحكم والمشيئة **فأخذهم** الله بنحو ما اقترحوا من **عذاب الظلة** إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي أن شعيبا بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة **فإن قلت** كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر **قلت** كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس وتثبيتا لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ **وإنه** وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في **نزل به الروح** ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به **على قلبك** أي حفظكه وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى **بلسان عربي** إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وإما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون

الرجل

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون أفبعذابنا يستعجلون

الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين **وإنه** وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل **وإنه لفي زبر الأولين** لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير و**آية** بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالأولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث يكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد **شعر** فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين **فإن قلت** كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبلها ألف **قلت** خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا **الأعجم** الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد **شعر** ولا عربيا شاقه صوت أعجما **سلكناه** أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال **كذلك سلكناه** أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى تغييرهم عما هم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين **فإن قلت** كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته **قلت** أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه

أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون
ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله
إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل
إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم

أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون. **فإن قلت** ما موقع لا يؤمنون من قوله سلكناه في قلوب المجرمين؟ **قلت** موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم، فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد. ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به. وقرأ الحسن **فتأتيهم** بالتاء يعني الساعة، و**بغتة** بالتحريك، وفي حرف أبي ويروه بغتة. **فإن قلت** ما معنى التعقيب في قوله **فيأتيهم بغتة فيقولوا**؟ **قلت** ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى ترتبها في الشدة، كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة. ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله تعالى، وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه. **أفبعذابنا يستعجلون** تبكيت لهم بإنكار وتهكم، ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها. ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ، ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية. ووجه آخر متصل بما بعده، وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم، وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل، ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم. وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه، فقال له عظني، فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت. وقرئ يمتعون بالتخفيف. **منذرون** رسل ينذرونهم. **ذكرى** منصوبة بمعنى تذكرة، إما لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة، وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة، وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة. أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى، أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها. ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له، والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم، وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين، وهذا الوجه عليه المعول. **فإن قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم؟ **قلت** الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم. كانوا يقولون إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما

يتنزل به الشياطين على الكهنة، فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء. وقرأ الحسن الشياطون، ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين، فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون، كما تخيرت العرب بين أن يقولوا يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطون. وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل. وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون، ظن أنها النون التي على هجائين. فقال النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه، يريد محمد بن السميفع، مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه. علم أن ذلك لا يكون، ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى، وفيه لطف لسائر المكلفين، كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل، فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك. فيه وجهان: أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم، كما روي عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ما أضعه ربا العباس. والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف. وروي أنه صعد الصفا لما نزلت، فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا، وقال يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، يا عباس عم النبي، يا صفية عمة رسول الله، إني لا أملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم. وروي أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا، الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس، على رجل شاة وقعب من لبن، فأكلوا وشربوا حتى صدروا، ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب، لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وروي أنه قال يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا، ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة محمد، اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا. **الطائر** إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب. ومنه قول بعضهم: **شعر** وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا. ينهاه عن التكبر بعد التواضع. **فإن قلت** المتبعون للرسول هم المؤمنون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول، فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين؟ **قلت** فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك، وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم، وهم صنفان: صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به، وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب، ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين، والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح. والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم، يعني أنذر قومك، فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك، فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره، وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر

الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم
يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ۝

على تقعر وصبر وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا
اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لا يحاول دفع ما
نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله
محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع **على العزيز الرحيم** على الذي يقهر اعداءك
بعزته وينصرك عليهم ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان
يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث
لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل
الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين
تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة هل
تجد الصلوة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما
قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين **انه هو السميع** لما تقوله **العليم** بما تنويه وتعمله وقيل
هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف
ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك **كل افاك اثيم** هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح و
مسيلمة وطليحة **يلقون السمع** هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى
فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون الى اوليائهم من اولئك **واكثرهم
كاذبون** فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع
من الملئكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم ويلقون المسموع من
الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما
يحكون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة والقر الصب **فان قلت** كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له
صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت **قلت** ليس معنى التضمن
ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف
الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال **شعر** أهل رأونا بسفح
القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى
من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت **فان قلت** يلقون ما محله **قلت** يجوز ان يكون في محل
النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له
محل بان يستانف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت **فان قلت** كيف

واكثرهم

واكثرهم بعد ما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك **قلت** الافاكون هم الذين يكثرون الافك
ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما
يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه **فان قلت** وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل
انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات **قلت** اريد التفريق بينهن بآيات ليست
في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي
نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره
اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه **والشعراء يتبعهم الغاوون**
خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض
والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم
ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين
وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو
عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب
من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها
وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم
في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا
اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان
بن عبد الملك سمع قوله **شعر** فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله **وانهم يقولون ما لا يفعلون** استثنى
الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر
واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح
رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وصلحاء امته وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون
فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله
تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال
له ان صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام
فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله عليه السلام ويكافحون
هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ٥

اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعا من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب والرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة

هم بالآخرة يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناه وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم هذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا

يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف
لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات
إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده

وعن الأخفش أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد فإن قلت فعلى إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون الهاء في إنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير فإن قلت علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى نودي من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال شعر فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك المعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى عليهم السلام بوكزة القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها

وسماه

وسماه ظلما كما قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه شعر فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لأن العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا فإن قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله عليه السلام ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان

وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت
علىّ وعلى والدىّ وان اعمل صالحا ترضيه
وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين ه

اقضى واشكر لنعمة الله **وقال يا ايها الناس** تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها
ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم
الامور **والمنطق** كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل
صنف من الطير يتفاهم اصواته والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض
من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه
أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح
هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد
بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى
الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحداة تقول
كل شىء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه و
الديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت وآخرك الموت
والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس واراد بقوله **واوتينا
من كل شىء** كثرة ما اوتى كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شىء تريد كثرة قصاده و
رجوعه الى غزارة فى العلم واستكثاره ومثله قوله واوتيت من كل شىء **ان هذا لهو الفضل
المبين** قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا سيد ولد آدم
ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا **فان قلت** كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام
المتكبرين **قلت** فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثانى ان هذه النون يقال لها نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التى كان عليها وليس التكبر
من لوازم ذلك وقد تعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف
ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج
ان يرجح فى عين عدو الا ترى كيف امر العباس ان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وروى
ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون
للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة
سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه
وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى
الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظل
الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى

انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض
انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم احد بشىء الا القته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال
لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت
اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود **يوزعون**
يحبس اولهم على آخرهم اى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم
احد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل **فان قلت** لم عدى اتوا بعلى **قلت** يتوجه
على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب **شعر** ولشد ما
قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثانى ان يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم
اتى على الشىء اذا انفده وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادى لانهم ما دامت
الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان
الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم فى السبع السبع قيل كانت
تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت **يا ايها النمل** الآية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال
وقيل اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلونى عما شئتم وكان
ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان كانت ذكرا او انثى فسألوه فافحم
فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت
ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما
بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى وقرئ **مسكنكم ولا يحطمنكم** بتخفيف النون
وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى
اولى العقل جرى خطابهم مجرى خطابهم **فان قلت** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل ان يكون جوابا للامر
وان يكون نهيا بدلا من الامر والذى جاز ان يكون بدلا منه انه فى معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على
طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه **شعر** عجبت من نفسى ومن
اشفاقها ومعنى **فتبسم ضاحكا** تبسم شارعا فى الضحك واخذا فيه يعنى انه قد تجاوز حد التبسم الى
الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك حتى بدت
نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ما وجد من الضحك النبوى والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما
يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا **فان قلت** ما اضحكه من قولها **قلت** شيئان اعجابه
بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك
قولها **وهم لا يشعرون** يعنى انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه
بسمعه ما همس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك
اشتمل دعاؤه على استيزاع الله تعالى شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح

وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين ٥ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ٥

والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه الصلوة والسلم لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحو قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان صلوات الله عليه حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل يأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه فإن قلت من أين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم له ما سخر من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتيني وليأتينني والسلطان الحجة و

العذر فإن قلت قد حلف على أحد ثلثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر الزمان للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل أحطت بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو الأب الأكبر صرف قال الشاعر من سبإ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما وقال الشاعر الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع إلى سبإ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق فإن قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى
يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها الملؤا انى القى الى كتاب
كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على واتونى مسلمين قالت يا ايها الملؤا افتونى فى امرى ما كنت قاطعة

العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شىء كما يكون لبعض امراء الاطراف
شىء لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم امرتهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على
قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر
من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت
من كل شىء مع قول سليمان واوتينا من كل شىء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان
عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتى من النبوة والحكمة
واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت
من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفى على سليمان مكانها
وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل
الله عز وجل اخفى عنه لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين للهدهد
التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه
قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة
التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان
خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد اراد
فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم
لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه
محذوف كما حذفه من قال شعر الا يا اسلمى يا دارمى على البلى وفى حرف عبد الله وهى قراءة
الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على
الخطاب وفى قراءة ابى الا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما
تعلنون وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وجل من غيوبه
وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك
ابن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون
بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفى اخراج الخبء
امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى
السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخايل
كل مختص بصناعة او فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى
الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا ام فى احدهما قلت هى واجبة
فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر

بالسجود

بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعى على ان سجدات القران اربع عشرة وانما
اختلفا فى سجدة ص فهى عند ابى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج
وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق
الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان
شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف
سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله فى الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف
عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله تعالى بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذى هو
التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا
بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق
به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من
قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فقيل دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى فى الكوة
فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب
على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال
عليه السلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع
خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن
الرحيم هو استيناف وتبيين لما القى اليها كانها لما قالت انى القى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما
هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه عطفا على انى وقرئ انه من سليمان وانه
بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القى الى انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه
كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابى ان من سليمان وان بسم الله على
ان المفسرة وان فى ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس
بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى
بلقيس ملكة سبا السلم على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على واتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء
جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة
فى قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل
من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة
والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب فى حجرها
وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميرى فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت

والامر اليك فانظرى ماذا تامرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتانى الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون قال يا ايها الملأ ايكم

وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين الفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما
حدث لها من الراى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستصلاح
آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة
وفى قراءة ابن مسعود قاضية اى لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة
عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف اراد بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس
النجدة والبلاء فى الحرب والامر اليك اى هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك
نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراى
والمشورة وانت ذات الراى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رايك لما احست منهم الميل الى
المحاربة رات من الراى الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا
ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اى خربوها
ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة
التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك
حديث الهدية وما رات من الراى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون
فى الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج
له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اى مرسلة رسلا بهدية
اصانعه بها على ملكى فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك وروى انها بعثت خمسمائة غلام
عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان
والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا
فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا راى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك فى الجزعة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك وان رايته
بشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه
فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة
وامر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن
وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك

فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا
بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبر جبريل
بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى
الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء
فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه
يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبى وما لنا به طاقة فشخصت اليه
فى اثنا عشر الف قيل تحت يد كل قيل الوف وفى قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدوننى وقرئ بحذف
الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجونى وبنون واحدة اتمدونى الهدية اسم المهدى
كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى التى اهداها او
اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله
آتانى الدين الذى فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى
مثلى بان يمد بمال الضائع بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون
ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما ارضى منكم بشئ ولا افرح به الا بالايمان
وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدوننى بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء
قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال
واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده
كانى اقول له انكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه وعليه ورد قوله فما آتانى الله فان قلت فما وجه الاضراب
قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو انهم
لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها ويجوز ان
يجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التى اهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل
انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا
قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اى لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل
لهم بهم والضمير فى منها لسبا اذلة ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون ان
يقعوا فى اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت
عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور
سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها
من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده
مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه

وَقَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا
جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذها لها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان **لقوي** على حمله **أمين** آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله **الذي عنده علم من الكتاب** رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام **علم من الكتاب** المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل **وآتيك** في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل **الطرف** تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في قوله **شعر** وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله **قبل أن يرتد إليك طرفك** أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله تعالى قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة **يشكر لنفسه** لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا **غني** عن الشكر **كريم** بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر **نكروا** اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ **ننظر** بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف **أتهتدي** لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس **هكذا** ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة

لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا **فقالت كأنه هو** ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل **وأوتينا العلم** من كلام سليمان وملائه **فإن قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت** لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها **وصدها** عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى **وصدها** قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها **الصرح** القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد و**الممرد** المملس وروي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك من هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء فصرف بصره وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان **ظلمت نفسي** تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ أن اعبدوا على اتباع النون الباء **فريقان** فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد **يختصمون** يقول كل فريق الحق معي **السيئة**

قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا
يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة وانتم
تبصرون ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين

العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون
ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة
التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة
في ذلك الوقت على زعمه وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم
ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها على الخطا فيما قالوه وتجهيلا
فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد
الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي
ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا
قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته
ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم و
فتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل
ومعنى تطير تشاءم وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان
بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل
تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر
من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع
بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني
ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه
بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا بمعنى اقسموا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا
متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون والتاء والنون يصح فيهما الوجهان و
الياء لا يصح فيها الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات
مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق
الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل
المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا صلوات الله عليه وبيتوا اهله فجمعوا
بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا
البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم

بان

بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها من الكذب مكرهم ما
اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على
سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا
الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه
ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه و
نجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فد
مغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من
العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان
عاقبة امرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا
المحذوف واذكر لوطا او ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم
تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق
الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في
القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او
تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة
ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله شعر وبح باسم ما تاتي وذرني من
الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت
فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون
فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة
التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف و
قرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها
اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرنا
كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام
على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين
والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم
المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا
الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم

فأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير اما يشركون امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون
امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر

المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان
وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واتباعهم
الناجين وقيل خطاب للوط عليه السلم ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله و
نجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من
هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة
الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة
فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على
الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التميز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون
للخير الزايد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه بانه ليس لموسى
مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها
في موضع اخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول
الله صلى الله عليه وآله انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين
ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل
والهمزة لما قال الله تعالى ءآلله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وقرا الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله
كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة
الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته وايذان بان انبات الحدائق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه
الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة
الابتغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم
الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات
بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به ءاله مع الله اغيره يقرن به و
يجعل شريكا له وقرئ االها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما
مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل و
بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله
برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل و
المفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله و
عن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد
عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة

على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على
البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك
توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ
يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف فيهما وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا
والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض
اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم
منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار
من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت لم
رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون
ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله شعر عشية ما تغني
الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم
الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية
حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان
الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان
يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس
فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان
علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك ان كونه في
السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا
غير صحيح على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه
ايهام لتسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلم لمن قال ومن يعصهما
فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية
والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن
الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول
الله عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا لا من آن يئين لانصرف وقرئ بكسر
الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل ادرك بل تدارك بل ادرك بهمزتين بل آدرك بالف بينهما بل
ادرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك
بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء
في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم في الاخرة انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم

وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون

وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت
لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون
يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال
بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم
الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون
به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة
قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان
هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه و
استحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل
الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك
وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي
عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في
الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أادرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه
الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم ادرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة فان
قلت فمن قرأ بلى ادرك وبلى ادارك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون
ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم
فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون
واما من قرأ بلى أادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا
انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن
في الآخرة في شان الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا
تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من
لا يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع
بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل لا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة
مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم
كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج
لان بين يديه عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها
كافية

ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا صح

وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان
ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين

كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام
بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في
اننا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا
وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر
وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي
الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد ولم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها
غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام
ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله
مما خطاياهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومك قريش كقوله فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال
بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق
ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم
استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام
للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه
تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال شعر فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني
دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك
اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم
وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفضل
الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وانه لا يعاجلهم
بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش
قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي
الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة و
نظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاءهما
للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا
وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في
المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا ولو نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم و

وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤوا قال
أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل

آمن أي من بني إسرائيل ومنهم من عزيهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر فإن قلت ما معنى
يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا
يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم
وبين المحقين أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي
لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن
مثله لا يخذل فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك
قلت وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب
من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءم ذلك أن يعلل توكله وتوكل مثله بأن
اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا
بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول
لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث
يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل
فإن قلت ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن
تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي على الأصل
وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة أي
أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين
علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون من قوله بلى من أسلم
وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من
قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة
ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور و
عين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب
كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج
إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما
بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا تخرج
إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة
على الله يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية

ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها
من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن
السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ
صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد
وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل
وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن
في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها
وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه
فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم
أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم
من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير
يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة
علي عليه السلام لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من
الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول
الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فإن قلت إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول
بآياتنا قلت قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده
وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما
هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن فهم يوزعون يحبس أولهم على
آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت
جنود سليمان عليه السلام بذلك وكذلك قوله فوجا الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون
في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل
مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت
الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير
فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها
مع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من
كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه أماذا كنتم تعملون بها
للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والارض الا من شاء وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل
انما انا من المنذرين وقل الحمد لله
سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك
بغافل عما تعملون

وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا
تعمل بها فتجعل ما ابتديت به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده
وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه
لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك
او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك
يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون
بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم يريد ان العذاب
الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله
هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله
ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا
النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع
دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل
السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم
عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا
هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة
النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى فصعق من في السموات و
من في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ
والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان
يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير
الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب
وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة
في صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع
الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب
ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين
ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها
واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة
بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة
انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله
من جاء بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة

اضماده ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا فانظر الى بلاغة هذا الكلام
وحسن نظمه وترتيبه واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا
جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا
كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها
باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله
لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان
العمل ينقضي والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير
حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة
لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع
الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن
يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرا من فزع بالتنوين
ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب
والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار و
الاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك بالله يعبر عن الجملة بالوجه و
الراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم
يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند
الكب باضمار القول امر رسوله ان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له
شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من
التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله من سائر البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله
عليه وآله حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني لاعلم انك احب
بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا
على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك
قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ
اليها امن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة
الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ٥

سكناها وأمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرمها وأن اتل عليهم هذا القرآن عن أبي وأن اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي هو الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ طس سليمن كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمن وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمه أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال إن فرعون علا في الأرض يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى شعر وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في جعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين فحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب فإن قلت علام عطف قوله ونريد أن نمن وعطفه على قوله نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم فإن قلت كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها

كأنها

ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ٥

كأنها مقارنة لاستضعافهم أئمة متقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة إلى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فإن قلت ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر قلت أما الأول فالخوف عليه من جهة القتل لأنه كان إذا صاح خاف أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فإن قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع بما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فألقيه في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ وروي أنهم حين

وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون

التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا الصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروي أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل **قرة عين** خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه **عسى أن ينفعنا** فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا أو نتخذه فإنه أهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك **فإن قلت وهم لا يشعرون** حال فما ذو حالها **قلت** ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله **إن فرعون** الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم **فارغا** صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان **شعر** ألا أبلغ أبا سفيان عني، فأنت مجوف نخب هواء، وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله تعالى فتكون لهم قلوب الآية وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها **لتبدي به** أي لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن **لتكون من المؤمنين** من المصدقين بوعد الله وهو قوله إنا رادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طأمنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه **قصيه**

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه

اتبعي أثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به وبصرت به **عن جنب** وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم **التحريم** استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محظور ومحجور وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى أهمهم ذلك **والمراضع** جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع **من قبل** من قبل قصها أثره روي أنها لما قالت **وهم له ناصحون** قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهب به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله **ولتعلم أن وعد الله حق** يريد وليثبت علمها ويتمكن **فإن قلت** كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها **قلت** ما كانت تأخذه على أنه أجر الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله **ولكن أكثرهم لا يعلمون** داخل تحت علمها المعنى **لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وروي أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن **واستوى** واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط **شعر** واستحملوا أمركم لله دركم، شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا، وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة **العلم** التوراة **والحكم** السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه **المدينة** مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه **من شيعته** ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري **من عدوه** من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي

فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له
انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره
بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين

لحمل الحطب الى مطبخ فرعون و الوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود
فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له فى القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس
لنبى ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت على يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم
بانعامك على من المغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال
رب اعصمنى بحق ما انعمت على من المغفرة فلن اكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة
المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع
الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة
الاسرائيلى المؤدية الى القتل الذى لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة اخرى
يعنى لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا
قال له ان اخى يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعنى من يكتب له قال خالد بن عبد الله
القسرى قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفى الحديث ينادى مناد يوم القيمة اين الظلمة
واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت
من حديد فيرمى به فى جهنم وقيل معناه بما انعمت على من القوة فلن استعملها الا فى مظاهرة
اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بنى اسرائيل يترقب
المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلى بالغى لانه
كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم والذى هو عدو لهما القبطى لانه
ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل والجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى احسن وقيل المتعظم الذى لا يتواضع
لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث فى المدينة ورقى الى فرعون وهموا
بقتله قيل الرجل هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء
لم يجز فى يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان
كل واحد منهما يأمر صاحبه بشىء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان
وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له فى الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها
ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن فى سلطان فرعون
وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس
خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه و سواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج
حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس

بين

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون
ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما
ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فجاءته احديهما تمشى على استحياء قالت ان ابى يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين

بين عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماءهم الذى يستقون منه وكان بئرا فيما روى
ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس من اناس مختلفين من دونهم فى مكان اسفل من مكانهم الذود الطرد والدفع وانما
كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان
المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر
لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اى مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا
كما سمى المشؤون شانا فى قولك ما شانك يقال شانت شانه اى قصدت قصده وقرئ
لا نسقى ونصدر الرعاء بضم النون والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء
بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروى ان
الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون
وقيل مائة فاقله وحده وروى انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق
بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما وروى انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل
هذا رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة
من الناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم
فما اخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما
آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما
اوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب فى
الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان
قلت لم ترك المفعول غير مذكور فى قوله يسقون وتذودان ولا نسقى قلت لان الغرض هو الفعل
لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما
غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقى لا المسقى
فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان ضعيفتان
مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا
وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتنا اليه
عذرهما فى توليهما السقى بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام
ان يرضى لابنتيه بسقى الماشية قلت الامر فى نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة
فالناس مختلفون فى ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب

قالت احديهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على
ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين
فخرج منها خائفا يترقب قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل
فلما قضى موسى الاجل

اهل البدو وفيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة الضرورة اني لاي شيء انزلت
الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل
ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد
اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند
فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني فرحا به وشكرا له وكان الظل
ظل سمرة على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم
درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى
فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه
قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى ان يعمل
بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقولها فكما يعمل بقول الواحد حرا كان او
عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته
امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف
صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل
البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل الاجر ولكن على سبيل التقبل
لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب
مثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك
لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت
ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض
ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء
بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك
والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء و
الصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس
ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو
وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استأجرت
القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية
والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام
الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل
خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله شعر الا ان خير الناس

حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت
حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه
امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود افرس الناس
ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر روي انه انكحه صفرا
وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك
ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج مفعول به فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز
قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال
قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت فكيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية
الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة
وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه
وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد والدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت
واما الشافعي فقد جوز التزويج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه
امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون
راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني
افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاقدة لا على وجه المعاهدة ويجوز ان يستأجره لثماني
سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما
جرى بينهما فان اتممت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من
عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا
عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت
عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة
اطيقه وتارة لا اطيقه او وعد المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره
له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاصرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات
والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان
الانبياء صلوات الله عليهم اخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله
شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين
تدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويريد الصلاح على
العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال
على توفيقه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ
وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني

وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون
فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
فلما رآها كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما
فاسقين

فيه وشارطتني عليه فايما جنينا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت
على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني
فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين
الذي هو الانقص وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان
طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد
بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير
تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر
عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة
علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله شعر تنظرت
نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان
قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام
اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه و
جردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت
عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل
ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم صلوات الله عليه
من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال
غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم
فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان
تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه
فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي
له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت
مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك
وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف
لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية
فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها
ملاى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال
له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فوفى له بالشرط سئل رسول
صلى الله عليه وآله وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما واطولهما وروي انه قال

اوفاهما

اوفاهما وتزوج صغراهما وهذه خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا
العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير شعر باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل
الجذى غير خوار ولا دعر وقال شعر والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها و
التهابها من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن
الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ
كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح
سكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت
فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل
الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب
حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب
ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي
الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه
تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من
فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما
يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر
فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك
فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا
اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما
امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله واسلك يدك في جيبك على احد
التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان
الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد
في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم
يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد
اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراها جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير
وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات
الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل
كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان
حجتان بينتان نيرتان فان قلت سمي الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة

سميت الحجة

قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون
قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى
بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين

البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء
بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها يقال ردأته
أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول كما أن الدفء اسم لما يتدفأ به قال سلامة
بن جندل شعر وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا على
التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء
فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو
يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار
كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول
بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة
إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان
حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا
ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب
تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل
على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم
يصدقني والعضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة شعر أبني لبينى لستم بيد إلا يدا ليست
لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد
عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد
والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد
العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا متعلق
بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا
يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة
على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه
أو من لغو القسم سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف
بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا أي كائنا في
زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا
وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور
موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم لم يسمعوا بمثله حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون
به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي أعلم منكم
بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى

يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل
الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل
عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا
وعاقبتها وعقباها أن تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فإن قلت
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها
بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله
سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله
ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإذن عاقبتها
الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن
كثير قال موسى بغير واو وعلى ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال
وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى
أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد أحدهما
وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء وقرئ تكون بالتاء والياء روي أنه لما أمر ببناء
الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ
الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق
وكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه
فقطعه ثلاث قطع ووقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك ويروى في هذه القصة أن
فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة
في الدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته قصد
بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من إله غيري كما قال عز وعلا أتنبئون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به
إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده
لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها
غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظن موسى كاذبا في إثباته
إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين لقول موسى
عليه السلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بناء
ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان
هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض

واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ولقد اتينا
موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا

ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان بتلك الصفة وانجح ما يحكى من رجوع النشابة اليه ملطخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله شعر فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم اليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم يخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الاجر واتخذه لانه اول من عمل الاجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القران وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر انه حين سافر الى الشام وراى القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت ان احدا بنى بالاجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان قال رسول الله صلى الله عليه واله فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسي وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار قلت معناه دعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل فاسق ويقول اهل اللغة في تفسير بخله وفسقه جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الايات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على

ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا
انا بكل كافرون

الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت واي فائدة في ترك المردوف الى الرادف قلت ذكر الرادف يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر لقطع امره ومنحت حكمة لما منعت منه الالطاف فبذكره منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وتفسير هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد اتيناه التوراة انوار القلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد ترجي موسى تذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى صلوات الله عليه الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى عليه السلام كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم اياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض واحد والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا

قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو

اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين

رسولا تحتجون علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا
الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى
وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه
قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي
السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية
ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى
العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير
لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم و
رسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم
الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد
طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب
العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد
كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم و
من مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد
كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران
تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة
في وصفهما او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا
التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة
كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران
تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وآله فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش
فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى
ومما انزل علي وهذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع
الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد

الى التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك
مجيب قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف
الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب
له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء
ولا دعاء ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه
فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد ألزموا ولم
تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن اتبع هواه لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله
اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين
اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه وقرئ
وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا و
قصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه
في اثر بعض كقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني
اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن فان
قلت اي فرق بين الاستئنافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق
بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا
ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله
من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق
للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل
نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة
بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين
لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم قلت اللاغين
الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام
كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله
يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به
الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج
اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك
قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا

وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن

الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون علي وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها لاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمن بن نوفل وعبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة هذا البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة ثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله تعالى واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض للمتنبي

تخلف

تتخلف الديار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع وما كان عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعلى عكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفائين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمتصل بالمنفصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم تطلب مفعولين كقوله شعر ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما

تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا
يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من
تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان
الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
وله الحكم واليه ترجعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم

الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب
عليه مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدأ و
الذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا
لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك
غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا
فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء
الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من
الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر
وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا
ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون
به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين وتحيروا عند
رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم من اتخاذهم لشركاء ثم ما يقوله
الشيطان او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين
هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم
وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة
العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون
لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء
عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله
واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون
الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين
من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق
ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الخيرة من التخير كالطيرة من

ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم

التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة
بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في
افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم
وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم
من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى
الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه
في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما
يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار ما تكن صدورهم من عداوة رسول
الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو
المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة
الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه
اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم بين عباده ارايتم وقرئ
اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم
المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل
تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس
التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا
تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته
زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل
الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ
باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته
من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا
واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا
عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان
الحق لله ولرسوله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان

ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما
أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون

فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم لموسى
هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان
موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق
السامري قال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان إلى هرون فما لي وروي أنه لما جاوز
بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم
كان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر
لكما ولست على شيء وإلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي
بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان
الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق
أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من
البغي وهو الظلم وقيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ
عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به
وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة
الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون
بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على إصبع وكانت من جلود وقال أبو رزين يكفي الكوفة
مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرأ بديل
بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيف إليه
للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ومحل إذ منصوب بتنوء لا تفرح
كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل شعر ولست بمفراح إذا الدهر سرني وذلك أنه
لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق
ما فيه عن قريب فلم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل أشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن
تفعل فيه أفعال الخير من الواجب والمندوب إليه وتجعله زادك إلى الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله
إليك أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن إليك والفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم
والبغي وقيل إن القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع على علم أي على استحقاق واستيجاب
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتورية وقيل هو علم
الكيميا عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا فأفاد يوشع بن نون ثلثه
وكالب بن يوقنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان

يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى الكيميا فعلمه موسى أخته فعلمته
قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في
ظني كما تقول الأمر عندي كذا كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة
منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا يجوز أن يكون إثباتا لعلمه
بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التورية وأخبره به
موسى عليه السلام وحفظه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من
العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته
على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه
به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا
للمال أو أكثر جماعة وعددا فإن قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
بما قبله قلت لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال
على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو
قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك في
زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج
من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام
وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات
وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة
في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبيل
الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه
والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما
أوتي قارون ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وآله هل يضر الغبط قال لا إلا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد والبخت
والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما
الدنيا إلا أحاظ وجدود ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث
على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو
الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات
وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه
للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم

مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ
إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

فحسبه فاستكثره فتشحّت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخرّ موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظّك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله **من المنتصرين** من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة **مكانه** منزلته من الدنيا **وي** مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وفي قولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه **لا يفلح الكافرون** اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل قال **شعر** وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ويحكى ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال وي كانه وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله **شعر** ويك عنتر اقدم **وانه** بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا **تلك** تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد

بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي عليه السلام ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله **تلك الدار الآخرة** ولا يتدبر قوله **والعاقبة للمتقين** كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه لا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين **الا ما كانوا يعملون** الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها **فرض عليك القرآن** اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و**لرادك** بعد الموت **الى معاد** اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله عليه السلام عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية وكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر بها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه **فان قلت** كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله **قلت** لما وعد الله رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده **ومن هو في ضلال مبين** يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم **فان قلت** قوله **الا رحمة من ربك** ما وجه الاستثناء فيه **قلت** هذا الكلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك وقرئ ولا يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال **شعر** اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم **بعد اذ انزلت اليك** بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره **الا وجهه** الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه واله من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون **سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى

بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم غرضك فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه فعل الحسبان في الآية قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله شعر فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب فيه والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار

على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم والكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي عليه السلام والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أن يسبقونا أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال الصلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخط منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال شعر إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو تكفيرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون

والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم

مالي بيني وبينك فما زال الابن حتى اطاعهما وعصى ربه فقال عمر اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت **في الصالحين** في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم عليه السلم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا **انا كنا معكم** اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر الله سبحانه انه اعلم **بما في صدور العالمين** من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ركوب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور يتمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن **فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لم يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب فهو المخبر عن الشيء على ما هو عليه **قلت** شبه الله حالهم حيث علم انهم ما ضمنوا لا طريق لهم الى ان يفوا به ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف **وليحملن اثقالهم واثقالا** يعني اثقالا اخر غير

اي احسن جزاء اعمالهم واما قوم ما مشركين امنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم **وصى** حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح **شعر** ذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن وهو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا **فلا تطعهما** في الشرك ان حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا **ان جاهداك** ايها الانسان **ما ليس لك به علم** اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال **الي** مرجعي من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم **وليسألن** سؤال تقريع **عما كانوا يفترون** اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة **قلت** ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره **فان قلت** فلم جاء بالمميز اولا بالسنة وثانيا بالعام **قلت** لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك و **الطوفان** ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج شعر وغم طوفان الظلام الاثابا **اصحاب السفينة** كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة وازواجهم والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة نصب **ابراهيم** باضمار واذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم **ان كنتم تعلمون** يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم وقرئ **تخلقون** من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ **افكا** وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء الله وسمي الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك **فان قلت** لم نكر الرزق ثم عرفه **قلت** لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرازق وحده لا يرزق غيره **واليه ترجعون** وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على نعمه **وان تكذبوا** ني فلا تضروني وانما تضرون انفسكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب

تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ **البلاغ المبين** الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنتم مكذبا فيما بينكم فان في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وآله وشان قريش بين اول قصة ابراهيم وآخرها **فان قلت** اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله **قلت** قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب **فان قلت** فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض **قلت** هي حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسول الله عليه السلام كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن **فان قلت** فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم عليه السلام والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله **قلت** ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله **وان تكذبوا** على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله **فقد كذب امم من قبلكم** لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهذا كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقيبها من ذيلها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه وقرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه انما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله **كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة** على البدء دون الانشاء ونحوه قوله ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه **فان قلت** هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا وذلك يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيده دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة **فان قلت** ما معنى الافصاح باسم الله في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة **قلت**

يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى
ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من
ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين

الكلام معهم وكان واقعا فى الاعادة وفيها كانت تضطرب الركب فلما قررهم فى الابداء بانه من الله احتج عليها ان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذى لا يعجزه شىء هو الذى لم يعجزه الابداء فهو الذى وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذى انشا النشاة الاولى هو الذى ينشئ النشاة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون ترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه فى الارض الفسيحة ولا فى السماء التى هى افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان شعر امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم فى مهاوى الارض واعماقها او علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله ولو كنتم فى بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجارى فى السماء والارض ان يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء بايات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتى وعيد اى ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر بالرجاء ولا خوف او شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئاس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتى وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا وقرئ جواب قومه بالرفع والنصب قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين وروى انه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم القى ابرهيم فى النار وذلك لذهاب حرها قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله تعالى اتخذ الهه هواه اى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان ان يكون خبر الان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرئ ابن مسعود اوثانا انما مودة بينكم فى الحيوة الدنيا اى انما تتوادون عليها او توادونها فى الحيوة الدنيا

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون
السبيل وتاتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين

ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين راى النار وقال يعنى ابرهيم انى مهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربى الى حيث امرنى بالهجرة اليه انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يامرنى الا بما هو مصلحتى اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلم لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التى هى التورية والانجيل والزبور والقرآن ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام فى الاول دون الثانى قال ابو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثانى بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع الطريق بالياتهم ما ليس بحرث المنكر عن ابن عباس وهو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار من الاقبية والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلم ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين فى دعائه بالبشرى هى البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال القرية سدوم التى قيل فيها اجور من قاضى سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده فى الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَ
ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ
تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ

هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو برئ من
الظلم والمراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته
والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا
ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه
وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون
عليك الخطب وقرئ لَنُنْجِيَنَّهُ بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت
وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما
وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير
ريث خيفة عليهم من قومه وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى
طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب
الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله
القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرِّجْز الرجس العذاب من قولهم ارتجز
وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب قرئ مخففا ومشددا
مِنْهَا من القرية آيَةً بَيِّنَةً هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود
على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لِقَوْمٍ يتعلق بتركنا او ببينة وَارْجُوا وافعلوا ما
ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب وامروا بالرجاء والمراد اشتراط ما
يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف
وَالرَّجْفَة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها فِي دَارِهِمْ
في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جَاثِمِينَ باركين على الركب ميتين
وَعَادًا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك
وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ذلك يعني ما وصف من اهلاكهم مِنْ جِهَةِ مَسَاكِنِهِمْ اذا نظرتم اليها عند مروركم
وكان اهل مكة يمرون بها في اسفارهم فيبصرونها مُسْتَبْصِرِينَ عقلاء متمكنين من النظر
والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله قد بين لهم على
السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سَابِقِينَ فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه الْحَاصِب
لقوم لوط وهي ريح عاصفة فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم وَالصَّيْحَةُ لمدين وثمود و الْخَسْف
لقارون وَالْغَرَق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه
مِنْ دُونِ اللَّهِ بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى
مقطع التشبيه وهو قوله إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فان قلت ما معنى قوله
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَالِمُونَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ
الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما
اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين
ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح الكلام مخرج المجاز فكانه
قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول
مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا
بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة
الاوثان لو كانوا يعلمون قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم
يجعل ما يدعونه شيئا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد
ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل
شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ لا يعقل صحتها
وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي طرق الى المعاني المحتجبة في الاستار
حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وآله انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتنب سخطه بِالْحَقِّ اى بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن لعباده وعبرة
للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ونحوه قوله وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا الصَّلَاة تكون لطفا في
ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه قلت الصلاة التي هي
الصلاة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما
يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت على فوقي واصلي بين الرجاء والخوف ثم يحوطها
بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس من لم تأمره
صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه
صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك
الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله عليه السلام ان فلانا يصلي بالنهار
ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه صلى الله
عليه وآله وسلم الصلوات ولا يدع من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه
ولم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ
إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ٥

لا يراعيهما وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم **ولذكر الله اكبر** يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذى فى الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته **والله يعلم ما تصنعون** من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب **بالتى هى احسن** بالخصلة التى هى احسن وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناءة كما قال ادفع بالتى هى احسن **الا الذين ظلموا** فافرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبل النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين ظلموا اذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه **ولا تجادلوا** الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله **وقولوا آمنا بالذى انزل الينا** من جنس المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال **انزلنا اليك الكتاب** اى انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم وقيل كما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب **فالذين آتيناهم الكتاب** هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه **ومن هؤلاء** من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده منهم **وما يجحد بآياتنا** مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت امى ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط **اذن** لو كان شىء من ذلك اى من التلاوة والخط **لارتاب المبطلون** من اهل الكتاب فقالوا الذى نجده فى كتبنا امى لا يكتب ولا يقرأ وليس به اولارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده **فان قلت** لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق فى قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب **قلت** سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امى بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى
لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

اشد الريب فحين ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم وشئ آخر ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لا يؤمنوا به وهو امى ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امى **فان قلت** ما فائدة قوله بيمينك **قلت** ذكر اليمين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفى **بل** القرآن **آيات بينات فى صدور** العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء فى صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم **وما يجحد بآيات** الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم المكابرون فى آياته وارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك **انما الآيات عند الله** ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل **وانما انا نذير** كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لى ان اتخير على الله آياته فاقول انزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال **اولم يكفهم** آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان ان فى هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر **لرحمة** لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة **لقوم يؤمنون** وقيل **اولم يكفهم** يعنى اليهود **انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه **كفى بالله بينى وبينكم شهيدا** اى قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب **يعلم ما فى السموات والارض** فهو مطلع على امرى وامركم وعالم بحقى وباطلكم **والذين آمنوا بالباطل** منكم وما يعبدون من دون الله **وكفروا بالله** وآياته **اولئك هم الخاسرون** المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وكقول حسان شعر فشركما لخيركما الفداء وروى ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذى قال اللهم امطر علينا

يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن

حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا أجل قد سماه
الله وبيّنه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب
عاجلا والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله عز وعلا وعد رسول الله أن لا يعذب قومه ولا
يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم المحيطة
أي تحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وهي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة
بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب
بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من
فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون أي جزاءه
معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمشّ له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه
إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع
تتفاوت في ذلك التفاوت الكبير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا
أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت المتقلقل وأضم للهم المنتشر وأحث على
القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى
حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرّب ورزق من الصبر وأوزع
من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا
من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام وقيل هي في المستضعفين بمكة
الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما
كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فإياي فاعبدون في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب
وإياك عضضتك في المخاطب والتقدير فإياي فاعبدوا فاعبدون فإن قلت ما معنى
الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي
واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوّض
من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص لما أمر عباده
بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت
أتبعه بقوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم
المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد
من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم
من الثواء وهو النزول والإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى غيره وثوى غير متعد
فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته
إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل

قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون

فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين

تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الأوطان
والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم
يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله من أسلم بالهجرة خافوا
الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت وكأين من دابة
كل نفس دبّت على وجه الأرض عقلت أم لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها
عن حمله الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا
أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب
الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخر إنما تصبح فيرزقها
الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل
يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي إلا أنه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة
العليم بما في ضمائركم الضمير في سألتهم لأهل مكة فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله
وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض قدر الرزق وقتّره بمعنى إذا ضيقه
فإن قلت الذي رجع إليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا
لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من
يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة إن
الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استحمد رسول الله على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا
به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين و
على أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعم إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل أكثرهم
لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد
بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها
وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها
إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي ليس فيها إلا حياة مستمرة
دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حيوان والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية
واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من
الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب
كالنزوان والنقصان واللهبان وما أشبه ذلك والحيوة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء
دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اخترت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا
يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فإن قلت بم اتصل قوله فإذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه

فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا و
يتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع
المحسنين ٥

ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد **فاذا ركبوا في الفلك**
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون
الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم **فلما نجاهم الى البر**
وآمنوا عادوا الى حال الشرك واللام في **ليكفروا** محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا
فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة
قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا
انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى
التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتع بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير **فان قلت** كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة
ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه **قلت** هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر
متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي
الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه
وقلت انت وشأنك فافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد
له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد أبيت قبول النصيحة فانت
اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد
رأيك كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل
مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله
هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة
المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم
افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول و
الكتاب وفي قوله **لما جاءه** تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا
كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر و
يتأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه **اليس** تقرير لثوائهم في جهنم كقوله شعر الستم خير من
ركب المطايا . قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة
همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم
والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب
والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة اطلق المجاهدة
ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء
الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا **لنهدينهم سبلنا** لنزيدنهم هداية الى

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم وعد الله لا يخلف الله
وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون

سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني **والذين**
جاهدوا فينا عملوا **لنهدينهم** الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم و
قيل ان الذي نرى من جهلنا انما هو من تقصيرنا فيما نعلم **لمع المحسنين** لناصرهم ومعينهم قال
رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين **سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم القراءة المشهورة الكثيرة **غلبت** بضم الغين و**سيغلبون** بفتح الياء والارض
ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي
اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال
مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ
في ادنى الارض **والبضع** ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس
بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان
فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال
لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن
خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر
قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع
سنين ومات ابي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس
سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة
وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون
اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح و
سيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين
وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين
فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافة الى الفاعل ومعناه من بعد غلبهم اياهم
اخراجهم ولن يخلف الله وعده **فان قلت** كيف صحت المناحبة وانما هي قمار **قلت** عن قتادة انه
كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربوا و
غيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر بينه وبين
ابي بن خلف **من قبل ومن بعد** اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون

يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض
وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزءون الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون

كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك
الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه
كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا **ويومئذ** ويوم تغلب الروم على فارس
ويحل بهم ما وعده الله من غلبتهم **يفرح المؤمنون بنصر الله** وتغليبه من له كتاب على من
لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما
أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين
كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وقل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام وعن
أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون **وهو العزيز
الرحيم** ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى **وعد الله** مصدر مؤكد كقولك على ألف
درهم عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لأن ما سبقه
في معنى وعد ذمهم الله بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا
أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره
بإصبعه فيعلم أردي هو أم جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال
من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم
العلم الذي هو الجهل وبين العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله **ظاهرا من الحيوة الدنيا** يفيد أن
للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها
وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم
لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من ظواهرها و**هم** الثانية يجوز أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة
خبر **هم** الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر للأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن
الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع **في أنفسهم** يحتمل أن يكون ظرفا
كأنه قال أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب
ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة
للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره و**ما خلق** متعلق بالقول المحذوف معناه أولم
يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه **إلا بالحق وأجل مسمى**
أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة
بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب
والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى
تركهم غير راجعين إليه عبثا والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر

واشترى

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون

واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك
المعنى ما خلقها إلا وهي متلبسة بالحق مقترنة به **فإن قلت** إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر
فما معناه **قلت** معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم
وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب
الحكم البالغة الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها
فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك
أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت
والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى **أولم يسيروا** تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من
عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد قوة وأثاروا
الأرض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقيل سمي ثورا
لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي تشقها **وعمروها** يعني أولئك المدمرون **أكثر مما
عمروها** من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض أصلا
ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل
الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أي عاد
وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وإن
كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر فما كان تدميره إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية
للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم وقرئ عاقبة بالنصب والرفع و**السوأى**
تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار
ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات
في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين **أن كذبوا** يعني لأن كذبوا ويجوز أن يكون أي
لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما
أشبه ذلك ووجه آخر أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا
وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام
ثم إليه ترجعون أي إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء **الإبلاس** أن يبقى بائسا ساكتا
متحيرا يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو
وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته **من شركائهم** من الذين عبدوهم من دون
الله وكانوا بشركائهم كافرين أي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين
بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علموا بني إسرائيل وكذلك
كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون

وَاَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَاُولٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ فَسُبْحَانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَا اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها **في روضة** في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة **يحبرون** يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح روي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **محضرون** لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد ذكر الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية **تمسون** صلوة المغرب والعشاء الآخرة **وتصبحون** صلوة الصبح **وعشيا** صلوة العصر **وتظهرون** صلوة الظهر وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله **وله الحمد في السموات والارض** اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه **فان قلت** لم ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية **قلت** لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرأ عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه **الحي من الميت** الطائر من البيضة **والميت من الحي** البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها **وكذلك تخرجون** ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاَلْوَانِكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ
النَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا اِنَّ فِي ذٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

بفتح التاء **خلقكم من تراب** لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء **من انفسكم ازواجا** لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر **وجعل بينكم** التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان **الالسنة** اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه **ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله** بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية **يريكم** وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير **خوفا** من الصواعق ومن الاخلاف **وطمعا** في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له **فان قلت** من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ **ينزل** بالتشديد **ومن آياته** قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد **بامره** اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله **اذا دعاكم** بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وله من في السموات والأرض كل له
قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم
مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل
الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين
حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة
واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي
المطاع مدعوه كما قال القائل شعر دعوت كليبا دعوة فكأنما ۞ دعوت به ابن الطود أو هو أسرع
يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم
بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا
تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم
قيام ينظرون وقولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان
صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي
فإن قلت بم تعلق من الأرض أبالفعل أم بالمصدر قلت هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
فإن قلت ما الفرق بين إذا وإذا قلت الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب
الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود أفعاله
فيهم لا يمتنعون عليه وهو أهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم
لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا
خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون
أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها فإن قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به
الإعادة قلت معناه وأن يعيده أهون عليه فإن قلت لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون
عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي
هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص
والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى
فإن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم دعوة حتى كأنها فضلت على قيام
السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت
بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء
لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن تنتقل في أحواله
وتتدرج فيها إلى أن يبلغ إلى ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء
من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب
الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال
ممتنع أصلا خارج عن المقدور وإما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف
المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين
بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد له من فعله ولا سبيل إلى الإخلال

به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب
كانت أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي و
التسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء وله المثل الأعلى
أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والأرض على ألسنة
الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات
ويدل عليه وهو العزيز الحكيم أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن
مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية
ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله
وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما تصعب وتسهل يريد التفسير الأول فإن قلت أي فرق بين
من الأولى والثانية والثالثة في قوله من أنفسكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء قلت الأولى للابتداء كأنه
قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد
كعبيد أن يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير
تفصلة بين حر وعبد تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب
بعضكم من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن
تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك أي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات أي نبينها لأن التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة
المستقبحة الذين ظلموا أي أشركوا كقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم بغير علم أي اتبعوا أهواءهم
جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة
لا يكفه شيء من أضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية
مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان فأقم وجهك فقوم
وجهك وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه
وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه
مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرت الله أي الزموا فطرة الله أو عليكم
فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله
واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق
الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا
للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين
الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم

وَاِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ اِلَيْهِ ثُمَّ اِذَا اَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً اِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ اَمْ اَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ اِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فَآتِ
ذَا الْقُرْبٰى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ

فِي اَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللّٰهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰوةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ

وأمرونهم ان يشركوا بي غيري وقوله صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وآله اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف كقوله شعر وكل خليل غيرها ضم نفسه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان يكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط والقابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم من رحمته حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ويقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم ليزيدوا ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه

خالصا

اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ
١٤٠ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجهه وهو ان يكون تقديره فمؤتوه فاولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداد له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدوات وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجع راجعون عن الضلالة والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله

قل سيروا في الارض كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا
مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري
الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات

وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا الفسوق المعاصي في الارض لاجل ذلك و
قرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا
كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على
ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم
البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل
ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده
هو بعد ان يجيء به ولا رد من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون اي
يتفرقون كقوله تعالى يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان كل من ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي
يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما
ينبيه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد
فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ولا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح
ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد
توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد
حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية
عند العرب وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا
يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح
هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله
عليه وآله اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها و
ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه و
الروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كثرت المؤتفكات
زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في
البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها
وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان
قلت بم يتعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر
ذكر الفريقين وفذلك الكلام او لاجمال ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم المؤمنين
ودفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية اظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله

١٤٠
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا
اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى
اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين

ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا
ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين
جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة
بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى
ابلاسهم فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك وقرئ اثر واثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو حيوة
وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي
يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل
الانشاء فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع
رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه
مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط لظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل
بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم
برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار
ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا
على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ولم يزيدوا على الفرح والاستبشار
وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا او حرجفا
فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة
وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان
والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله عليه السلام من ضعف فاقرأني من
ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما
عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا فاودي
حال الطفولة والنشو حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال
وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف والشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف
كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة
اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم
في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت

ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق

علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور فيما بين فناء الدنيا الى وقت البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون **كذلك يؤفكون** مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انهم ما كانوا الا ساعة القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون **في كتاب الله** في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم **فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون** انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه **فان قلت** ما هذه الفاء وما حقيقتها **قلت** هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نتخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك لا ينفع وتنفع بالياء والتاء **يستعتبون** من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله شعر غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون **فان قلت** كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين **قلت** اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم باية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع **يطبع الله على قلوب** الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين

الصفة **فاصبر** على عداوتهم **ان وعد الله** بنصرتك واظهار دينك على الدين كله **حق** لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب **ولا يستحقنك** اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله من السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته **سورة لقمان عليه السلم مكية وهي ثلثون او اربع وثلثون آية** **بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الحكيم** ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة **هدى ورحمة** بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف **للمحسنين** للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالآخرة ونظيره قول اوس شعر الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداده بها **اللهو** كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان يقاتل بين يديه وفي حديث النبي عليه السلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلى الله عليه وآله ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب **فان قلت** ما معنى اضافة اللهو الى الحديث **قلت** معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك جبة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي
أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا
خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غني حميد

وقوله **يشتري** إما من الشرى على ما روي عن النضر من شرى كتب الأعاجم أو من شرى القيان وإما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ **ليضل** بضم الياء وفتحها و**سبيل الله** دين الإسلام أو القرآن **فإن قلت** القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فإن قلت** ما معنى قوله بغير علم **قلت** لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري وليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا **ولى مستكبرا** زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع **كأن في أذنيه وقرا** أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال **فإن قلت** ما محل الجملتين المصدرتين بكأن **قلت** الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن **وعد الله حقا** مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم **وهو العزيز** الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم ما يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل **ترونها** الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني **فإن قلت** ما محلها من الإعراب **قلت** لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق **والذين من دونه** آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله تعالى وأنشأه **فأروني ماذا** خلقته آلهتكم حتى استوجبوا منها عندكم العبادة ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط **في ضلال** بعده ضلال هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليهما السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله

العتق

وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا
على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود لا تحزن فإنه من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان **أن** هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر **غني** غير محتاج إلى الشكر **حميد** حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما **لظلم عظيم** لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه أي **حملته** تهن **وهنا على وهن** كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله **أن اشكر** تفسير لوصينا **ما ليس لك به علم** أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء **معروفا** صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة **واتبع سبيل من أناب إلي** يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا **ثم إلي** مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر **فإن قلت** هذا الكلام كيف وقع في

يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

اثناء وصية لقمان فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه شعر احمل امى وهى الحماله ترضعنى الدرة والعلاله ولا يجازى والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى فى توقيته بهذه المدة انها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابى يوسف ومحمد واما عند ابى حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابى حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يأت بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروى ان ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر اى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء فى اخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة اخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا فى

معنى

معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها فى سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد فى مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وآله سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة فى عمر كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اى سدد فى مشيك من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شىء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت عنه والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الآداب ان يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من اولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما فى السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما فى الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سابغ صابغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمة فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ومن يسلم وجهه
إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما
عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن
الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام
والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ألم تر

وأما غير حيوان فليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه لأنه لولا
إيجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة عليه **فإن قلت** لم كان خلق
العالم مقصودا به الإحسان **قلت** لأنه لا يخلقه إلا لغرض وإلا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه
ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غني غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن
يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه **فإن قلت** فما معنى الظاهرة والباطنة **قلت** الظاهرة
كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم في بدن الإنسان
من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الإسلام والنصرة
على الأعداء **والباطنة** الإمداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة الستر
وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل
الظاهرة السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه
ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي
عليهم النفس ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس معناه أيتبعونهم
ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب قرأ علي عليه السلام **ومن
يسلم** بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله **فإن قلت** ما له عدي بإلى وقد عدي
باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله **قلت** معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه
سالما لله أي خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد
التوكل عليه والتفويض إليه **فقد استمسك بالعروة الوثقى** من باب التمثيل مثلت حال المتوكل
بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين
مأمون انقطاعه **وإلى الله عاقبة الأمور** أي هي صائرة إليه فلا يحزنك ويحزنك من
حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من
كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله
إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه **نمتعهم** زمانا **قليلا** بدنياهم **ثم نضطرهم
إلى عذاب غليظ** شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء
الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل
على المعذب **قل الحمد لله** إلزام لهم على إقرارهم بأن الله الذي خلق السموات والأرض هو الله
وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد غيره ثم قال **بل أكثرهم لا يعلمون**
أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا **إن الله هو الغني** عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن
لم يحمدوه قرئ **والبحر** بالنصب عطفا على اسم إن وبالرفع عطفا على محل إن ومعمولها على ولو
ثبت كون الأشجار أقلاما في حال كون البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال

ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله
بما تعملون خبير

على معنى ولو أن الأشجار أقلام في كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب
أن يحمل هذا على الوجه الأول وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء **فإن قلت** كان مقتضى الكلام أن
يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد **قلت** أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة
وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها
أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك
الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله تعالى قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي **فإن قلت** زعمت أن قوله
والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال **قلت** هو كقوله **شعر** وقد اغتدي
والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم
الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض **فإن قلت** لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذي هو شجر **قلت** أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا
واحدة إلا وقد بريت أقلاما **فإن قلت** الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله **قلت** معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس أنها
نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا
يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وإنها
نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله ألست
تتلو فيما أنزل إليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء **إن الله عزيز** لا يعجزه شيء **حكيم**
لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمته **إلا كنفس واحدة** إلا كخلقها وبعثها
أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت
النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد بأن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى
عن ذلك **إن الله سميع بصير** يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك
بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث **كل** واحد من الشمس والقمر **يجري** في فلكه ويقطعه
إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه
لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين
في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته **فإن قلت**
يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين **قلت** كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا
بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض
لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك
أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة و

ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّ ما يدعون من دونه الباطل وأنّ الله هو العليّ الكبير ألم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم
من آياته إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ
فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلّا كلّ ختّار كفور يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جازٍ عن والده شيئًا إنّ وعد الله حقّ فلا تغرّنّكم الحيوة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور إنّ الله عنده علم الساعة
وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خبير

جري القمر مختصّ بآخر الشهر فكلا المغيبين غير ناب به موضعه **ذلك** الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي تعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله إنّما هو بسبب أنّه **هو الحقّ** الثابت إلهيّته وأنّ من دونه باطل الإلهيّة **وأنّ الله هو العليّ الكبير** السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات بسبب بيان أنّ الله هو الحقّ وأنّ إلهًا غيره باطل وأنّ الله هو العليّ الكبير عن أن يشرك به وقرئ **الفلك** بضمّ اللام وكلّ فعل يجوز فيه الفعل كما يجوز في كلّ فعل فعل على مذهب التعويض **وبنعمات الله** بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون **بنعمة الله** بإحسانه ورحمته **صبّار** على بلائه **شكور** لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنّه قال إنّ في ذلك لآيات لكلّ مؤمن يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل **الظلل** والظلّة كلّ ما أظلّك من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلّة كقلّة وقلال **فمنهم مقتصد** متوسّط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أنّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قطّ والمقتصد قليل نادر وقيل مقتصد على الطريقة المستقيمة كذا عن ابن عبّاس من غدر لأنّه نقض للعهد الفطريّ ولأنّه من كان في البحر عاهد الله إن أنجاه ليكوننّ من الشاكرين فلمّا نجّاه خان عهده وقال عمرو بن معدي كرب

مددنا لك باعًا من ختر وقال: إنّك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر **لا يجزي** لا يقضي عنه شيئًا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف **والغرور** الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنّيك في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرّة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنّى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيّئاتك غرّة وقرئ بضمّ الغين وهو مصدر غرّه غرورًا جعل الغرور غارًّا كما قيل جدّ جدّه أو أريد زينة الدنيا لأنّها غرور **فإن قلت** قوله **ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئًا** وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه **قلت** الأمر كذلك لأنّ الجملة الاسميّة آكد من الفعليّة وقد انضمّ إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أنّ الخطاب للمؤمنين وعليّتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهليّ فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئًا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أنّ الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلًا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأنّ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنّه لمن ولد منك روي أنّ رجلًا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإنّي قد ألقيت حبّاتي في الأرض وقد أبطأت عنّا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإنّي علمت ما عملت

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين أم يقولون افتريه بل هو الحقّ من ربّك
لتنذر قومًا ما أتيهم من نذير
من قبلك لعلّهم
يهتدون

أمس فما أعمل غدًا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عبّاس من ادّعى علم هذه الخمسة فقد كذب إيّاكم والكهانة فإنّ الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنّه أهمّه معرفة مدّة عمره فرأى في منامه كأنّ خيالًا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأوّلوه بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتّى قال أبو حنيفة تأويلها أنّ مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلّا الله وأنّ ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه **عنده علم الساعة** أيّان مرسيها **وينزّل الغيث** في إبّانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به **ويعلم ما في الأرحام** أذكر أم أنثى أتامّ أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال **وما تدري نفس** برّة أم فاجرة **ماذا تكسب غدًا** من خير أو شرّ وربّما كانت عازمة على خير فعملت شرًّا وعازمة على شرّ فعملت خيرًا **وما تدري نفس بأيّ أرض تموت** وربّما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتّى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدّثتها به ظنونها وروي أنّ ملك الموت عليه السلام مرّ على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنّه يريدني وسأل أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثمّ قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجّبًا منه إنّي أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنّها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختصّ ولا يتخطّاها ولا شيء أخصّ بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأيّة أرض وشبّه سيبويه تأنيث أيّ بتأنيث كلّ في قولهم كلّهنّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقًا يوم القيمة وأعطي من الحسنات عشرًا عشرًا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكّيّة وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على أنّها اسم السورة مبتدأ خبره **تنزيل الكتاب** وإن جعلتها تعديدًا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنّه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره **لا ريب فيه** والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره **من ربّ العالمين** ولا ريب فيه اعتراض لا محلّ له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنّه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزّلًا من ربّ العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتريه لأنّ قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من ربّ العالمين وكذلك قوله **بل هو الحقّ من ربّك** وما فيه من تقرير أنّه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أوّلًا أنّ تنزيله من ربّ العالمين وأنّ ذلك ما لا ريب فيه ثمّ أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتريه لأنّ أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكارًا لقولهم وتعجّبًا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه ثمّ أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنّه الحقّ من ربّك ونظيره أن يعلّل العالم في مسئلة بعلّة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع احتراز كقول المتكلّمين النظر أوّل الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى

الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر
الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سويه ونفخ فيه من
روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا اءذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد بل
هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون

من وجوه بها مكلف ثم يعرض عليه فيها بعض ما وقع اخرانه منه فيرده بتلخيص انه اخرذ
منذ لك ثم يعود الى التقدير كلامر وتمشيته **فان قلت** كيف نفى ان يرتاب في انه من الله
وقد اثبت بما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه **قلت** معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب
في انه تنزيل الله لان نافي الريب فيه مع معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله
ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز
له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه **ما اتاهم من نذير من قبلك**
كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد عليه السلام **فان قلت** فاذا
لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة **قلت** اما قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما
قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان
لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى
وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة **فان قلت** ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا
يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع
ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا
نصير **الامر** المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا **من السماء الى الارض** ثم لا
يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال
الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه
قوله على اثره **قليلا ما تشكرون** او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله
وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون **ثم يعرج اليه** اي يصير اليه
ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر
ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة
وقيل ينزل الوحي مع جبرئيل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي
اورده مع جبرئيل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة
في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايام
جبرئيل عليه السلام لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء
الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره
الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون
بالتاء والياء **احسن كل شيء** اي حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما
اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن

كما قال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه
وحقيقته يحسن معرفته اي يعرف معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن
خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه
اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل **وسويه** قومه كقوله تعالى في احسن
تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسئلونك عن
الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته **وقالوا** قيل القائل ابي بن خلف
ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ **اينا** على الاستفهام وتركه **وضللنا** صرنا ترابا وذهبنا
مختلطين بتراب الارض لا نتميز كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله شعر وابن مضلوه
بعين جلية وقرا علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن صللنا
من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض **فان قلت** بم انتصب الظرف
في اءذا ضللنا **قلت** بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا **لقاء ربهم** هو الوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر
وهو انهم **كافرون** بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك
الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض
كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان
والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن
مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة
يتوفاهم ومعه اعوانه من الملئكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها
ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وآله وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك
ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون
لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة
من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا
او لرايت اسوء حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت
اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه وكانك قلت ان اكرم واحسن اليه ولو وادكلاهما للمضي وانما
جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه
قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم **ابصرنا وسمعنا** فلا يغاثون يعني
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك اوكنا عميا وصما فابصرنا
وسمعنا **فارجعنا** هي الرجوع الى الدنيا **لاتينا كل نفس هديها** على طريق الالجاء والقسر

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون

ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل
العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم
من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك
في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال إنا نسيناكم على المقابلة
أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركناكم في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف
قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم
فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم
من المعاصي والكبائر الموبقة إذا ذكروا بها أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا
على ما رزقهم من الإسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه وأثنوا عليه
له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله إن الذين أوتوا العلم
من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان الله تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع
عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن أنه التهجد وعن رسول الله
صلى الله عليه وآله إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع
الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة و
بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن
مالك كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يصلون من صلوة المغرب الى صلوة
العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها ما أخفي لهم
على البناء للمفعول ما أخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما أخفي لهم وما نخفي لهم وما
أخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله تعالى سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي وقرئ من قرة أعين
وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي
مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما
تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم
أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت كان مؤمنا كان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمو

وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا
من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا
منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون

على المعنى بدليل قوله فأما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى إذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند
سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها أرواح
الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء بأعمالهم والنزل
عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار أي ملجأهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم
أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم العذاب الأدنى عذاب الدنيا
من القتل والأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الأكبر
عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون أي يتوبون عن
الكفر ولعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما
سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمتم الى الصلوة وتدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء
للمفعول فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان
ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت
إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد الله شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص
الداعي وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها ومضطرون اليها بقسره وإلجائه
فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها
لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها
لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك لم يكن فقدها دالا على عجزك وروي أنه شجر بين علي بن
أبي طالب صلوات الله عليه والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي
أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك
جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين
والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال للوليد كيف تشتم
عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم أعرض عنها للاستبعاد والمعنى
أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها
استبعادا لتركه الانتهاز وأستفهمها فاطلع على شدتها فإن قلت هلا قيل إنا منه منتقمون قلت لما
جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر
من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه ومعناه إنا آتينا
موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من أنك لقيت مثله
ولقيت نظيره كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو

أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون

قوله من لقائه كقوله إنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى **هدى** لقومه **وجعلنا منهم أئمة يهدون** الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية **لما صبروا** عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسمعيل صلوات الله عليه **يفصل بينهم** يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو في **أو لم يهد** للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه **كم أهلكنا** لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط **يمشون** يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد **الجرز** الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس إنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين **به** بالماء **تأكل** من الزرع **أنعامهم** من عصفه و**أنفسهم** من حبه وقرئ يأكل بالياء **الفتح** النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا **متى هذا الفتح** أي في أي وقت يكون **إن كنتم صادقين** في أنه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر عن مجاهد والحسن يوم فتح مكة **فإن قلت** قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم **قلت** كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا **فإن قلت** من فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق **وانتظر** النصرة عليهم وهلاكهم **إنهم منتظرون** الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون

لا محالة

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه

لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملئكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة أيام **سورة الأحزاب وهي ثلث وسبعون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله **يا أيها النبي اتق الله** يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله **فإن قلت** إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول **قلت** ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي **اتق الله** واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره **ولا تطع الكافرين والمنافقين** لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارة والمضادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة **ولا تطع الكافرين** من أهل مكة **والمنافقين** من أهل المدينة فيما طلبوا إليك وروي أن أهل مكة دعوا رسول الله إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم ويزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت **إن الله كان عليما** بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة **حكيما** لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة **واتبع**

وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما
أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
وكان الله غفورا رحيما

ما يوحى إليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله يوحي إليك خبير بما
تعملون فموح إليك ما تصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ بما يعملون
بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وأسند أمرك إليه وكله
إلى تدبيره وكيلا حافظا موكولا إليه كل أمر ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة
في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين
لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج
إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل وزوجا
له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش
وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة
أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء
الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي
صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته
خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى
الله عليه وآله فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو
القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم
محمد فروي أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في
رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك
في رجلك والأخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله تعالى قوله
وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان
فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن
الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وإدخال من الاستغراقية
على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين
البتة في جوفه فإن قلت أي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي
في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لأنه إذا
سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائي
بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من
اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر

كعقد

كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر تفعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي
كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم إذا قال لبيك وأفف الرجل إذا قال أف وأخوات
لهن فإن قلت فما وجه تعديته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا
يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار
وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها ونظيره آلى من امرأته لما
تضمن معنى التباعد منها عدي بمن وإلا فآلى في أصله الذي هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه
فإن قلت ما معنى قولهم أنت علي كظهر أمي قلت أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي
فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن
البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه
آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون
إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم
امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك فإن قلت الدعي
فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل
كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت إن شذوذه عن
القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم
بأفواهكم هذا ابني لا غير من غير أن تواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول
إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي إلا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو
سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط
والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم
وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه
ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان
بن فلان فإن لم تعلموا آباءهم تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين
فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الأخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت
في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن
ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل
ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على
سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون
العمد على طريق العموم كقوله صلى الله عليه وآله ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد
وقوله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبرهيم
وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها

فإن قلت فإذا وجد التبني فما حكمه قلت إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما العفو عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد النبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ووقاءه إذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وصرفهم عنه لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاق وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وآله ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وآله أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم تثبت لهن سائر أحكام الأمهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام وعز أهله جعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بيانا لأولي الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فإن قلت مم استثنى أن تفعلوا قلت من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية

لوارث

لوارث وعدى تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام وإذ واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وإبرهيم وموسى وعيسى وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين الأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فإن قلت لم قدم رسول الله عليه السلام على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وآله أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فإن قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي أخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف تلك وذلك أن الله عز وجل إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث به نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم النبيين في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير وإن قلت فماذا أراد بالميثاق الغليظ قلت أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فإن قلت فعلام عطف قوله وأعد للكافرين قلت على أخذنا من النبيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين اذكروا ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق إذ جاءتكم جنود وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم الصبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها
وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا

من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا الى الاطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن
قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد
اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وهي كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج
غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر **يعملون** قرئ بالتاء والياء **من فوقكم**
من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان **ومن اسفل منكم** من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا **زاغت الابصار**
مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى
اعدائها لشدة الفزع **الحناجر** الغلاصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام و
الشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب
بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في
اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة **وتظنون بالله الظنونا** خطاب
للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف و
المنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم و
يفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن
ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون
وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها
في الفاصلة كما زادها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا
والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد هن كلهن في
الامام بالالف عن ابي عمرو واشمام زاء **زلزلوا** وقرئ زلزلوا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم
اشد الازعاج **الا غرورا** قيل قائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم
واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **طائفة منهم** اوس بن قيظي ومن وافقه
على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه **ويثرب** اسم المدينة وقيل ارض وقعت
المدينة في ناحية منها **لا مقام لكم** قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون
فيه او تقيمون **فارجعوا** الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه واله وقيل
قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان وقرئ **عورة** بسكون
الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه

قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين
منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير

خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم
معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا
اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار **ولو دخلت عليهم** المدينة
وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه
العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم
واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع في تلك الرجفة **الفتنة** اي الردة و
الرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين **لاتوها** لجاؤها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها
وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها **الا يسيرا** ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او و
ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم **الا يسيرا** فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم
ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا
ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل
لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم
لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم عليه عاهدوا الله قيل عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
واله ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا
لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل
فيهم ما نزل **مسؤلا** مطلوبا مقتضى حتى يوفى به **لن ينفعكم الفرار** مما لا بد لكم منه من حتف انف
او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا **قليلا** وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب **فان قلت** كيف جعلت الرحمة
قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء **قلت** معناه او يصيبكم بسوء **ان اراد بكم رحمة** فاختصر الكلام
واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع **المعوقين**
المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه واله وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من
انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه
فخلوهم و**هلم الينا** اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة و
اما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم
شهداءكم **الا قليلا** الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون
الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله وما قاتلوا الا قليلا **اشحة عليكم** في وقت الحرب اضناء بكم
يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف **ينظرون اليك** كما في تلك الحالة
كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك **فاذا ذهب الخوف** و
حيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال

أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من

والغنيمة، ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفّروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب أشحة على الحال أو على الذم وقرئ أشحةٌ بالرفع وصلقوكم بالصاد فإن قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمله المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا فإن قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وإن يأت الأحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة وقرئ بُدّى على فُعّل جمع بادٍ كغازٍ وغُزّى وفي رواية صاحب الإقليد بدّى بوزن عدى ويسّاءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم أن تؤاسوا رسول الله بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه فإن قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقرئ أسوة بالضم قلت فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الأمل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه إن الأحزاب سائرون إليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا إشارة إلى الخطب والبلاء إيمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه وأقداره نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان

وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا

وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة فإن قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله فإن قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني أخوك وكذبني إذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه إما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار وإما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم إن شاء إذا لم يتوبوا أو يتوب عليهم إذا تابوا ورد الله الذين كفروا الأحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى أو استئنافا وكفى الله القتال بالريح والملائكة وأنزل الذين ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لأنه يتحصن بها روي أن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعن سرجه فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله إن الملائكة لم تضع السلاح إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله عليه السلام فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وآله فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض

لتسعمائة ثم وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله **وأرضا لم تطؤها** عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيمة ومن بدع التفاسير أراد نساءهم أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت فبدأ بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك ونزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وروي أنه قال لعائشة إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا **فإن قلت** ما حكم التخيير في الطلاق **قلت** إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره وإن اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي أفكان طلاقا وعن علي عليه السلام إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه أيضا أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ومعنى **تعالين** أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني **أمتعكن** أعطكن متعة الطلاق **فإن قلت** المتعة في الطلاق واجبة **قلت** المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان إحديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن يكون نصف مهرها

الصداق

أقل

وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما

أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فإن قلت** ما وجه قراءة أمتعكن وأسرحكن بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف **سراحا جميلا** من غير ضرار طلاقا بالسنة **منكن** للبيان لا للتبعيض **الفاحشة** السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة و**المبينة** الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترف من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وآله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر **وكان ذلك على الله يسيرا** إيذان بأن كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه وقرئ **يأت** بالتاء والياء **مبينة** بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين **يضاعف ويضعف** على البناء للمفعول ويضعف ونضعف بالياء والنون وقرئ **تقنت وتعمل** بالتاء والياء و**نؤتها** بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى **أحد** في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله **لستن كأحد من النساء** لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين **إن اتقيتن** إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات **فلا تخضعن بالقول** فلا تجبن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات **فيطمع الذي في قلبه مرض** أي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا تطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول أي فيطمع القول المريب **قولا معروفا** بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث أو قولا حسنا مع كونه خشنا **وقرن** بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظلن و**قرن** بفتحها وأصله اقررن

فحذف الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش
اجتمعوا فكونوا قارة **والجاهلية الاولى** هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي
الزمن الذي ولد فيه ابرهيم صلوات الله عليه كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح عليهما السلم وقيل بين ادريس ونوح عليهما السلم
وقيل زمان داود وسليمان عليهما السلم والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن
بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابي
الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام قال بل جاهلية كفر امرهن امرا
خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية و
المالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه
انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا
عنها بالتقوى واستعار للذنوب **الرجس** وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات
يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون
كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم
عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به و**اهل البيت** نصب على النداء او على المدح
في هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن
ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع **ان الله كان لطيفا خبيرا** حين علم ما
ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته
او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين وروي ان ازواج النبي عليه السلم قلن
يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل
منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي عليه السلم ما نزل قال نساء
المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت **المسلم** الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند
او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله و**المؤمن** المصدق بالله ورسوله
وبما يجب ان يصدق به **والقانت** القائم بالطاعة الدائم عليها و**الصادق** الذي
يصدق في نيته وقوله وعمله **والصابر** الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي **والخاشع**
المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله **والمتصدق**

الذي

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق
الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
لكي لا يكون على المؤمنين حرج

الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن
صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين **والذاكر الله كثيرا** من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه
او بلسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه **فان قلت** اي فرق بين العطفين اعني عطف
الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين **قلت** العطف الاول نحو قوله ثيبات و
ابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف
الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات
اعد الله لهم خطب رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد
المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول
الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين
مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر
من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا
انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين **اذا قضى الله
ورسوله** اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله **امرا** من الامور ان يختاروا
من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره **فان قلت**
كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شانه كذا **قلت** نعم
ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون
بالياء والتاء و**الخيرة** ما يتخير **للذي انعم الله عليه** بالاسلام الذي هو اجل النعم و
بتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه **وانعمت عليه** بما وفقك الله فيه فهو متقلب في
نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة **امسك عليك زوجك** يعني زينب بنت جحش
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها
لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها و
الرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك أرابك
منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال
له **امسك عليك زوجك واتق الله** ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله لزيد ما اجد
احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها
عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها

في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من
قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد
أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما

ظهري وقلت يا زينب ابشري فان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ما المراد بقوله واتق الله قلت أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الأولى ان لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج فان قلت ما الذي أخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة لو كتم رسول الله شيئا مما أوحي اليه لكتم هذه الآية فان قلت فماذا أراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني أريد نكاحها قلت كان الذي أراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله تعالى في ستر ما استهجن التصريح به وما لم يعاتبه في نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها ألا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله مكنون ضميره وأمرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فكان هذا من هذا القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا

عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه فطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على أبي الا كذلك ولا قرأها الحسين بن علي على أبيه الا كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب على النبي عليه السلام الا كذلك وكان أمر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بأمر الله المكون لانه مفعول بكن وهو أمره فرض الله له قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون وعلى أعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد أبا

يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا
كبيرا ١٥

احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير
والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء
والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء
والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد
بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين
توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلت قد اخرجوا
من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف
الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا
رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء اخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد
ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين و
الاخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله
ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح
التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم ويقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
فان قلت كيف كان اخر الانبياء وعيسى ينزل في اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض
امته اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله
واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الله على
فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه الكلمة يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان
الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص
جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة عليهم السلام ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته تعالى
عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل
وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس الماثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة
والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد
بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من
ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين
لان اداءها اشق ومراعاتها اشد لما كان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في

الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي
يصلي عليكم ان فسر بترحم عليكم وترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم
اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك
حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله تعالى لانك لاتكالك
على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك
وعليه قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا الله
بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر
والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال
ما خصك الله يا رسول الله الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع
التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم و
بشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم
وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان
قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند
ادائها قلت هي حال مقدرة كمسالة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا
به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة
قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول
في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من
ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية
الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله
ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا
عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل
بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار
ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة
تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين
فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير
ان يعطف على كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك
من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج

وكبيرة فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان
يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع
الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه والتهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول
يعني دع ان تؤذيهم بضرب او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او دع ما يؤذونك به ولا
تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا
اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله
وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير و
المبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو
مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل
او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل
على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع
خلقه كان حريا بان يكتفى به عن جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه
طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز شعر
اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد
لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية
عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم
الذي نطقت به الاية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل
امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة
الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه والتي في
سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها
تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن
قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح
وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها
خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة
حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال
تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته
فاتزنته وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله شعر ويوم شهدناه اي شهدنا فيه والمراد
بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب
اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها

وحدها

وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب
ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب اجورهن مهورهن لان
المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت
اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قلت قد اختار الله لرسوله الافضل والاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص
واثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان
وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان
لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف
وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه
ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي
طيبة وسبي خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي
منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق على الطيب دون
الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله
عليه السلام من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وآله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب
مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن
عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت
حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون
مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوام جلوسه او وقت
هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له
شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله عليه السلام كانه قال احللنا
لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان
بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة
وتكرير تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد
استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وامته
سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه

ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان
تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا

بمعنى الهبة ولفظها لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان **خالصة لك** مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلالها خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التوكيد لها قوله **قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم** بعد قوله **من دون المؤمنين** وهي جملة اعتراضية وقوله **لكيلا يكون عليك حرج** متصل **بخالصة لك من دون المؤمنين** ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم **وكان الله غفورا** للواقع في الحرج اذا تاب **رحيما** بالتوسعة على عباده روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وآله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك **ترجي** بهمز وبغير همز تؤخر **وتؤوي** تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء وتطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجا خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك **ذلك** التفويض الى مشيتك **ادنى** الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل لم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى

وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب **والله يعلم ما في قلوبكم** فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول **وكان الله عليما** بذات الصدور **حليما** لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر **كلهن** تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن في اتيتهن **لا تحل** وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز **من بعد** من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب **ولا ان تبدل بهن** ولا ان تستبدل بهولاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية **من** في **من ازواج** لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي عليه السلام وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال الاحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة ما مات رسول الله حتى احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف **ولو اعجبك** في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء **رقيبا** حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه **ان يؤذن لكم** في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم **وغير ناظرين** حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والظرف معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهولاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا

ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم و
قلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما

يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبى الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابى عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هى وانى الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله تعالى من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اى غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلم عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلم يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وآله شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد فى قوله فيستحيى منكم من تقدير المضاف اى من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيى من الحق يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغى ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الافعال قيل لا يستحيى من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم هذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة حسبك فى الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحى بياء واحدة الضمير فى سألتموهن لنساء النبى صلى الله عليه وآله ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع قيل ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى انه مر عليهن وهن مع النساء فى المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبى عليه السلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر ان بعضهم قال أننهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو

من

ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شىء عليما لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شىء شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثانى فى هدم الثلث مما يجرى مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وآله عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم او تخفوه فى صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اى لا اثم عليهن فى ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واخشن حدوده واسلكن طريق التقوى فى حفظها وليكن عملكن فى الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شىء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت فى علمه الاحوال قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا اى قولوا الصلوة على الرسول والسلم ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلوة على رسول الله واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فقال عليه السلم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتمونى عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى اوله وآخره ومنهم من اوجبها فى العمر مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه فى الصلوة اهى شرط فى جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعى كانوا

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ٥

يكنفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي فقد جعلها
شرطا فإن قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي
يصلي عليكم وقوله وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وآله اللهم صل على آل أبي
أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى على النبي وآله
فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار
شعارا لذكر رسول الله ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله عليه السلام من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم **يؤذون الله ورسوله** فيه وجهان أحدهما أن يعبر
بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما
كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وآله من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته
مجازا فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية
معنى الحقيقة والمجاز والثاني أن يراد يؤذون رسول الله وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى
والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه
وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما حكى عن ربه
شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله
إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب
التصاوير الذين يروقون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله قولهم ساحر
شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية
بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن إيذاء الله
ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى **بغير ما اكتسبوا**
بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا عليه السلام ويسمعونه
وقيل في الذين أفكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل
لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول **الجلباب** ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة
على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق إلى
أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زيد **شعر** مجلبب من سواد الليل جلبابا
ومعنى **يدنين عليهن من جلابيبهن** يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال
إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام
على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان
الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك
الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا
خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا ٥

الغائط المطمئن من الأرض الواسع والجمع غوط وأغواط وغيطان

والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن
بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن و
يهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله **ذلك أدنى أن يعرفن** أي أولى وأجدر بأن
يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن **فإن قلت** ما معنى من في من جلابيبهن **قلت** هو
للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن
لا تكون المرأة الحرة متبذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها
والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن
سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى
تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين
وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء **وكان الله
غفورا** لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل **الذين في قلوبهم
مرض** قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله فيطمع
الذي في قلبه مرض **والمرجفون** ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون
هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا
إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته
المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء
لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب
الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا **قليلا** ريثما يرتحلون ويتلقطون أنفسهم
وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز **ملعونين** نصب على الشتم أو الحال
أي **لا يجاورونك إلا ملعونين** دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن
لكم إلى طعام غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل
هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين **فإن قلت** ما موقع
لا يجاورونك **قلت** لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى
إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك **فإن قلت** أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف
بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك **قلت** لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر
كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان
كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه **سنة
الله** في موضع مصدر مؤكد أي سن الله **في الذين** نافقوا الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا
وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا وكان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله

وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما إنا
عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان
ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفورا رحيما

عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى
عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين وقريبا
شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد
قرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير
ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان
من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين
وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون
الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف
كان يقولون حالا وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت
فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن
ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثيرا لأعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه
ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم
شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه
من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه
بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة
موسى وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها
ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه
وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وجاه وقرأ ابن مسعود
والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ
في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند
الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فإن قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم
أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد
بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة
والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول
بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد

نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم
في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم
وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة
عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية و
هذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه
على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد
من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما
قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة
وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام
من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى
من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته
إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما
الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو
حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد
وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء
وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان
حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن
عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته
الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك
مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل
ومنه قول القائل شعر أخوك الذي لا يملك الحس نفسه ۞ وترفض عند المحفظات الكتائف
أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم
يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها
وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل
لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل
محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال
به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة
ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا
معاجزين اولئك لهم عذاب
من رجز اليم

الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم لهم من امثال
على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما
يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي
انس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء
بها **فان قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى
لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي في وجهه على احدهما بحال من
يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم
داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه
محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا
والمشبه به غير معقول **قلت** الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض
والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله
بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها
واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب
في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ
ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم
يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم بالصواب قال
رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان
من عذاب القبر **سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات
وما في الارض** كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد عليه من اجله فلما قال الحمد لله ثم وصف
ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك
الذي كساك وحملك تريد ان احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه
المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب **فان قلت** ما الفرق بين الحمدين **قلت** اما الحمد في الدنيا فواجب
لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة
فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة
اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد **وهو الحكيم** الذي احكم امور
الدارين ودبرها بحكمته **الخبير** بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما **ما يلج في الارض** من الغيث
كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات **وما
يخرج منها** من الشجر والنبات وماء العيون والفلز والدواب وغير ذلك **وما ينزل من
السماء** من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات

والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون **وما يعرج فيها** من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة
نعمته وسبوغ فضله **الرحيم الغفور** للمفرطين في اداء واجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب عليه السلام
ننزل بالنون والتشديد قولهم **لا تأتينا الساعة** نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه
من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي **ببلى** على معنى ان ليس الامر
الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل
ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله **ليجزي** لان عظمة
حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر
وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه
اثبت وارسخ **فان قلت** هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى **قلت**
نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل
عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع
الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء
ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا **فان قلت** الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف
لهم باغلظ الايمان واقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما
انكروه **قلت** هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله **ليجزي** فقد
وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من الثواب والمسيء لا بد له من
العقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له وقرئ **لتأتينكم** بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء
ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا
ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي
وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح **ولا يعزب** بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض
عزيب بعيد من الناس **مثقال ذرة** مقدار اصغر نملة **ذلك** اشارة الى مثقال ذرة وقرئ **ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر** على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب
وهو كلام منقطع عما قبله **فان قلت** هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال
ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر **قلت** يأبى ذلك حرف الاستثناء
الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها
في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في
اللوح وقرئ **معجزين واليم** بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب **ويرى** في موضع الرفع اي ويعلم
اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب

الذين أسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي أنزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبره والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك احق بالجنون واشد اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي ينبيكم فان قلت فقد جعل الممزق مصدرا كبيت الكتاب شعر ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا وهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وهو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى على الله كذبا دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة فكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على امر مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان

يقدروا

ينفذوا في اقطارها وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت السموات ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي يخسف بهم بالادغام وليست بقوية يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج وهو ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة الآدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه

وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور

غدوا من اصطخر فقلنا وبخر ايحون منه فيأتون بالشام انشاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ماذا اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه نذقه من عذاب السعير في الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه الجني المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة من أن تبتذل سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان تكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او الصور محذوفة الرؤس وروي انهم كانوا عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظلته النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال شعر تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لأن الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا او هي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر على نعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على وجه الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر قيل فلما قضينا عليه الموت

ودابة الأرض الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الأرضة وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الأسنان فأكلت أكلا والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها اي يطرد ويزجر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءة على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منساته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لأنه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان عليه السلام انه يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لأي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي في وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال قد امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الأرضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في

فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشىء من سدر قليل ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها
السير سيروا فيها ليالى واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا
من المؤمنين

العفا سنة وروى ان داود عليه السلم اسّس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلم فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان عليه السلم فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل ان يعمّى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعويهم علم الغيب وروى ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعده ان يدنو منه وقيل كان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقى فى ملكه اربعين سنة وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهى بلدهم وارضهم التى كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين بانفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما آية وعلامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتى اهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن بسبخة وقيل لم تكن فيها بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا العرم الجرذ الذى نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه من سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد

المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابى عبيدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله ذواتى اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتى اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط فى معنى البرير كانه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرئ هل يجازى وهل نجازى بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة واخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل هل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسدّ كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى التى باركنا فيها هى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت ما معنى قوله ليالى واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالى او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعّد وبا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد كان اجدر

وما كان عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك
وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى

ان تشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء
واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا
باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو
استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون
ويتحازنون عليه **احاديث** يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم
تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا
قال كثير **شعر** ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر ولحق
غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان **صبار** عن المعاصي **شكور**
للنعم وقرئ **صدق** بالتشديد والتخفيف ورفع **ابليس** ونصب **الظن** فمن شدد فعلى حقق عليهم
ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته
جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى
قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على
صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله
كقوله **شعر** صدقت فيهم ظنوني ومعناه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى
وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم ولاغوينهم
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم
واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله **الا فريقا** لانهم قليل بالاضافة
الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين **وما كان له عليهم**
من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة و
ذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم
وقرئ ليعلم على البناء للمفعول **حفيظ** محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان **قل** لمشركي قومك
ادعوا الذين عبدتموهم **من دون الله** من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله
والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون
ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله **لا يملكون مثقال ذرة** من خير وشر او نفع
او ضر **وما له منهم** من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد
عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى **فان قلت** اين مفعولا
زعم **قلت** احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون
من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم

كلاما

كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما
لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من
دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله
والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان
جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى
معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن**
له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن
له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او
هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع
لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند
الله **فان قلت** بم اتصل قوله **حتى اذا فزع عن قلوبهم** ولاي شيء وقعت حتى غاية
قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من
الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم وانه لا يطلق الاذن
الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح و
الملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون
ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل
بعضهم بعضا **ماذا قال ربكم قالوا الحق** اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن
ارتضى وعن ابن عباس رض عن النبي صلى الله عليه وآله فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته
الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا
بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفى الوجل عنها وافنى
من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما
تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها
وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع بمعنى انكشف عنها وعن
علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي
جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف
القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق **وهو العلي الكبير** ذو العلو والكبرياء

قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني
الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون و
قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين

ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امرهم بان
يقرروهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله
وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذى تمكن
فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم
ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه
من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون
بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه
قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا
يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان
لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه **وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال
مبين** ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض
بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال وهذا من كلام المنصف الذى كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب
به قد انصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير
خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض
والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل
شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق منى ومنك وان
احدنا لكاذب ومنه بيت حسان شعر اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء
فان قلت كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال **قلت** لان صاحب الحق
كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك
فيه لا يدرى اين يتوجه وفى قراءة ابى وانا او اياكم اما على هدى او فى ضلال مبين
هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى
المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر
والمعاصى العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك
النار **فان قلت** ما معنى قوله **اروني** وكان يراهم ويعرفهم **قلت** اراد بذلك ان يريهم
الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم
ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به **وكلا** ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره
بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعدما حجهم وقد

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ
تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
واسروا الندامة لما راوا
العذاب

نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله **هو الله العزيز الحكيم** كانه
قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان
كما فى قوله قل هو الله احد **الا كافة للناس** الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا
شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس فى
الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية و
العلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه فى الاحالة
بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل
اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطأ الاول الا بالخطأ الثانى فلا بد له من ارتكاب الخطأين وقرئ
ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان والدليل عليه
من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما تاويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما
الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار
فعل تقديره لكم ميعاد اعنى يوما وازيد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعنى
التعظيم **فان قلت** كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم **قلت** ما سألوا عن ذلك وهم منكرون
له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجئ السؤال على سبيل الانكار و
التعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه الذى بين يديه
ما نزل قبل القران من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفته
رسول الله فى كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع ما تقدمه من كتب الله فى الكفر فكفروا
بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله او ان يكون لما
دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومالهم فى الاخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه
وآله او للمخاطب **ولو ترى** فى الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم
لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون
اولى الاسم اعنى نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان
واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اوتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن
اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين **بعد اذ جاءكم** بعد ان صممتم على الدخول
فى الايمان وصحت نياتكم فى اختياره **بل** انتم منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال على
الهدى واطعتم امر الشهوة دون امر النهى **فكنتم مجرمين** كافرين لاختياركم لا لقولنا و
تسويلنا **فان قلت** اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها **قلت** قد اتسع
فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل فى قولك جئتك بعد اذ جاء
زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد ولما انكر المستكبرون بقولهم

وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما
ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات امنون والذين يسعون فى اياتنا معاجزين اولئك فى
العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو

انحن صددناكم عن الهدى بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان
الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد
ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة
المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين
ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون
عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ وخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم
او مكركم او مكر سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا
مر اولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستيناف ثم جىء بكلام اخر للمستضعفين فعطف
على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير فى واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين فى اعناق الذين
كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالتصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال
وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد
هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة
بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا
امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله
تعالى لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما
نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم فى الدنيا وقد
ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح
فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما
فلا ينقاس عليه امر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق ويقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى
ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدر بالتشديد والتخفيف اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم
بالتى تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التانيث ويجوز ان
يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها اى ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب
وقرا الحسن باللاتى تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذى يقربكم اى بالتى الذى يقربكم والزلفى
والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اى تقربكم قربة كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم

الا من امن استثناء من كم فى تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى
ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم
للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى مفعوله اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم
الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان
يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ فى الغرفات بضم الراء
وفتحها وسكونها وفى الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة
التى هى كنز لا ينفد واما اجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا
المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع
عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شىء فهو
يخلفه فان هذا فى الاخرة ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلاهم رب
العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق
عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى
بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى اوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من
مشته يجد وواجد لا يشتهى هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر
اياك اعنى واسمعى يا جارة ونحوه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من
دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد
على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم
ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا
لمن قص عليه الموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه و
هى مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهى البعد والولى يقع
على الموالى والموالى جميعا والمعنى انت الذى نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم
فبينوا باثباتهم موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان
على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين
حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن و
قالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى اجواف الاصنام
اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ يحشرهم ويقول بالنون والياء الامر فى ذلك
اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لان الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس

وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم
تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد
قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت
فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان

فيما يخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم
ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك والإشارة الأولى
إلى رسول الله والثانية إلى القرآن والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو
وفي قوله وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين
من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور
الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة
المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا
سحر مبين فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا
وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ينذرهم بالعقاب
إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم
بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال الكتاب ولا بعثة رسول كما
قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة
متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى
رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الأمم والقرون
الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام
وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم
استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو
تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون
من الدرس والمعشار والمرباع وهما العشر والربع فإن قلت ما معنى فكذبوا رسلي و
هو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم
وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول
القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله ويجوز أن يعطف على قوله وما بلغوا
كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الأولين فليحذروا
من مثله بواحدة بخصلة واحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وأراد
بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام
الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم
بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به أما الاثنان
فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين

متناصفين

متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر
الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض
فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم
مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك
يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله ما
بصاحبكم من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء
مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما
رقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده
بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل
علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وأصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم
نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب
الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه
نذير مبين فإن قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله
عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله عليه السلام ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما
بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله
عليه السلام بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أي
شيء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر أصلا كما
يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه
الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ
إلى ربه سبيلا وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما
فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم على كل شيء شهيد حفيظ
مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء
القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه
وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل إن و
اسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على
المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر
الذي غاب وخفي جدا الحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة
فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد شعر أقفر من أهله عبيد فاليوم

لا يبدئ ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود
قال دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة
ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده
المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا
والآخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل
لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قرئ ضللت
اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل و
ظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل
على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت
فانما اهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها من اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان
النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة
بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك
قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى جوابه محذوف بمعنى لرأيت امرا
عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد
بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع
وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رض نزلت في خسف
البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت
فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا
بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف
بهم فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اي فزعوا و
اخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو
معطوف على لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ آمنا به بمحمد صلى الله عليه وآله
لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة التناوش والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول
سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم
بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم
في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع
تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه

وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته

وادؤر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث وربع يزيد
في الخلق ما يشاء ان الله
على كل شيء قدير ١٧٠

وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت
ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا ويقذفون معطوف على وقد كفروا به
على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول
الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا
ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد
شيء من عاداته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء
للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به
على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك
مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للنظر في لحوقه حيث يريد ان يقع
فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد
في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله ان يعذبنا قائسين امر الآخرة
على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس
على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا
كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبهم مريب اما
من ارابه اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما
مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى
المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وآله
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة
مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد
عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة
بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء
اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف
لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام
عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها
الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان
اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في
الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيرها ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع
الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير

لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت
قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون في وسط
الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملئكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان
مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبرئيل عليهما السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لا تطيق
ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل في صورته فغشي على
النبي ثم افاق وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله
ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود
مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي ايضا عنه عليه السلام في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء
هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة هو الملاحة في العينين
والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة
في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة
في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف
استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له
يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق ومطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف
نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال اي رحمة كانت سماوية
او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان
قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان
الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان اللفظ المرجوع اليه لا
تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير
الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول
دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه
الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنه ان قاله
فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء
التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من
بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل

يمسك

يمسك ما يقتضي الحكمة ارساله وامساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب
وحفظها عن الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم
عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون
في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع
العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلث فالجر والرفع
على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل
اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او
جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله قلت
نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف
والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق
والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها من الاعراب مثل يرزقكم
في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله
لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك
كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء اسوة ثم جاء بما
يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع
بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له
قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع
فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت فما معنى التنكير في رسل قلت
معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم
وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم
فلا يخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا
يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة
والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او
جمع غار كقاعد وقعود اخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما
فعل بابينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه
ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرف منه
العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجد
منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل
من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه

غرضه يؤمّه فى دعوة سعير ومتبع خطواته هواه ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا
من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة
فبنى الامر كله على الايمان والعمل فى تركهما فذكر الفريقين الذين كفروا والذين امنوا قال لنبيه
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا يعنى افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين
له فكان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا فقال **ان الله يضل من يشاء ويهدى من
يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان
يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى اياه وتخليته
وشانه فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق امر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح
حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابى نواس **شعر** اسقنى
حتى ترانى حسنا عندى القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول
ان لا يهتم بامرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله فى خذلانهم
وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب
لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء
ويهدى من يشاء عليه **حسرات** مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول
هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان تكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير **شعر**
مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا و
صدورا اى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله **شعر** فعلى اثرهم تساقط نفسى حسرات
وذكرهم لى سقام وقرئ فلا تذهب نفسك **ان الله عليم بما يصنعون** وعيد لهم بالعقاب
على سوء صنيعهم وقرئ ارسل الريح **فان قلت** لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله
وما بعده **قلت** ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الريح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او
تهم المخاطب وغير ذلك كما قال تابط شرا **شعر** بانى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة
صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه
الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من
جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر
بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة
الى ما هو ادخل فى الاختصاص وادل عليه والكاف فى كذلك فى محل الرفع اى مثل احياء الموات نشور
الاموات وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله كيف يحيى الله الموتى وما اية ذلك فى خلقه فقال

والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير

هل مررت بوادى اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى
وتلك ايته فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق
كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم
عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة
الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله
فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه
ونظيره قولك من اراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه
مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف
ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم
الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعنى ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب
الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذى
يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد
وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قران ودعاء
واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وآله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى
الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة
السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم
الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو
الرجل اى يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلم الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه
والرافع الكلم او الله تعالى **فان قلت** مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات **قلت** هذه صفة
للمصدر او لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات
او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى
ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وآله اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعنى ومكر اولئك الذين
مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من
مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله **ازواجا** اى اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله
او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم على بعض **بعلمه** فى موضع الحال اى الا معلومة له

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا ايها الناس

فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه
فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه
فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله
بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر
في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلد
ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب
وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون
سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص
من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه واله في قوله ان الصدقة
والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله
لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك
وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم
ذهب يومان حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ
ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن
والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن
كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى
الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات
مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها
تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى
عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا
ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المري السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن
سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع
من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدا والله ربكم له الملك اخبار مترادفة
او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون

من

من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا
ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان
لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون
ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم
اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير
عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين والمعنى ان هذا
الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء
فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء
وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما
كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق
الانسان ضعيفا وقال الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان
قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس
كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم
واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم
المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب
عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا فان قلت فهلا قيل ولا تزر
نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى
منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون
اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى
كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى قوله وان تدع مثقلة الى حملها
لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله وحكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني
في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى
ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد
او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان
تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام
اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل

وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة و
من تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنا أرسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن

فإن قلت ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة قلت نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحدا إلى حملها لا يحمل منه شيء وإن كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أصحابه كانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله وهم الذين أقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فإن قلت كيف اتصل قوله إنما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيمة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبر الله تعالى بعلمه فيهم الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما وللصنم ولله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر والحرور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فإن قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي فإن قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها وترا إلى وتر إن الله يسمع من يشاء يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذرهم وذلك ما لا سبيل إليه ثم قال إن أنت إلا نذير أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين أو صفة للمصدر أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشيرا و

ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون ويقال لأهل كل عصر أمة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث إليهم الذين يعتبر إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر فإن قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله فإن قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرها بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والإنجيل والزبور لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله ألوانها أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد شعر أو مذهب جدد على ألواحه … ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فإن قلت الغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة شعر والمؤمن العائذات الطير … وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب شعر جون السراة له جدائد أربع … وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر ووضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض و

وَبِيءٌ وَالدَّوَابِّ مُخَفَّفًا وَنَظِيرُ هَذَا التَّخْفِيفِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ وَلَا الضَّأْلِّينَ
لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَرَّ مِنَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ فَحَرَّكَ ذَاكَ
أَوَّلَهُمَا وَحَذَفَ هَذَا آخِرَهُمَا وَقَوْلُهُ كَذَلِكَ أَيْ كَاخْتِلَافِ الثَّمَرَاتِ
وَالْجِبَالِ الْمُرَادُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ عَلِمُوهُ بِصِفَاتِهِ وَعَدْلِهِ وَتَوْحِيدِهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ
وَمَا لَا يَجُوزُ فَعَظَّمُوهُ وَقَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَخَشُوهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ وَمَنِ ازْدَادَ
بِهِ عِلْمًا ازْدَادَ مِنْهُ خَوْفًا وَمَنْ كَانَ عِلْمُهُ بِهِ أَقَلَّ كَانَ آمَنَ وَفِي الْحَدِيثِ
أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً وَعَنْ مَسْرُوقٍ كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا
أَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ
أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ فَقَالَ الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَقَدْ
ظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْخَشْيَةُ حَتَّى عُرِفَتْ فِيهِ فَإِنْ قُلْتَ هَلْ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى إِذَا قُدِّمَ
الْمَفْعُولُ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَوْ أُخِّرَ قُلْتُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّمْتَ
اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَخَّرْتَ الْعُلَمَاءَ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِنْ بَيْنِ
عِبَادِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ إِذَا عَمِلْتَ عَلَى الْعَكْسِ انْقَلَبَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّهُمْ لَا
يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ كَقَوْلِهِ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَهُمَا مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ
فَإِنْ قُلْتَ مَا وَجْهُ اتِّصَالِ هَذَا الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ قُلْتُ لَمَّا قَالَ أَلَمْ تَرَ
بِمَعْنَى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وَعَدَّدَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَعْلَامَ قُدْرَتِهِ
وَآثَارَ صُنْعِهِ وَمَا خَلَقَ مِنَ الْفِطَرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى
صِفَاتِهِ أَتْبَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ كَأَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا يَخْشَاهُ
مِثْلُكَ وَمَنْ كَانَ عَلَى صِفَتِكَ مِمَّنْ عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَعَلِمَهُ كُنْهَ عِلْمِهِ
وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِهِ
فَإِنْ قُلْتَ فَمَا وَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ وَهُوَ عُمَرُ
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ قُلْتُ الْخَشْيَةُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ اسْتِعَارَةٌ
وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يُجِلُّهُمْ وَيُعَظِّمُهُمْ كَمَا يُجَلُّ الْمَهِيبُ الْمَخْشِيُّ مِنَ الرِّجَالِ بَيْنَ النَّاسِ
مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ عِبَادِهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ تَعْلِيلٌ لِوُجُوبِ الْخَشْيَةِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى عُقُوبَةِ
الْعُصَاةِ وَقَهْرِهِمْ وَإِثَابَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالْمُعَاقِبُ وَالْمُثِيبُ
حَقُّهُ أَنْ يُخْشَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُدَاوِمُونَ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَهِيَ شَأْنُهُمْ
وَدَيْدَنُهُمْ وَعَنْ مُطَرِّفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هِيَ آيَةُ الْقُرَّاءِ وَعَنِ الْكَلْبِيِّ يَأْخُذُونَ
بِمَا فِيهِ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَعَنِ السُّدِّيِّ هُمْ أَصْحَابُ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ عَطَاءٍ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَرْجُونَ خَبَرُ إِنَّ وَ

التجارة

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ
لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ

التِّجَارَةُ طَلَبُ الثَّوَابِ بِالطَّاعَةِ وَلِيُوَفِّيَهُمْ مُتَعَلِّقٌ بِلَنْ تَبُورَ أَيْ تِجَارَةً يَنْتَفِي عَنْهَا الْكَسَادُ
وَتَنْفُقُ عِنْدَ اللَّهِ لِيُوَفِّيَهُمْ بِنَفَاقِهَا عِنْدَهُ أُجُورَهُمْ وَهِيَ مَا اسْتَحَقُّوا مِنَ الثَّوَابِ وَ
يَزِيدَهُمْ مِنَ التَّفَضُّلِ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ يَرْجُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَأَنْفَقُوا
رَاجِينَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَيْ فَعَلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ التِّلَاوَةِ وَإِقَامَةِ الصَّلَوٰةِ وَالْإِنْفَاقِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِهَذَا الْغَرَضِ وَخَبَرُ إِنَّ قَوْلُهُ غَفُورٌ شَكُورٌ عَلَى مَعْنَى غَفُورٌ لَهُمْ شَكُورٌ لِأَعْمَالِهِمْ وَ
الشُّكْرُ مَجَازٌ عَنِ الْإِثَابَةِ الْكِتَابُ الْقُرْآنُ وَمِنْ لِلتَّبْيِينِ أَوِ الْجِنْسُ وَمِنْ لِلتَّبْعِيضِ
مُصَدِّقًا حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْفَكُّ عَنْ هَذَا التَّصْدِيقِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِمَا تَقَدَّمَهُ
مِنَ الْكُتُبِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ يَعْنِي أَنَّهُ خَبَرَكَ وَأَبْصَرَ أَحْوَالَكَ فَرَآكَ أَهْلًا لِأَنْ يُوحِيَ إِلَيْكَ
مِثْلَ هَذَا الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الَّذِي هُوَ عِيَارٌ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ ثُمَّ
أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ قُلْتُ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ
ثُمَّ أَوْرَثْنَا مِنْ بَعْدِكَ أَيْ حَكَمْنَا بِتَوْرِيثِهِ أَوْ قَالَ أَوْرَثْنَاهُ وَهُوَ يُرِيدُ نُورِثُهُ
لِمَا عَلَيْهِ أَخْبَارُ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا وَهُمْ أُمَّتُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ
وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُمْ عَلَى سَائِرِ
الْأُمَمِ وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَاخْتَصَّهُمْ بِكَرَامَةِ
الِانْتِمَاءِ إِلَى أَفْضَلِ رُسُلِ اللَّهِ وَحَمْلِ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْكُتُبِ ثُمَّ
قَسَمَهُمْ إِلَى ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ مُجْرِمٍ وَهُوَ الْمُرْجَأُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَمُقْتَصِدٍ وَهُوَ الَّذِي
خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَسَابِقٍ مِنَ السَّابِقِينَ وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ قَدَّمَ
إِرْسَالَهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَقَدْ جَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ فَأَثْنَى
عَلَى التَّالِينَ لِكُتُبِهِ الْعَامِلِينَ بِشَرَائِعِهِ مِنْ بَيْنِ الْمُكَذِّبِينَ بِهَا مِنْ سَائِرِ
الْأُمَمِ وَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ قَالَ ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا أَيْ مِنْ بَعْدِ أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ يُرِيدُ
بِالْمُصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ أَهْلَ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ فَإِنْ قُلْتَ فَكَيْفَ جُعِلَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
بَدَلًا مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ السَّبْقُ بِالْخَيْرَاتِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ قُلْتُ لَمَّا كَانَ
السَّبَبَ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ نُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْمُسَبَّبِ كَأَنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ فَأُبْدِلَتْ عَنْهُ جَنَّاتُ
عَدْنٍ وَفِي اخْتِصَاصِ السَّابِقِينَ بَعْدَ التَّقْسِيمِ بِذِكْرِ ثَوَابِهِمْ وَالسُّكُوتِ عَنِ الْآخَرَيْنِ مَا
فِيهِ مِنْ وُجُوبِ الْحَذَرِ فَلْيَحْذَرِ الْمُقْتَصِدُ وَلْيَهْلِكِ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ حَذَرًا وَعَلَيْهِمَا
بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ الْمُخَلِّصَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يَغْتَرُّوا بِمَا رَوَاهُ عُمَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ فَإِنَّ شَرْطَ ذَلِكَ صِحَّةُ

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات

التوبة لقوله عسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه **فإن قلت** لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق **قلت** للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقين أقل من القليل وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مخصوصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات يدخلونها على البناء للمفعول **يحلون** من حليت المرأة فهي حال **ولؤلؤا** معطوفا على محل **من أساور** داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولوليا بتخفيف الهمزة الأولى **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور** وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير الحسنات **الذي أحلنا دار المقامة من فضله** المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت **فإن قلت** ما الفرق بين النصب واللغوب **قلت** النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا** فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وإدخالا في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون **كذلك** مثل ذلك الجزاء يجزى وقرئ يجازى ونجزي كل كفور بالنون **وهم يصطرخون** يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال **شعر** كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث

قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا

صوته **فإن قلت** هل اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة **غير الذي كنا نعمل** على أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه **قلت** فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله **أولم نعمركم** توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر يتمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة **والنذير** الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر **فإن قلت** علام عطف وجاءكم النذير **قلت** على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير **إنه عليم بذات الصدور** كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى كل ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر ذو بطن خارجة جارية وقوله **شعر** لتغني عني ذا إنائك أجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل كذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف والخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة **فمن كفر** منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث إليهم رسول الله أي جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم **أروني** بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه من دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله **بل إن يعد الظالمون بعضهم** وهم الرؤساء **بعضا** وهم الأتباع **إلا غرورا** وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند

إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا
يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ...

الله وقرئ بثبات **أن تزولا** كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع
إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدًّا لأجل
كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وقرئ ولو زالتا وإن أمسكهما
جواب القسم في **ولئن زالتا** سدّ مسدّ الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء
من بعده من بعد إمساكه وعن ابن عباس أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال
كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب
كعب ما نزلت يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وآله أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل
فكذبوا لئن أتانا رسول **ليكونن أهدى من إحدى الأمم** فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبوه وفي إحدى الأمم وجهان أحدهما من بعض
الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي
يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة **ما زادهم**
إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم **نفورا** عن الحق وابتعادا
عنه كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم **استكبارا** بدل من نفورا أو مفعول له على
معنى فما زادهم إلا نفورا استكبارا وعلوا في الأرض وحال بمعنى مستكبرين و
ماكرين لرسول الله والمؤمنين ويجوز أن يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا **فإن قلت**
ما وجه قوله ومكر السيئ **قلت** أصله وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكر السيئ
ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله** ومعنى يحيق يحيط
وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى
الله عليه وآله لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس
قرأت في التورية من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله تعالى فقرأ هذه
الآية وفي أمثال العرب من حفر جبا لأخيه وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ بإسكان الهمزة
وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ
ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الأولين إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالهم
لذلك انتظارا له منهم وبيّن أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها
وأن ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام و
العراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا
من معاصيهم على ظهرها من قرأ سورة الملئكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

سورة يس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلث وثمانون آية
قرئ يس بالفتح كأين وكيف وبالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الأصل كجير وبالرفع على هذه ياسين
أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت وعن ابن عباس معناه يا إنسان في لغة طي والله أعلم
بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على
شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله **الحكيم** ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي أو لأنه
كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم **على صراط مستقيم** خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين **فإن قلت**
أي حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم **قلت** ليس
الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما
الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال
إنك لمن المرسلين الثابتين على صراط ثابت وأيضا فإن التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين
الصراط المستقيم صراطا مستقيما لا يكتنه وصفه وقرئ **تنزيل العزيز الرحيم** بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن **قوما ما أنذر آباؤهم** غير منذر
آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم
قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية
لتنذر قوما إنذارا آباؤهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم
من العذاب كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا **فإن قلت** أي فرق بين تعلقي قوله **فهم غافلون**
على التفسيرين **قلت** هو على الأول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم إنذارهم
هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره
فإنه غافل أو فهو غافل **فإن قلت** كيف يكونون منذرين غير منذرين لمنافاة هذا ما
في الآي الأخر **قلت** لا منافاة لأن الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء
من ولد إسمعيل وكانت النذارة فيهم **فإن قلت** ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو
الظاهر فما تصنع به **قلت** أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد **القول** قوله لأملأن جهنم
من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون
على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في
أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين
بين السدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن
النظر في آيات الله **فإن قلت** ما معنى قوله فهي إلى الأذقان **قلت** معناه فالأغلال واصلة إلى
الأذقان ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن
حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله

ولا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرأ ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي وللايمان قلت يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه منها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فاعمى الله بصره فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم نفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هي كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار كان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان فقيل بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون بالذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم او شيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة

بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقال نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وعن عمر بن عبد العزيز لو كان مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ انه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الهتهم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل عليه السلام فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه وقهره اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به

قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن
من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا
يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا
البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم
معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصا
المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون وما لي لا أعبد
الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة
إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت
بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال
يا ليت قومي يعلمون

بما غفر
لي ربي و
جعلني من المكرمين

وهم يسمعون وما ألطفه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا
إلى غرض من الأغراض جعل سياقه وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطروح ونظيره
قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر
المحكوم له والمحكوم عليه إنما رفع **بشر** ونصب في قوله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك
كريم لأن إلا نقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل **فإن قلت** لم
قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون آخرا **قلت** لأن الأول ابتداء إخبار و
الثاني جواب عن إنكار وقوله **ربنا يعلم** جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد
الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم **وما
علينا إلا البلاغ المبين** أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة على صحته وإلا فلو قال المدعي
والله إني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا **تطيرنا بكم** تشاءمنا بكم وذلك أنهم
كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه و
آثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا
ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه و
عن مشركي مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك و
عن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم **طائركم معكم** وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم وسبب
شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم أي تطيركم وقرئ **أئن ذكرتم**
بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن ذكرتم بألف بينهما بمعنى أتتطيرون إن ذكرتم و
قرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن و
إن بغير همزة الاستفهام بمعنى الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ
أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم
فيه أشأم **بل أنتم قوم مسرفون** في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل
الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب
التبرك به من رسل الله **رجل يسعى** هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام
ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر
وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت
تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره
وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل غضب الله
عليهم وأهلكوا بصيحة جبرئيل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سباق

الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون
من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم
شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام
في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض
النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله **وما لي لا أعبد الذي فطرني**
مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى إلى قوله **وإليه ترجعون** ولولا
أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال **إني
آمنت بربكم فاسمعون** يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي
لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول و
أنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء
لم ينفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم
منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا
يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن
يقتل فقال لهم **إني آمنت بربكم فاسمعون** أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي وقرئ **إن
يردن الرحمن بضر** بمعنى إن يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر أي لما قتل **قيل ادخل
الجنة** وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وقيل معناه البشرى بدخول الجنة
وأنه من أهلها **فإن قلت** كيف مخرج هذا القول في علم البيان **قلت** مخرجه مخرج الاستئناف
لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه
بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل
قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك **قال
يا ليت قومي يعلمون** مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم
وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن
الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة وفي حديث مرفوع
نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل و
الترؤف على من أدخل نفسه في غمار أهل الجهل والأشرار وأهل البغي والتشمر في
تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ألا ترى
أنه كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى
ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة

وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون

وان عاداه لم تكسبه الا فوزا ولم يعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطته ولذته وتضاعف لذة وسروره الاول وجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شئ غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق وقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وآله بكل شئ على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة شعر وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه

وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم

وقراءة من قرأ يا حسرتا يعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة وعن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا تفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا وقرئ لما بالتثقيل على الحقيقة استثنائية على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه شعر ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق ومنه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة شعر فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له في ذلك فقال اردت

كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون
عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف
اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير **الازواج** الاجناس والاصناف **ومما لا يعلمون**
ومن ازواج لم يطلعهم الله تعالى عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق
الله تعالى من الخلائق والحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم
ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما
لا يعلمون وعن ابن عباس لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو
ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علمه ومما
جهله ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه **سلخ** جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه
سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله **مظلمون**
داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا **لمستقر لها** لحد لها موقت مقدر
ينتهي اليه من فلكها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق
والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك
حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو
المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر
السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقرها
وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري ولا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى
ليس **ذلك** الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه
وتتحير الافهام عن استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما
بكل معلوم وقرئ **والقمر** رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن اياته القمر ونصبا
بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر
منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد
منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل
الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع
النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة فرع الدلو المقدم
الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم

لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون

فرع الدلو المؤخر الرشاء واذا كان في اخر منازله دق واستقوس و**عاد كالعرجون**
القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون
من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون والقديم المحول اذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل
اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك
في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر وقرئ **سابق النهار** على الاصل والمعنى ان الله
تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما
ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع
التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله **ان تدرك**
القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار
يعني اية الليل واية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله
ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان**
قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في
سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطئ سيرها
عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره **وكل** التنوين فيه عوض من المضاف
اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره **ذريتهم** اولادهم ومن يهمهم
حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري
يعني النساء **ومن مثله** من مثل الفلك **ما يركبون** من الابل وهي سفائن البر وقيل
الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل اباءهم الاقدمين و
في اصلابهم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في
التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح عليه السلام **ومن مثله** ومن
مثل ذلك الفلك **ما يركبون** من السفن والزوارق **فلا صريخ** فلا مغيث او فلا
اغاثة يقال اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** لا ينجون من الموت بالغرق **الا رحمة**
الا لرحمة **منا** ولتمتيع بالحيوة **الى حين** الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت
الغرق ولقد احسن من قال شعر ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ
الحسن **نغرقهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم** كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما
خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين
ايديكم من الوقائع التي خلت يعني مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما
خلفكم من امر الساعة **لعلكم ترحمون** لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون

عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال وقد أبهم الإعراض عند كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء الله لأعزه ولو شاء الله لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعنى أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على إطعامه ولم يشأ إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم إن أنتم إلا في ضلال قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون لا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم وقرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم والأجداث القبور وقرئ بالفاء وينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا من مرقدنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوا من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره

فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون

فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل إلا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكر كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين إلا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا إن أصحاب الجنة في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الولة والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الأبكار وعن ابن كعب في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاح وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين بكسر الكاف على أنه حال والظرف مستقر وهم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد شعر فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو أهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

ذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رض والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام يعني ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقوله سلاما مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون **سلام** اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجاز وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا **وامتازوا** وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى فمعناه ان بعضهم يمتاز عن بعض **العهد** الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع و**عبادة** الشيطان طاعته فيما يوسوس اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحّد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا **هذا** اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير **شعر** لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير اراد انني لفقير بين الفقر بليغه حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله **هذا صراط مستقيم** يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه ما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه قرئ **جبلا** بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رض جيلا واحد الاجيال يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ **نختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم** وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ

وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ لتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة **الطمس** تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة **فاستبقوا الصراط** لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه وينتصب على الظرف والمعنى على الاول لو نشاء لمسحنا اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او ولو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا عنه ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضربوا به من المقاصد دون غيرها **على مكانتهم** وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي **لمسخناهم** مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث والمضي كالعتي والمضي كالصبي **ننكسه في الخلق** نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف ننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس **افلا يعقلون** بالتاء والياء وكانوا يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر روي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل **وما علمناه الشعر** اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو من الشعر

إن هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون

والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى واين الوزن واين التقفية واين المعانى التى ينتحيها الشعراء من معانيه واين نظم كلامهم من نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظ عربى كما ان ذاك كذلك **وما ينبغى له** وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث اذا اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له **فان قلت** فقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت **قلت** ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاءات الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال **ان هو الا ذكر وقرآن مبين** يعنى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الجن والانس كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين **لينذر** القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه **من كان حيا** اى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان **ويحق القول** وتجب كلمة العذاب **على الكافرين** الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان **مما عملت ايدينا** مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من يعملون بالايدى **فهم لها مالكون** اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله **شعر** اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا اى لا اضبط وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل **شعر** يصرفه الصبى بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ **ركوبهم وركوبتهم** وهو ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم **منافع**

واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين

من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك **ومشارب** من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب **واتخذوا آلهة** طمعا فى ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة **جند** معدون **لهم محضرون** لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار وقرئ **فلا يحزنك** بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون **بما يسرون** من عداوتهم **وما يعلنون** وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن **فان قلت** ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوحشنا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع مع الله الها آخر قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادى كفر الانسان وافراطه فى جحود النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى القحة حيث قرره بان عنصره الذى خلقه منه هو اخس شئ وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءته لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى ان جماعة من كفار

وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء و
اليه ترجعون ۝

قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة فتكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى ولما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل المسواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر على ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض وان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي الحكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير

في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات من اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها ص

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا ان الهكم
لواحد ۝

توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فان قلت ما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها عن ابن عباس لا اعلم ما روي في فضايل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان في القرآن سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات وهي مائة واحدى وثمانون اية وقيل اثنتان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامهم في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله والزاجرات السحاب سوقا والتاليات لكتاب الله المنزل وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب عليه السلام فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله شعر يا لهف زيابة

رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ٥

للحادث فالصالح فالغانم فالآيب كأنه قال الذي صبح فغنم فآب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين. فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات. فإن قلت فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده. قلت إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه. وبيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل، إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة، وإما على العكس. وكذلك إذا أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا، أو على العكس. وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر، فإن الموصوفات مختلفة. وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال. رب السموات خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا، وكذلك المغارب، تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد منها يومين. فإن قلت فما أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين. قلت أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما. الدنيا القربى منكم. والزينة مصدر كالنسبة، واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة، ويحتملهما قوله بزينة الكواكب. فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب، وأصله بزينةٍ الكواكبُ، أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها، وأصله بزينةٍ الكواكبَ، وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب. وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان: أن تقع الكواكب بيانا للزينة، لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به، وأن يراد ما زينت به الكواكب. وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب. ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك، ومطالعها ومسايرها. وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال. ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة. وحفظا مما حمل على المعنى، لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين، كما قال: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين. ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل: وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب. وقيل: وحفظناها حفظا. والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها. الضمير في لا يسمعون لكل شيطان

لأنه في معنى الشياطين. وقرئ بالتخفيف وبالتشديد، وأصله يتسمعون. والتسمع تطلب السماع، يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع. وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون. وبهذا ينصر التخفيف على التشديد. فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله. قلت لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا، فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم، فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب. فإن قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني، فبقي أن لا يسمعوا، فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل: ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى. قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، وأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب. فإن قلت أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه. قلت المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك. والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات، والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة، وعنه أشراف الملائكة. من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق. دحورا مفعول له، أي ويقذفون للدحور وهو الطرد، أو مدحورين على الحال، أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون دحورا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا، أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع. والواصب الدائم، وصب الأمر وصوبا، يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع. من بدل من الواو في لا يسمعون، أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة. وقرئ خِطِّف بكسر الخاء والطاء وتشديدها، وخَطِّف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها، وأصلهما اختطف. وقرئ فاتّبعه. فاستفتهم فاستخبرهم، والهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها، فلذلك قيل فاستفتهم أي استخبرهم أهم أشد خلقا، ولم يقل فقررهم. والضمير لمشركي مكة، وقيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وكني بذلك لشدة بطشه وقوته. أم من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة، وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا. والدليل عليه قوله بعد عد هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة، وقوله إن

بصرة ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من
كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة هذا يوم الفصل من كلام الملائكة
جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذى يدان فيه اى يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق
بين فرق الهدى والضلال احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم
ونظراءهم عن النبى صلى الله عليه وآله وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا
مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم
فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما
كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون فقد اسلم بعضهم
بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام
اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون
ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى
كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت
الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله يحب التيامن فى كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات
ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه
فقيل اتاه عن اليمين اى من قبل الخير وناحيته وصده عنه واضله وجاء فى بعض التفسير من اتاه
الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل
الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه
خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة فان قلت فلم اتاه من جهة
الخير وناحيته مجاز فى نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب فى الاستعمال
حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملوا على الضلال وتقسروا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم
بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على
الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه
بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ
المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل شعر لقد زعمت هوازن قل مالى
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية

بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا و
عظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما

خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب
الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا من ذلك ويقطع به قراءة من
قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق
وفى خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى
وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر
عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع
من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا
منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى
يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا
القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والتاء بدل الشديد الاضاءة بل عجبت من
قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة ثم يسخرون منك ومن تعجبك وما تريهم من
اثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اى بلغ من
عظيم اياتى وكثرة خلائقى انى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء لجهلهم وعنادهم يسخرون
من اياتى او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة
عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله وانما هو روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ
والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثانى
ان يخيل العجب ويفرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان
شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شئ وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعى ان شريحا
كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم منه يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به واذا رأوا اية من
ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون فى السخرية او يستدعى بعضهم
من بعض ان يسخر منها واباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون والذى
جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا الاولون على زيادة
الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او اباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر
العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اى الله او الرسول نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون
فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هى الا زجرة واحدة وهى لا ترجع الى شئ انما
هى مبهمة يوضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة
من قولك زجر الراعى الابل او الغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه قوله شعر
زجر ابى عروة السباع اذ اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احياء

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين
إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم
مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون

لفظ الحالف والتاء لإقبال الحلف على الحالف فأغويناكم فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم للغي على الرشد إنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين يعني أن سبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه استحقها إنهم كانوا إذا سمعوا كلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وآله بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله شعر ولا ذاكر الله إلا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذائقون العذاب إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بسيء إلا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد برزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم هو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس أولي الهمم كما أن أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم متقابلين أي على السرر وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال شعر وكأس شربت على لذة وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر بيضاء صفة للكأس لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب شعر ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها إذا لم يبق فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال شعر لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى

قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم

لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فإن قلت علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال شعر وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في أخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو المسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله شعر هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في استمساكي بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء أو إنعام الله بالثواب وكوني من أهل الجنة من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذي عطف عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا

لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى
الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ٥

الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت
قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وليسمع من قرينه
ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا
كذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اى ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله
عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن
وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا اى خير حاصلا ام شجرة الزقوم
واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل
الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان
تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار
نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال
الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة
الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما
ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية
او معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان
مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انهم شر محض لا يخالطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه
وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يكون ويقدر
واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر
هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين
وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك
رجع اصلا ثانيا يشبه به فمالئون منها من الشجرة اى من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد
او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا
من غساق او صديد شوبا اى مزاجا من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة
شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت في الاول
وجهان احدهما انهم يملئون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا

يسقون

ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا
الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ
قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ٥

يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على
تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم
عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون
الى ان يتملوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان
منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى الجحيم علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد
الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم
يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش منذرين
اى انبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وحذروا اى اهلكوا جميعا الا عباد
الله الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين
في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه و
اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده و
بغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم
وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين
الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد سام وحام
ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك
ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون
عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت ما معنى
قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله
التسليم على نوح عليه السلام وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح بتلك
التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا
بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك
في تحصيله والازدياد منه من شيعته اى ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء
وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان
بين نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف
بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف
وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات

أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى
آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون

أولى من بعض قربانها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به يعني أتريدون إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها إفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا يعني أتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او بامارة في علم النجوم على انه سقيم فقال اني سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل فإن قلت كيف جاز له أن يكذب قلت قد جوز بعض الناس الكذب في المكيدة في الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام وقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد شعر فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل أراد إني سقيم النفس لكفركم فراغ إلى آلهتهم فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب إلى آلهتهم إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله أين شركائي ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزفه إذا أدخله في الزفيف أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه وكأن بعضهم يزف بعضا لتسارعهم إليه فإن قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم

فلما

قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من
الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين

فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها ليتبركوا عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على أعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن أي فطر الأصنام فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فإن قلت أجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد بما تعملون من أعمالكم قلت بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه وأرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي سيهدين أي سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين وكان الله وعده وقال إني سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعده أو بناء على عادة الله معه

فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين
وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين ٥

في الهداية وارشاده واظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلم عسى ربي ان يهديني سواء السبيل **هب لي من الصالحين** هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان جاء في الاخ في قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب عليه السلم لابن عباس حين هنأه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب وموهب قد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلم باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله ابرهيم عليه السلم ان ابرهيم لحليم اواه منيب ان ابرهيم لاواه حليم لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا **فلما بلغ** ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه **فان قلت** معه بم يتعلق **قلت** لا يخلو ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال **اني ارى في المنام اني اذبحك** فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله تعالى يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقيل ان الملئكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله تعالى فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك **فانظر ماذا ترى** من الراي على وجه المشاورة وقرى ماذا تري اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي **افعل ما تؤمر** اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله شعر امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تؤمر به **فان قلت** لم شاوره في امر هو حتم من الله **قلت** لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر

وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة وقد قيل لو شاور آدم الملئكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك **فان قلت** لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة **قلت** كما ارى يوسف عليه السلم سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وآله دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احديهما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرى بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في **اسلما** اسلم هذا ابنه وهذا نفسه **وتله للجبين** صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فان قلت** اين جواب لما **قلت** هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس **البلاء المبين** اي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها **الذبح** اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم **عظيم** ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم عليه السلم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وروي في قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شي من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز

علي ليكون أهون فإن الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي
فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال إبرهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل
عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لأن الله ضرب صفيحة نحاس
على حلقه فقال له كبني على وجهي فإنك إذا نظرت إلى وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك
وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا إبرهيم قد صدقت
الرؤيا فنظر فإذا جبرئيل معه كبش أقرن أملح فكبر جبرئيل والكبش وإبرهيم وابنه وأتى
المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهد
أبو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة فإن قلت من كان الذبيح من
ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين
أنه إسمعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله
لئن سهل الله أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد
ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال
كان مجتهد بني إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله إبرهيم وإسمعيل وإسرائيل فقال موسى يا رب
ما لمجتهد بني إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله إبرهيم وإسمعيل وإسرائيل وأنا بين أظهرهم قد
أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني أحد حب إبرهيم قط
ولا خير بيني وبين شيء قط إلا اختارني وأما إسمعيل فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل
فإنه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله عز وجل لما أتم قصة الذبيح
قال وبشرناه بإسحق وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسمعيل فقال عمر إن هذا لشيء
ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله فقال إن يهود لتعلم أنه
إسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة
في أيدي بني إسمعيل إلى أن احترق البيت وعن الأصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح
فقال يا أصيمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحق بمكة وإنما كان إسمعيل بمكة وهو
الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله عز وجل وصفه بالصبر دون إسحق
في قوله وإسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق
الوعد في قوله إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولأن
الله بشره بإسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فلو كان الذبيح
إسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة
وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم أنه إسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبرهيم

حين

حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولدا ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام
المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف من يعقوب إسرائيل بن إسحق ذبيح الله بن خليل الله فإن قلت قد
أوحي إلى إبرهيم في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح
منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه
ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل إبرهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى
عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم و
ليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام
حتى يشتغل بالكلام فيه فإن قلت الله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال
وفديناه قلت الفادي هو إبرهيم عليه السلام والله عز وجل هو الذي وهب له الكبش ليفدي به وإنما قال
وفديناه إسنادا للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فإن قلت فإذا كان ما أتى به
إبرهيم عليه السلام من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل
قلت قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم فوهب الله الكبش ليقيم ذبحه
مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فإن
قلت فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبرهيم عليه السلام مقام
الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور
وإيجاد المأمور من كل وجه فإن قلت فلم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص إنا كذلك
قلت قد سبقه في هذه القصة إنا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية
نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فإن قلت فرق ما بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين
وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين
الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب
عدم حاله لا محالة لأن الحال حلية والحلية لا تقوم إلا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو إسحق حين
وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال
صفة للفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها
صفتهم لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدرة
وقت وجود البشارة بإسحق عليه السلام لعدم إسحق قلت هذا سؤال دقيق المسلك والذي يحل الإشكال
أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود إسحق نبيا أي بأن يوجد مقدرة نبوته
فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين
من الصالحين وعن قتادة حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لأن كل نبي لا بد
وأن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة إسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول

وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين
الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ٥

الذبيح اسحق لصاحبه من تعلقه بقوله وبشرناه باسحق وقالوا لا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا **وباركنا عليه وعلى اسحق** وقرئ بركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله **وظالم لنفسه** نظير قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه **من الكرب العظيم** من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم **ونصرناهم** الضمير لهما او لقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما **الكتاب المستبين** البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند تفوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو **والصراط المستقيم** صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ **الياس** بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى عليه السلام **اتدعون بعلا** اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموا اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله **الله ربكم ورب آبائكم** قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ **على الياسين** وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون **فان قلت** فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته **قلت** لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل **مصبحين** داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها وقرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز **والمساهمة** المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا **والمدحض** المغلوب بالقرعة وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء **فالتقمه**

ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك
المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى
حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون
ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون ٥

الحوت وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب من شوب مبنيا على شيب ونحو مدعي بناء على دعي **من المسبحين** من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد له متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدايد **للبث في بطنه** الظاهر لبثه فيه حيا **الى يوم يبعثون** وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطا سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل **بالعراء** بالمكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه **وهو سقيم** اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد **من يقطين** كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدبا وفائدة الدبا ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر **فان قلت** ما معنى انبتنا عليه شجرة **قلت** انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان **وارسلناه الى مائة الف** المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا **او يزيدون** في مرأى الناظر اذا راها الناظر بادي الرأي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين **فاستفتهم** معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملئكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم

الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم
سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون
الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا
لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به

من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام
والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ومن ينشأ في الحلية وهو في
الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم
ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر و
لانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف وكرر الله سبحانه الانواع كلها في
كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون
له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء
بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق
ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر
وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل
بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والذكر والمؤنث تقول هذا ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى
البنات بفتح الهمزة استفهام على سبيل الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على
الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة
وان كان على هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها
وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة
بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة
بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد
ما الاساليب التي وردت عليها ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك
عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا
فضلا ان يجعلها معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد الملائكة
نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك
جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن

من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله
فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان
كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان
من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه
ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين
عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم
يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار
معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك
النسبة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان عوذا بالله من قولهم وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة
الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين
عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة
لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون
وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في
يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله عز
وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق
في علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت معناه تفسدونهم
عليه باغوائكم واستهوائكم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه
ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته
جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم
مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم
قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين اي حاملين على طريق الفتنة والاضلال
الا من هو ضال مثلكم او يكون من اسلوب قوله شعر فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم
وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء
الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ
مجموع المعنى فحمل على لفظه هو وعلى معناه الصالون كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من و
معناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك
في شائك والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم
ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين
دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما منا الا له مقام معلوم

فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين
وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله شعر انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من ارمى البشر **مقام معلوم** مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه **لنحن الصافون** نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا في الهوا منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين **المسبحون** المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون على ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكونوا مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا في طاعته وعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه **وان كانوا ليقولون** هم مشركوا قريش كانوا يقولون **لو ان عندنا ذكرا** اي كتابا **من** كتب **الاولين** الذين نزل عليهم التورية والانجيل **لكنا عباد الله المخلصين** ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا **فكفروا به** وهو الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا **فسوف يعلمون** عاقبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره الكلمة قوله **انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون** وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات
حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا
واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا
بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق

نصروا في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت **فتول عنهم** فاعرض عنهم واغض على اذاهم **حتى حين** الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة **وابصرهم** وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب الاخرة **فسوف يبصرون** ما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في الاخرة والمراد بالامر بابصارهم على الحالة المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله **فسوف يبصرون** للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروا فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها وتروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب **فساء صباح المنذرين** صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس ما انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر وعن انس لما اتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى **وتول عنهم** ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى التأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت الاية على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي عليه السلم من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين والحمد لله رب العالمين **سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء

الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار
حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها
بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة
وهي المعارضة المعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة
ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه
على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال
والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة
كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم
والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن
ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق عن الاذعان لذلك والاعتراف
بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك
ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن
ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف
والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج
اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم
اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة
ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير
بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر و
امتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس
زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانه قال ولا حين
مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا
حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين
مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد
الطائي شعر طلبوا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه
الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض
التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم

قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد
المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا
الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف
عليها بالتاء كما يقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء
كما يقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده
بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن
قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال
حارثة بن بدر شعر غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل منذر
منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا
القول لا يتجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون
حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد
وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر فرح به
المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش بلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا
الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في
الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله و
قال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وآله ماذا
يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وآله ارايتم ان
اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم
وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من
المخفف ونظيره كريم وكرام وقوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله
لان ذلك في الفعل محال الملأ اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله
صلى الله عليه وآله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان
هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا
الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب
ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول
وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل

ءأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك
الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر

قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وآله ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم
واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن
على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا في الملة الآخرة في ملة
عيسى التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا
عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا
ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث
في الملة الآخرة توحيد الله إن هذا إلا اختلاق أي افتعال ولذلك أنكروا أن يختص بالشرف
من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي
من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا
اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فإذا ذاقوا
زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيضطرون
إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى
يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها
عن محمد عليه السلام وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب
المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك
نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض حتى يتكلموا في الأمور
الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا
يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من
هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج و
الطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم جند ما هنالك
مهزوم من الأحزاب يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول امرئ القيس شعر وحديث ما على قصره إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك
إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن
ينتدب لأمر لست هنالك ذو الأوتاد أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال
شعر والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد فاستعير لثبات العز
والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود شعر في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يتد
المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد و

يتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة
الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب
ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه
فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا
وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية
ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة
عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم
حق عقابهم وما ينظر هؤلاء أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم
بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله إلا صيحة واحدة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما
لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها
لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن
عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة
ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط
من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها
قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا أي نصيبنا من العذاب
الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله
وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا
صحيفة أعمالنا ننظر فيها فإن قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا
داود حتى عطف أحدهما على صاحبه قلت كأنه قال للنبي عليه السلام اصبر على ما يقولون
وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله قد أولاه ما
أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه
على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى
من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه لا يزال يجدد الندم عليها فما
الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وآله اصبر على ما يقولون وصن نفسك
وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته
على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي
ذا الأيد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة و
الملك يصوم يوما والإشراق ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء و
يفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد
وأياد كل شيء ما يتقوى به أواب تواب رجاع إلى مرضاة الله تعالى فإن قلت
ما دلك على أن الأيد القوة في الدين قلت قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل لذي الأيد

والطير محشورة كل له أوّاب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا
المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على
بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر

يصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولمّا تشرق
وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة
الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون
ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق
وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية
وعنه لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي و
الإشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني
لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني
هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشرق ومنه قوله تعالى فأخذتهم
الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير وأن يراد وقت صلاة الفجر لانتهائه
بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فإن قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات
قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح
من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها
تسبح ومثله قول الأعشى إلى ضوء نار في يفاع تحرّق ولو قال محرّقة لم يكن شيئا
وقوله محشورة في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة
على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على
أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لأن حشرها جملة
واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت
إليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له أوّاب كل واحد
من الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأوّاب
موضع المسبح إما لأنها كانت ترجّع التسبيح والمرجّع رجّاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد
رجوع وإما لأن الأوّاب وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر
ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أوّاب
أي مسبح مرجّع للتسبيح وشددنا ملكه قوّيناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شدّدنا
على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله
به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة
فأوحي إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل
فقال المدعى عليه إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال
الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل

كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول
كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل
أي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من
يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل و
الوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده
ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار
والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت
بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ
وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب هو قوله البينة
على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله
أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض
المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس
فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فصل
لا نزر ولا هذر كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها
إذا أعجبته وكانت لهم في المواساة بذلك عادة قد اعتادوها وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون
المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول
له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك و
ارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة
واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت
به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه
المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال
يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحي إليه إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فقد ابتلي
إبراهيم بنمرود وذبح ولده وإسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء
فأوحى إليه إنك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه و
جعل يصلي ويقرأ الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له
صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت
شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو
صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن
يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله على يديه وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى

قتل وأتاه خبر قتله فلم يجزع كما كان يجزع على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح
أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء
وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي أنه حدث
بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما
في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف
الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة
أن ينزل له عنها فحسب فإن قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت
لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه
وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطأ
فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا
في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن
يحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه
وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد
منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فإن قلت فلم
كان ذلك على وجه التحاكم إليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى
يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل أتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام
ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق
إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف
إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فإن قلت هذا
جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه
قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فإن قلت
فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض
فإن قلت فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان قلت معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا
يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون فإن قلت فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما
في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية
به فإن قلت بم انتصب إذ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا
يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا

بالنبأ

بالنبأ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها
لم يكن ناصبا فبقي أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب
بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى تسوروا المحراب تصعدوا
سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه إذا علا سنامه و
تذرأه إذا علا ذروته وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبا
أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر
إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه
أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما
يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع منهم لأنهم نزلوا
عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان
خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي ولا
تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي
الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه أخي بدل من هذا أو خبر
لأن المراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة كقوله تعالى وإن
كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع
وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة و
لقوة أكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعزني
وغلبني يقال عزه يعزه قال الشاعر قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل
أو أراد خطبت وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني و
قرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو
تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست فإن قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان
تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على أنه أمر يستحيى
من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته
ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع
وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه و
حاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه
القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة فإن قلت إنما يستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب
بالجدال فإن فسرته بالمطابقة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير أن أجعل

النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله شعر يا شاة ما قنص لمن حلت له
فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا
لولا أن الخلطاء يا باه إلا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فإن قلت الملائكة
عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من
شأنهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة أناسي كما
تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها
وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها
لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها فإن
قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى قلت يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى
وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا
ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله شعر فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي
رويدا تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين
لطمعه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة
فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب فإن قلت
كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك
إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها
منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف
الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت
وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم
الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فإذا كان
الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا
أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة
فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كانت لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة
ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة
لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة
وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه فإن قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة
واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند أبي
حنيفة لا شيء عليه فإن قلت ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة
الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم

الظلم

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين
يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب

الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه و
أن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله شعر اضرب
عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في
وقليل ما هم للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها فاطرحها من قول
امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم
استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن إنما فتناه إنما ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل
يتنبه أم لا وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وأفتناه من قوله شعر لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت
وفتناه وفتناه على أن الألف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني
ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم
مقام السجود وعن الحسن أنه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله
لذنبه وخر بركعتي الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن
الركوع يجعل عبارة عن الصلاة وأناب ورجع إلى الله بالتوبة والتنصل وروي أنه بقي ساجدا
أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى
نبت العشب منه معه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله
في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له إيشا على
ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع أهل الزيغ إليه من بني إسرائيل فلما غفر له حاربه وهزمه
وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت
الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان
كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسر ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وإنما فزع
لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود إلا أنه صدق
أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته خليفة في الأرض أي استخلفناك على الملك في الأرض كمن
يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو
خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت
على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق أي بحكم الله إذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس
في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك
عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها وأوحى بها بيوم الحساب متعلق
بنسوا أي بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهري هل سمعت ما
بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه

الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او
مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا
بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر
وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا
اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة
بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين
بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث
والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه
لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها
ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انهم لا يعرفونه ولا يقدرونه حق قدره
فكان اقرارهم بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل
الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم
كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر
الايات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة
درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا
علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت
القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق
ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين
وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا
اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب رجاع اواب والصافن
الذي في قوله شعر ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف
سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت
ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص
وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا

وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها
وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها
من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى
الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن
ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها
مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا
منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن
معنى فعل يتعدى بعن كانه قال انبت حب الخير عن ذكر ربي وجعلت حب الخير مجزيا او مغنيا
من ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله شعر مثل
بعير السوء اذ احباه وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله انه لحب الخير لشديد والمال
الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل
فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون
من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري
بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن توارى الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس
مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب
الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه
فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب
عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها
اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة
فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف
تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه
موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلاة
عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت
الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى
ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس قيل فتن
سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له
ابن فقال الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك
فكان يغذوه في السحاب فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ
هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ

فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة فكل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمن فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له لعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يتقار في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله **والقينا على كرسيه جسدا** ناب عن افادة

معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم **لا ينبغي** لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني **فان قلت** اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم فيه مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم قرئ الريح والرياح **رخاء** لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه **حيث اصاب** حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا **والشياطين** عطف على الريح **وكل بناء** بدل من الشياطين **وآخرين** عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ومنه قول القائل **شعر** غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة **عطاؤنا بغير حساب** يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره **فامنن** من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت **او**

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٥

أَمْسِكْ مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك أَيُّوبَ عطف بيان واذ بدل اشتمال منه أَنِّي مَسَّنِي بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بِنُصْبٍ بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنُّصْب والنَّصَب كالرُّشْد والرَّشَد والنَّصْب على اصل المصدر والنُّصُب تثقيل نُصْب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فَإِنْ قُلْتَ لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قُلْتُ لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله ارْكُضْ بِرِجْلِكَ حكاية لما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وَخُذْ معطوف على اركض والضِّغْث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وآله انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت

عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق وَجَدْنَاهُ صَابِرًا علمناه صابرا فَإِنْ قُلْتَ كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قُلْتُ الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايدي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن أَخْلَصْنَاهُمْ جعلناهم لنا خالصين بِخَالِصَةٍ بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذِكْرَى الدَّارِ شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فَإِنْ قُلْتَ ما معنى اخلصناهم بخالصة قُلْتُ معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم الْمُصْطَفَيْنَ المختارين من بين ابناء جنسهم وَالْأَخْيَارِ

هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى

جمع لخير او خير على التخفيف كأموات في جمع ميت او ميت والیسع كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وإن للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كأن اللدات سمين اترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كأسنانهم وقرئ يوعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة وإياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة منه في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وأخرى اي وعذابات اخر او مذوقات اخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج

اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار

اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب في النار عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاة وازيد عندك ام عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير

اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار
رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى
إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين

همزته لأن أم تدل عليها فلا يفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا للصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر إن ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم أهل النار وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس فإن قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه أو قل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه قل هو نبأ عظيم أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين أي لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن القيامة فإن قلت بم يتعلق إذ يختصمون قلت بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم وإذ قال بدل من إذ يختصمون فإن قلت ما المراد بالملإ الأعلى قلت أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فإن قلت ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله وبينهم لأن الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ الأعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فإن قلت كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته فإذا أتممت خلقه وعدلته ونفخت

فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا وكل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فإن قلت كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله فإن قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي فإن قلت فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته بيدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت

قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسئلكم عليه من

بيدى لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وبيدى على التوحيد من العالين
ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم
تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان
ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق
مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية
من الاولى وهى خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح
منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله
خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا الرجيم المرجوم
ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد من الحجارة على اثره والرجم الرمى بالحجارة
او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم
الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
ولكن المعنى ان عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة
فكانها انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذى اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذى تقع
فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند
الله معين لا يستقدم ولا يستاخر فبعزتك اقسام بعزة الله وهى سلطانه وقهره وقرئ فالحق
والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله فى شعر ان عليك اللعنة ان تبايعا وجوابه لاملان
والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه
عز وعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه
به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اى فالحق قسمى لاملان والحق اقوله
اى اقوله كقولك كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك
الله لافعلن والحق اقول اى ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد
وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجر
نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية
ادم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد الضمير فى منهم او الكاف فى منك مع من تبعك
ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين
وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء
وغيرهم عليه من اجر الضمير للقران او الوحى وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون
بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة و
اتقول القران ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحى الى فانا ابلغه وعن رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله
الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون
ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار

صلى الله عليه وآله المتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم
ولتعلمن نباه اى ما ياتيكم عند الموت ويوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره
وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة صاد كان له
بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا سورة الزمر مكية
الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الاية وتسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون اية و
قيل ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف
او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول انزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب
من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من
الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم فان قلت ما المراد
بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى الثانى انه السورة مخلصا له الدين ممحضا
له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان
يقرا مخلصا بفتح اللام لقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص
والمخلص والخالص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر واما من
جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين
الا لله الدين الخالص فهذا لا يستقيم اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة
كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة
الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين
وهم الكفرة والمتخذين وهم الملئكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير فى اتخذوا
على الاول راجع الى الذين وعلى الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف
والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء فان قلت
فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم
على الثانى ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان
يكون فى موضع الحال اى قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل
منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفى قراءة ابى ما نعبدكم الا لتقربونا
على الخطاب حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة
فى الامر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل
الملئكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها
حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون
واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون

خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون

اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عايد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله **لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء** يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال **سبحانه** فنزه ذاته ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان تكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله ولم تكن له صاحبة **قهار** غلاب لكل شيء ومن الاشياء الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب شعر تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض **الا هو العزيز الغفار** الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التايبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فان قلت** فما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي **قلت** هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفايت للحصر من نفس ادم وخلق حوا من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما

يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء **وانزل لكم** وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كاين يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها **ثمانية ازواج** ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **خلقا من بعد خلق** حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن **ذلكم** الذي هذه افعاله هو **الله ربكم فانى تصرفون** فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره **فان الله غني عنكم** اي عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان **ولا يرضى لعباده الكفر** رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة **وان تشكروا يرضه لكم** اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة وقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقوله **يرضه** بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها **خوله** اعطاه قال ابو النجم شعر اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم هو خايل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه واله انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس **ما كان يدعو اليه** اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه و**ما** بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله **تمتع بكفرك** من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ماويهم جهنم وقرئ **امن هو قانت** بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف وتقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** وقيل معناه امن هو قانت

إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه
من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيل الله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب قل يا عباد الذين آمنوا
اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

أفضل أم من هو كافر وأهذا أفضل أم من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه
من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر
لأنه دعاء المصلي قائما **ساجدا** حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين
وقرئ ويحذر عذاب الآخرة وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل
غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون
بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه
أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في
عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي و
يرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية وقرئ **إنما يذكر** بالإدغام **في هذه الدنيا**
متعلق بأحسنوا معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة
غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية **فإن قلت**
إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه
قلت هو صفة لها إذا تأخر وإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن
لم يكن التعلق وصفا ومعنى **وأرض الله واسعة** أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى
إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم إليه
قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا
بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم و
قيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل في أرض الجنة و**الصابرون** الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها
من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير **بغير حساب** أي لا يحاسبون عليه وقيل بغير
مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف
وعن النبي صلى الله عليه وآله ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم
بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم
بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا
قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل **قل إني أمرت** بإخلاص الدين **وأمرت** بذلك
لأجل **أن أكون أول المسلمين** أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة
في الدين فمن أخلص كان سابقا **فإن قلت** كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد
لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في

قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل
الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا
ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم وأهليهم
يوم القيمة

الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بمنزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة
مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك
الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع و
الدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين
أمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول
من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما
وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون
صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال
السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء و
كل شوب بدليلي العقل والوحي **فإن عصيت ربي** بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا
أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه **فإن قلت** ما معنى التكرير في قوله **قل إني
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين** وقوله **قل الله أعبد مخلصا له ديني** قلت ليس بتكرير لأن الأول
للإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده
دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخر في الأول
فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما
حققت فيه القول مرتين **قل إن** الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم **الذين خسروا
أنفسهم** لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا **أهليهم** لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم
كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم
لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا
ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله **ألا ذلك هو الخسران المبين** حيث استأنف الجملة وصدرها
بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين **ومن تحتهم**
أطباق من النار هي ظلل للآخرين **ذلك** العذاب الذي يتوعد الله **به عباده** ويخوفهم ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** فلا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة
بالغة وقرئ يا عبادي **الطاغوت** فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها
قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت
الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير
الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت **أن يعبدوها** بدل من الطاغوت

ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين
اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في
الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب

بدل الاشتمال **لهم البشرى** هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
الله يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين
يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشريكم اليوم
جنات وأراد بعباده **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم
وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع المضمر أراد
أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب
وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا و
يدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة و
لا تكون في مذهبك كما قال القائل شعر ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون
القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو
والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث
بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون
يرفعه على الابتداء وخبره أولئك أصل الكلام **أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه** جملة
شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف
على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية
هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على
هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه **أفأنت
تنقذ من في النار** وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب
وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان
منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار
وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن
تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه **غرف من فوقها غرف** علالي
بعضها فوق بعض **فإن قلت** ما معنى قوله مبنية **قلت** معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل
التي على الأرض وسويت تسويتها **تجري من تحتها الأنهار** كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت
بين العلو والسفل **وعد الله** مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك **أنزل
من السماء ماء** هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله
فسلكه فأدخله ونظمه **ينابيع في الأرض** عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد **مختلفا
ألوانه** هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها

الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد أفمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين
ذوقوا ما كنتم تكسبون

يهيج يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يتور عن منابته ويذهب **حطاما**
فتاتا ودرينا **إن في ذلك لذكرى** لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير
لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
وقرئ مصفارا **أفمن** عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح **صدره للإسلام** ورغب
فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه
وآله هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول
الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت
وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر **من ذكر الله** من أجل ذكره أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا
وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله **فإن قلت** ما الفرق بين من وعن في
هذا **قلت** إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت
عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه
عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث
ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر
إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث **وكتابا** بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا
منه **ومتشابها** مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام
والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب
نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا
تكون إلا متشابهة **والمثاني** جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه ووعده
ووعيده وأوامره ونواهيه ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا تتفه
ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة
كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك
فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع **قلت** إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص
وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت
الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار
وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول
رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه **فإن قلت** ما فائدة التثنية والتكرير **قلت**
النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها

كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل
أكثرهم لا يعلمون إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فمن أظلم
ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق
وصدق به أولئك هم المتقون

ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركز في قلوبهم ويغرسه في صدورهم **اقشعر** الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة **فإن قلت** ما وجه تعديته بإلى **قلت** ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية **فإن قلت** لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة **قلت** لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤفا رحيما **فإن قلت** ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا **قلت** إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم **ذلك** إشارة إلى الكتاب وهو **هدى الله يهدي به** يوفق به **من يشاء** يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين **ومن يضلل الله** ومن يخذله من الفساق والفجرة **فما له من هاد** أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم **ومن يضلل الله** ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره **فما له من هاد** من مؤثر فيه بشيء قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره **أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب** كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل قال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبونه **من حيث لا يشعرون** من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم **والخزي** الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله **قرآنا عربيا** حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح **غير ذي عوج** مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف **فإن قلت** فهلا قيل مستقيما أو غير

معوج **قلت** فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد **شعر**
وقد أتاك يقين غير ذي عوج ... من الإله وقول غير مكذوب
واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت فكره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله **وفيه** صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه **سالما لرجل** خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك **هل يستويان مثلا** هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين **الحمد لله** الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو **بل أكثرهم لا يعلمون** فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان **ثم إنكم** ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب **تختصمون**

فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجّوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته، تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا، وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون. وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضاً حتى يقال لهم لا تختصموا لدي، والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج، وأهل القبلة يكون بينهم الخصام. قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتاب، قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفنا أنها نزلت فينا. وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة، فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا. وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة إنه ما خصومتنا ونحن إخوان، فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا. وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة. والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولاً، ألا ترى إلى قوله **فمن أظلم ممن كذب على الله** وقوله **والذي جاء بالصدق وصدق به** وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة. **كذب على الله** افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه، **وكذب بالصدق** بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، **إذ جاءه** فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون. **مثوى للكافرين** أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق، واللام في الكافرين إشارة إليهم. **والذي جاء بالصدق وصدق به** هو رسول الله صلى الله عليه وآله جاء بالحق وآمن به، وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون، فلذلك قال **أولئك هم المتقون** إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم. ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به، وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به. وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به. وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به، يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف. وقيل صار صادقاً به أي بسببه، لأن القرآن معجز، والمعجز تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريه على يده، ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق، فيصير لذلك صادقاً بالمعجزة. وقرئ وصُدِّق به. **فإن قلت** ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما؟ **قلت** أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها، ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل، كقولك الأشج أعدل بني مروان. وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية، والحسن الذي يعملونه هو عند الله

هو

لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله كاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم

الأحسن لحسن إخلاصهم فيه، فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن. وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء. **أليس الله بكاف عبده** أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها. قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكاف عباده وهم الأنبياء، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها. ويروى أنه بعث خالداً إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إليها فهشم أنفها، فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف، وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر. أو أليس الله بكاف أنبياءه، ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله، وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء. ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم. وقرئ بكافي عباده على الإضافة، ويكافي عباده، يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي، وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة، وأن يكون مهموزاً من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم. **بالذين من دونه** أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه. **بعزيز** بغالب منيع **ذي انتقام** ينتقم من أعدائه، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم. قرئ **كاشفات ضره وممسكات رحمته** بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف. **فإن قلت** لم فرض المسألة في نفسه دونهم؟ **قلت** لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها، فأمر بأن يقررهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير **فإن أرادني** خالق العالم الذي أقررتم به **بضر** من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل **أو برحمة** من صحة أو غنى أو نحوهما، هل هؤلاء اللاتي خوفتمونيهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته، حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافياً لمعرة أوثانكم **عليه يتوكل المتوكلون** وفيه تهكم. ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله. **فإن قلت** لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه؟ **قلت** أنثهن وكن إناثاً وهن اللات والعزى ومناة، قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى، ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة، لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة، كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز، وفيه تهكم أيضاً. **على مكانتكم** على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها، والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعير هنا وحيث للزمان وهما للمكان. **فإن قلت** حق الكلام فإني عامل على مكانتي فلم حذف؟ **قلت** للاختصار، ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة، لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله، ألا ترى إلى قوله **فسوف تعلمون** كيف

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ
الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝

لتوعدتهم بكونه منصوراً عليهم غالباً عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك
عزه وغلبه من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه **يخزيه** ويحل عليه عذاب
مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دايم وهو عذاب
النار وفي مكانتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فيقوى دواعيهم
اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه
ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على
دون الاجبار **الانفس** الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة
من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت **والتي لم تمت في منامها**
يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله
تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك **فيمسك** الانفس
التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية **ويرسل الاخرى** النائمة **الى اجل**
مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها
الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم
هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنايم يتنفس ورووا عن ابن
عباس رض في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح
التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت
اولا لان الله عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي
التي تنام **ان في ذلك** ان في توفي الانفس مايتة ونايمة وامساكها وارسالها الى اجل
لايات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت
على البناء للمفعول **ام اتخذوا** بل اتخذ قريش والهمزة للانكار **من دون الله** من دون اذنه
حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل
لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له
مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا **اولو كانوا** معناه
ايشفعون ولو كانوا **لا يملكون شيئا ولا يعقلون** اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون
شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم **له ملك السموات والارض** تقرير لقوله لله الشفاعة
جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها **فان قلت** بم يتصل قوله
ثم اليه ترجعون **قلت** بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة
ولا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله **وحده** اي اذا

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ۝

أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا **واذا ذكر الذين من دونه**
آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا
قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما
سبق اليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم
ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلى قلبه
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلى غما وغيظا حتى يظهر الانقباض
في اديم وجهه **فان قلت** ما العامل في اذا ذكر **قلت** العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد
فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك
فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل
الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال
آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على
اثر قتل من كان صلى الله عليه يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**
وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم
من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات
فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن
المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم
احتسبه **وبدا لهم سيئات ما كسبوا** اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم
وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على
ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها **وحاق بهم** ونزل بهم واحاط جزاء هزؤهم
التخويل يختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء **على علم** اي على علم مني اني سأعطاه لما في من
فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي **فان قلت** لم
ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة **قلت** ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها
ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم **بل هي فتنة**
انكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك
اتشكر ام تكفر **فان قلت** كيف ذكر الضمير ثم انثه **قلت** حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ ثانيا ولان الخبر
لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ
بل هو فتنة على وفق انما اوتيته **فان قلت** ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول
السورة بالواو **قلت** السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسّ احدهم ضرّ دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقاً او اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة اي جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا

وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ
تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى شعر ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري شعر اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله شعر ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه ومعناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو
على كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض والذين
كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون
قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت هلا
قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا
يخلو إما أن يقدم على إحدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول
لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في
الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس
على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير
منفي قلت لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو
متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشرك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض
ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون
له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء وجوههم
مسودة جملة في موضع الحال إن كان من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب وينجي و
ينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا فلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم
من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم
العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالأعمال الصالحة ويجوز بسبب فلاحهم لأن
العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها
وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة فإن قلت لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين قلت أما على
التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال له مقاليد
السماوات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن
ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح
ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن
قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل
من كونه مهملا فإن قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي
الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو
مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل
متصلا بما يليه على أن كل شيء في السماوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا
أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله له مقاليد السماوات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله

والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
هي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده
وتمجيده أولئك هم الخاسرون أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد
بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله
تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي أعبد والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن و
رفع الفعل كما في قوله شعر ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ألا ترى تقول أفغير الله تقولون
لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أعبده وأفغير الله تأمرونني أن
أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني على الأصل وتأمروني
على إدغام النون وحذفها وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون وبالياء
أي ليحبطن الله أو الشرك فإن قلت الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد قلت معناه أوحي
إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت
كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا فإن قلت ما الفرق بين اللامين قلت الأولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط فإن قلت كيف صح هذا الكلام مع علم
الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض
فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن
يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه فإن قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين
قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا
أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى
قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم
كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول
عوضا منه وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل
مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان
حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ
بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام إذا أخذته
كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين
إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل صلوات الله عليه جاء إلى رسول الله فقال يا
أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر

ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق
قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور
ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس
ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها

على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا
له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء
البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة
والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان ولا تكتنهها الأوهام
هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى
بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله
في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما
وما أتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه
حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك
المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات
الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالأرض
الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم وتفخيم
مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن
الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة
من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة
تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته
أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة
واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات
أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته وإذا أريد
معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فإن قلت ما وجه قراءة
من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما
قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع
ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة
من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته
وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته
على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الأرض
ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى ما أبعد من هذه قدرته وعظمته
وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء فإن قلت أخرى ما محلها من الإعراب قلت يحتمل الرفع والنصب
أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة

والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة
بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه
خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم لتحيرهم
قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى
وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات
وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه
يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع
من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وإنما يجور فيها
غير ربها ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق
وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا
بقسطك كما يقولون أظلمت الدنيا بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الظلم ظلمات يوم
القيمة وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت
بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرقها كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا و
الكتاب صحائف الأعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للأمم
وعليهم من الحفظة والأخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله الزمر الأفواج المتفرقة بعضها في إثر
بعض وقد تزمروا قال الآخر شعر حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات
المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فإن قلت لم أضيف إليهم اليوم قلت
أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات
الشدة قالوا بلى أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال اللام في المتكبرين
للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله و
المخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة
المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل
بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاؤها جاؤها
وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب
الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا
جاؤها وقد فتحت أبوابها فإن قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق أهل
النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس
أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعا بهم إلى دار

قال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فيتلقى بالتحية والبشر ما بين الشوق وفتن **طبتم** من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا **فادخلوها** جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب **خالدين** مقدرين الخلود **الارض** عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا **فان قلت** ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احد مكان غيره **قلت** يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره **حافين** محدقين من حوله **يسبحون بحمد ربهم** يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله بينهم **قلت** يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق **فان قلت** قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك **قلت** المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر **سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون وقيل اثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم** قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل **التوب** والتوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل **فان قلت** كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف **قلت** اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا

وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن وهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال **فان قلت** ما بال الواو في قوله وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وآله ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم من عقابه واحل بساحتهم

كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم

من انتقامه وقرئ لا يغرك الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود و
فرعون وغيرهم وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم ليأخذوه
ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ فأخذتهم
يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون
على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب أنهم أصحاب النار في محل
الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب
إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف
لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك
وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار وقرئ كلمات روي أن حملة
العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم و
عن النبي صلى الله عليه وآله لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة
فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى
وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي
الحديث أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالتسليم على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل
والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح
بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس العرش بضم العين فإن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا
يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون قلت فائدته
إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح
لذلك كما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي
التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان
لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من
في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير
وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن صفات الأجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون
به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه
تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة
وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوي

وأرضي

وأرضي قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من
حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض أي يقولون ربنا وهذا المضمر
يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا فإن قلت تعالى الله عن المكان
فكيف صح أن يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والأصل
وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم
وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان
كل شيء فإن قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما
وما ذكر إلا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل
الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها إنك أنت العزيز الحكيم أي الملك الذي لا يغلب
مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك وقهم السيئات
أي العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر أو الكبائر المتوب
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة فإن قلت ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون
موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب
وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم
أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى
بذكرها مرة وإذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت
أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه
الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم
لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإذ تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع
في موضع أبلغ الإنكار وأشده اثنتين إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالإماتتين
خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة
البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس
فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة قلت كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة
وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر
إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في
صحته أن الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق و
السعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز
الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه
إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتمحل فيجعل إحداهما غير معتد بها أو يزعم

وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر
من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى
خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل
لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش

أن الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة
في قوله إلا من شاء الله فإن قلت كيف تسبب هذا لقولهم فاعترفنا بذنوبنا قلت قد أنكروا
البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما
رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل إلى خروج أي إلى نوع من الخروج
سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من
غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك
وهو قوله ذلكم أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى الخروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله و
إيمانكم بالإشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء
والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك يطابق كبرياءه وجبروته وقيل كأن الحرورية
أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها
والرزق المطر لأنه سببه وما يتذكر إلا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا
من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين
فادعوا الله أي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على
دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي
يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب
على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل
على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن
رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها
أولياءه في الجنة الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير
بعث عليه فاستعار له الروح كما قال أومن كان ميتا فأحييناه لينذر الله أو الملقى عليه وهو الرسول
أو الروح وقرئ لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق
على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه أهل السماء
وأهل الأرض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة
أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في
الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن
مسعود لا يخفى عليه منهم شيء فإن قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله
تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا
إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون

من

من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم
أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن
الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد
فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في
صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي
مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو
المجيب لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى ما كسبت
وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب
عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه إذا أخذ
في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها الآزفة القيامة سميت لأزوفها
أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند
ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها
فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا فإن قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا من القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها
الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم
لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن
قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين الحميم المحب المشفق
والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فوقك فإن قلت
ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة
دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه
ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر تريد نفي الضب وانجحاره
فإن قلت فعلى أي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء لا تكون إلا في
زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله
ما يكون لهم شفيع البتة فإن قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها
قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن
الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت
على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد

لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما
تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم

السلاح علة ما نعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس
لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر
التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء التشفيع موضع الامر المعروف
غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية
بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من
الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت
هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم
التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله
يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه
آلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي
ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع
ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع
ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والتاء هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع
الا بين معرفتين فما له واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في ان لا
يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم و
قصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا
وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود
الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر
وعن ابن عباس رضي في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل
الاول فما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يحق عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ
قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان
فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك
عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه
بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحر
مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر
ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه
خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل
عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وليدع ربه شاهد صدق على فرط

خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين
يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا
يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج الذي
يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا فكانه قال اني اخاف
ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل
الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب
اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون
لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي هو ربي و
ربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه
وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة ولتكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ
واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط
ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة
فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان
وقرئ عت بالادغام رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا
ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه
من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين
من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد
كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي
نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من
نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من
سورتهم ولك ان تقدر مضافا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول
من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد البينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم
اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه
كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له
فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه
لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق
الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل

ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب

في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر كلامه فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد شعر تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه واله كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا ظاهرين في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون

ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع

عند ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بما نصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان اخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون اخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من هو مسرف فان قلت كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذلك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ

لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستفهام لحد الهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشئ اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدى اليها وكل ما اداك الى الشئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلى ابلغ اسباب السموات قلت اذا ابهم الشئ ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل واما الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدى الى سخط الله ويجلب الشقاوة فى العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هى الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد فى ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفى هذا ايضا دليل على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغى فلا يجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع فى مقابلة الا مثلها يعنى ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى قلت اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصحه لهم كما كرر ابرهيم صلى الله عليه فى نصيحة ابيه يا ابت واما المجئ بالواو العاطفة فلان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعا له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد فعل من التبديد هو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله فى الدنيا ولا فى الآخرة يعنى انه فى الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا وفى الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا وافوض امرى الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار

ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك

يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار
وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عليهم ويجوز
ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم
ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم
فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين
كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا
عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار و
يسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق
ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن ان المسرفين
هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله
ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في
جمع خادم او ذوي تبع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين
عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها
قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا
تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر
جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم
في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه
بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر شعر قليذم من العياليم الخسف وفيها اعتى الكفار
واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا
تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا
وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا
فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم
والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم
فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه
فكيف يسمع دعاء الكافر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة
يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض
الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد

وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون

صلى الله عليه وآله لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل ان يكون انهم
يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها
وقرئ تقوم وينفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع
واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة
وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولوا الالباب المؤمنون به والعاملون بما فيه فاصبر ان
وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما
آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك
كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما تجرع
قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق و
اقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي
والابكار وقيل هما صلوتا العصر والفجر ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم
ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون
لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات
بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغ موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة
والنبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود
يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك
فسمى الله تمنيهم كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك
انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان
قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار
البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها
فانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها
كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون
ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ
يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه
لا بد من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن
ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني
اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا

إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله
الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو

الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب
هو الدعاء وفي الحديث اذا اشغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدعاء العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز
ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة
ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه
لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني
اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد **داخرين** صاغرين **مبصرا** من
الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار **فان قلت** لم قرن الليل بالمفعول له
والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة **قلت** هما متقابلان من
حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة
التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا
ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز **فان قلت** فهلا قيل لمفضل
او لمتفضل **قلت** لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما
يستوي بالاضافة **فان قلت** فلو قيل ولكن فلا يشكر ذكر الناس **قلت** في هذا التكرير تخصيص لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان
لكنود ان الانسان لظلوم كفار **ذلكم** المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها
احد هو **الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو** اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف
من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له
فأنى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر
ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم تكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك
كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء هذه ايضا
دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا **والسماء بناء**
اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه
الارض **فأحسن صوركم** وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة
من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في احسن تقويم **فادعوه** فاعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين **الحمد لله رب العالمين** وعن
ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين **فان قلت**

فاعبدوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فإذا

اما نهي رسول الله صلى الله عليه وآله عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات
من ربه **قلت** بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة
ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه
على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين
جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت
ادلة العقل وحدها كافية **لتبلغوا أشدكم** متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك **لتكونوا** واما **ولتبلغوا أجلا مسمى** فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو
وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ **شيوخا** بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا
والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس **من قبل** من قبل الشيخوخة او
قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا **ولعلكم تعقلون** ما في ذلك من العبر والحجج **فإذا قضى أمرا**
فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر
ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا
كان اهون شيء واسرعه **بالكتاب** بالقرآن **وبما أرسلنا به رسلنا** من الكتب **فان قلت** وهل قوله فسوف
يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس **قلت** المعنى على اذا الا ان
الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد
والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية
على الاسمية والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال لكان قوله
اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على
الاخرى ونظيره **شعر** مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل
يسحبون **في النار يسجرون** من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ
ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك **ضلوا عنا** غابوا عن
عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم **فان قلت** اما ذكرت في تفسير قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم **قلت** يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا
وقيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان
يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم **بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا** اي تبين
لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا
خبرته فلم تر عنده خيرا **كذلك يضل الله الكافرين** مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا
الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا **ذلكم** الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح **بغير الحق**

فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

بأن حلم لعظم أجرامهم **فما أغنى عنهم** ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم **فرحوا بما عندهم من العلم** فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به **البأس** شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس **فإن قلت** أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم إيمانهم **قلت** هو من كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم **فإن قلت** كيف ترادفت هذه الفاآت **قلت** أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله **سنت الله** بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و **هنالك** مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق أي خسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن

ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون

ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة

وهو الشرك وعبادة الأوثان **ادخلوا أبواب جهنم** السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم **خالدين** مقدرين الخلود **فبئس مثوى المتكبرين** عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم **فإن قلت** أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى **قلت** الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء **فإما نرينك** أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك **فإن قلت** لا يخلو إما أن تعطف أو نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فإلينا يرجعون فقولك فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء **قلت** فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك وإن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون **ومنهم من لم نقصص عليك** قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه إن الله بعث نبيا أسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل **وما كان** لواحد منهم **أن يأتي بآية إلا بإذن الله** فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها **فإذا جاء أمر الله** وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة **المبطلون** المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا **الأنعام** الإبل خاصة **فإن قلت** لم قال **لتركبوا منها ولتبلغوا عليها** ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا إلى المنافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم **قلت** في الركوب الركوب في الحج والغزو في بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله **وعليها وعلى الفلك تحملون** وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر **فإن قلت** هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين **قلت** معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة لمن يستعلها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه **فأي آيات الله** جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لإبهامه **وآثارا** أي قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض
أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم كافرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في

سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

إن جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وجوّز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ **فصلت آياته** ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد **قرآنا عربيا** نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا **لقوم يعلمون** لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه **فإن قلت** بم يتعلق قوله لقوم يعلمون **قلت** يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف **فهم لا يسمعون** لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه **والأكنة** جمع كنان وهو الغطاء **والوقر** بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي **فاعمل** على دينك **إننا عاملون** على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون **فإن قلت** هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة **قلت** نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها **فإن قلت** هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني **فإن قلت** من أين كان قوله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة **قلت** من حيث إنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلي أن إلهكم إله واحد **فاستقيموا إليه**

فاستقيموا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء وتوبوا إليه مما سبق لكم من الشرك **واستغفروه** وقرئ قال إنما أنا بشر **فإن قلت** لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة **قلت** لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وآله وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان **الممنون** المقطوع وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون **أئنكم** بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين **ذلك** الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو **رب العالمين رواسي** جبالا ثوابت **فإن قلت** ما معنى قوله **من فوقها** وهلا اقتصر على قوله **وجعل فيها رواسي** كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالأساطين لها لاستقرت عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته **وبارك فيها** وأكثر خيرها وأنماه **وقدر فيها أقواتها** أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها **في أربعة أيام سواء** فذلكة لمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء **فإن قلت** بم تعلق قوله للسائلين **قلت** بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج **فإن قلت** هلا قيل في يومين وأي فائدة في هذه الفذلكة **قلت** إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول في يومين وأن تقول في أربعة أيام سواء وفائدة ليست في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في
كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم
به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الذي خلقهم هو اشد منهم

بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد
باليومين الاولين والآخرين اكثرهما **ثم استوى الى السماء** من قولك استوى الى مكان كذا
اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم
استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى
خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق
السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء
فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ه ومعنى امر
السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما
وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل
ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما **ائتيا**
شئتما ذلك او ابيتما **فقالتا اتينا** على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في
المقدورات لا غير من غير ان يتحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم
تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي **فان قلت** لم ذكر
الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت**
قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك
دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا
ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول
اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها
الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا
للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة
اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقنا امري ومشيئتي ولا تمتنعا **فان**
قلت ما معنى طوعا او كرها **قلت** هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من
تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا
او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين **فان قلت** هلا قيل طائعتين على
اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون **قلت** لما جعلن مخاطبات ومجيبات
ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين **فقضاهن**
يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان
يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على
التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم

الجمعة

الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال
في يومين في موضع في اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان **فان قلت** فلو
قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين
تلك اربعة سواء **قلت** الذي اورده سبحانه احضر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من
مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع
الدرجات ويتضاعف الثواب **امرها** ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك
او شأنها وما يصلحها **وحفظا** وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون
مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **فان اعرضوا** بعد ما تتلوا
عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم **صاعقة** اي عذابا شديد
الوقع كأنه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل **من بين ايديهم**
ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو
والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل
جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن
الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد
جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم
وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم **فان قلت** الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم
كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم **انا بما ارسلتم به كافرون** **قلت** قد
جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم
وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون
خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم **ان** في **ان لا تعبدوا** اي
او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا
مفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون
معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار
بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة

فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون ٥ واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ٥ ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ٥ ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون ٥ حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ٥

عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تاك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار هن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وآله ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله **مثل صاعقة عاد وثمود** فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فاستكبروا في الارض** اي فتعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام واستعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية **من اشد منا قوة** كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد **قلت** القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم **يجحدون** كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة **الصرصر** العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض **نحسات** بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله تعالى **ولعذاب الاخرة** وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء **فهديناهم** فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد لقوله تعالى وهديناه النجدين **فاستحبوا العمى على الهدى** فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد **فان قلت** اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول

قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ٥ وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ٥ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين ٥ فان يصبروا فالنار مثوى

ردعته فارتدع وكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها **صاعقة العذاب** داهية العذاب وقارعة العذاب و**الهون** الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة وقرئ **يحشر** على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل **اعداء الله** الكفار من الاولين والاخرين **يوزعون** يحبس اولهم على اخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسال الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته **فان قلت** ما في قوله **حتى اذا ما جاؤها** ما هي **قلت** مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات **فان قلت** كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق **قلت** الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم **لم شهدتم علينا** لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم **ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون** وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر **فان يصبروا** لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار **وان يستعتبوا فما هم من المعتبين** وان يسالوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك **وقيضنا لهم** وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة

قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ
الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا
أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون

قرناء أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **فإن قلت** كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم **قلت** معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض **ما بين أيديهم وما خلفهم** ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب **وحق عليهم القول** يعني كلمة العذاب **في أمم** في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا يريد فأنت في جملة آخرين أو فأنت في عداد آخرين ولست في ذلك بأوحد **فإن قلت** في أمم ما محلها **قلت** محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم **إنهم كانوا خاسرين** تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم **والغوا فيه** بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال الشاعر من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا **فلنذيقن الذين كفروا** يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر و**أسوأ الذين كانوا يعملون** في الآخرة **ذلك** إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة و**النار** عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف **فإن قلت** ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد **قلت** معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها **جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون** أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو **اللذين أضلانا** أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير الحق وقرئ **أرنا** بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار و**ثم** لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين

آمنوا

آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بلسان نفسه فقال هذا **تتنزل عليهم الملائكة** عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم **أن لا تخافوا** أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين **تدعون** تتمنون **والنزل** رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال **ممن دعا إلى الله** عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وآله دعا إلى الإسلام **وعمل صالحا** فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله **وقال إنني من المسلمين** ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير **فإن قلت** فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن **قلت** هو على تقدير قائل قال كيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة **فإن قلت** فكان القياس على هذا التفسير أن يقال بالتي هي حسنة **قلت** أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع

نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن
قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له

بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس التي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان عدوا مؤذيا لرسول الله فصار وليا مصافيا **النزغ** والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن **فاستعذ بالله** من شره وامض على شأنك ولا تطعه والضمير في **خلقهن** لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن **فإن قلت** أين موضع السجدة **قلت** عند الشافعي رحمة الله عليه تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين **فإن استكبروا** ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله **عند ربك** عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ **لا يسأمون** بكسر الياء الخشوع والتذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ **وربأت** أي ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض **يلحدون** يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلتحدون على اللغتين وقوله **لا يخفون علينا** وعيد لهم على التحريف **فإن قلت** بم اتصل قوله إن الذين كفروا بالذكر **قلت** هو بدل من قوله **إن الذين يلحدون في آياتنا** والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله **وإنه لكتاب عزيز** أي منيع محمي بحماية الله **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به **فإن قلت** أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون **قلت** بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد

بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي
أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من
يأتي آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك

أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحوه قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون **ما يقال لك** أي ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة **إن ربك لذو مغفرة** ورحمة لأنبيائه **وذو عقاب** لأعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت و**قالوا لولا فصلت آياته** أي بينت ولخصت بلسان نفقهه **ءأعجمي وعربي** الهمزة همزة الإنكار يعني لأنكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وقرئ أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فإن قلت** كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب **قلت** هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول أكتاب عجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت اللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما **هو** أي القرآن **هدى وشفاء** إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك **فإن قلت** والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به **قلت** لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر وقرئ **وهو عليهم عم** وعمي كقوله فعميت عليهم **ينادون من مكان بعيد** يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء **فاختلف فيه** فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم وكلمة الفصل تؤخرهم إلى أجل مسمى **فلنفسه** فنفسه نفع **فعليها** فنفسه ضر **وما ربك بظلام** فيعذب غير

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط ولئن أذقناه رحمة

المسيء إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات
من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا
حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من
الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح أين شركائي أضافهم إليه على زعمهم و
بيانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع آذناك أعلمناك ما منا من شهيد
أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك وما منا إلا من هو موحد
لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة
التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى
ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنه ضلوا عنهم وظنوا وأيقنوا ما لهم من محيص مهرب
فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز أن يعاد عليهم
أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز
أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا
بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت من دعاء الخير ومن طلب
السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وإن مسه الشر أي الضيق والفقر
فيئوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر
عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي ينقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر
بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولئن أذقناه رحمة منا بصحة
بعد مرض وسعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما
عندي من خير وفضل وأعمال بر وهذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه ونحوه قوله تعالى وما أظن الساعة قائمة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين
يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم إن لي عنده للحسنى الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
قايسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى
ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم
مستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس طلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا
يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك هذا أيضا ضرب آخر
من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط

منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر
فذو دعاء عريض قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء

فنسي وأعرض عن شكره ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وإن مسه الضر والفقر
أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه
وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ و
ناء بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فإن
قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا
في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه
قوله شعر ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه
قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه
قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء
وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى
بركنه أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه
ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع
الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما
أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته
ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم
وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى
الله عليه وآله والخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما
وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن
الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه
على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة
وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله
على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها
اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه
إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما
أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن و
دولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد
بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات
الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عنده أن القرآن تنزيل
عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل

ذلك دليلاً على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلاً قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر وقرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولداً كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال ينفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثراً في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض

وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير

وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعاً في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاماً فان قلت قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكأنه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاماً من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفاً بعد صفوف يداومون خضوعاً لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفاً عليهم من سطواته واما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون من ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصاً على نجاة الخلق وطمعاً في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا يتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجسام وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على

ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى
وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير له مقاليد السموات
والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما

الحال منهم اى متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون
مجموعين متفرقين فى حالة واحدة قلت هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس
والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق
على معنى مشارفتهم للتفرق لجعلهم امة واحدة اى مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو
شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا والدليل على ان
المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره
بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا
الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء
مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن
يشاء الا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه
معنى الهمزة فى ام الانكار فالله هو الولى هو الذى يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه
المولى والسيد والفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولى
سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه وهو يحيى اى من شان هذا الولى
انه يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ
وما اختلفتم فيه من شئ حكاية قول رسول الله للمؤمنين اى ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب
والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله
وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربى عليه توكلت فى رد
كيد اعداء الدين واليه ارجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من
الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم
فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا
فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه
من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله
تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين
فى احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السموات قرئ بالرفع
والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات
وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس
ازواجا ومن الانعام ازواجا اى وخلق من الانعام ازواجا اى وخلق من الانعام انعاما
والذرو والذرء اخوات فيه فى هذا التدبير وهو ان جعل الانس والانعام ازواجا
حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين

كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم
كما أمرت ولا تتبع أهواءهم
وقل آمنت بما أنزل
الله من كتاب

والأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من أحكام ذات العلتين فإن قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص صفاته فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى إنهم استعملوه فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت مثل كعصف مأكول وقرئ ويقدر إنه بكل شيء عليم فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستيناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين ونحوه قوله تعالى وإن هذه أمتكم أمة واحدة فاتقون كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من إقامة دين الله والتوحيد يجتبي إليه يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجدي عليهم لطفه وما تفرقوا يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير إلى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي

وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب
شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا
يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال
بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له

بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وآله
كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا
الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة
والإنجيل وقرئ ورثوا وورّثوا فلذلك فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى
الدعوة إليها كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب بأي كتاب
صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله و
يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله هم الكافرون حقا لأعدل بينكم في الحكم إذا تحاكمتم
فحاكمتم إلي لا حجة بيننا وبينكم أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة
إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع
بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام
الحجة والإلزام فإن قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت
وقطع النخيل والإجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون
في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين
الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا كان اليهود والنصارى
يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد
ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام داحضة باطلة زائلة
أنزل الكتاب أي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله
في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل أو بالغرض
الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل البعث
فلذلك قيل قريب أو لعل مجيء الساعة قريب فإن قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة
مع إنزال الكتاب والميزان قلت لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل
أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن
أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف يمارون يلاجون من المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمري
ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة
الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده
بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه
وهم أحد من كلياته وجزئياته فإن قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى
جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره إلا أن البر أصناف وله أوصاف

في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا
كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور

والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف
من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم
ما لم يقسم للآخر فقد رزق وهو الذي أراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولدا
دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة
الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة
والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت
حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي
قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في
الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب
ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب معنى الهمزة في أم التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي
شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت
إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت
سببا للضلالة والافتتان جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن
كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن
الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ
مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب
الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين مشفقين خائفين خوفا شديدا
أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد
لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عند ربهم
منصوب بالظرف لا بيشاؤن وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشّره
ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف
الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده
روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه
أجرا فنزلت الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا
إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم
لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي
الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فإن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى
وما معنى قوله إلا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي

أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور
وهو الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير

فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وآله حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيمة وروي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال فلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما يزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أتت الأنصار رسول الله بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا الله

ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في القربى **ومن يقترف حسنة** عن السدي أنها المودة في آل رسول الله نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ **يزد** أي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى **الشكور** في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب **أم** منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها **فإن يشإ الله يختم على قلبك** فإن يشإ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوين مثله أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق **بكلماته** بوحيه أو بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فيدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم **إن الله عليم** بما في صدورك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم **فإن قلت** إن كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت** كما سقطت في قوله ويدع الإنسان بالشر وقوله سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه **والتوبة** أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لأن الرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث
فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن
الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور

كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر و
يعلم ما تفعلون قرئ بالتاء والياء أي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين
آمنوا أي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وإذا كالوهم أي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
على الثواب تفضلا أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم
وقيل الاستجابة فعلهم أي يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم
وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا
نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا لبغوا من
البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال
قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب
شعر وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني أنهم أحيوا فحدثتهم
أنفسهم بالبغي والتفاتن أو من البغي وهو البذخ والكبر أي لتكبروا في الأرض ولفعلوا
ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق
والغنى قال خباب بن الأرت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير و
بني قينقاع فتمنيناها بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول إليه
أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط
كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا فإن قلت قد نرى الناس
يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط
لهم وإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة في أن
البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام
عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن قنطوا بفتح النون وكسرها
وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له اشتد
القحط وقنط الناس فقال مطروا إذن أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء كأنه قال
ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده بإحسانه
الحميد المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته وما بث يجوز أن يكون مجرورا ومرفوعا حملا
على المضاف إليه والمضاف فإن قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها قلت
يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو
شجاع بطل وإنما هو في فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله
نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون
للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي و

يبعد

يبعد أن يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض سبحان الذي خلق ما نعلم
وما لا نعلم من أصناف الخلق إذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى
ومنه إذا يشاء وقال الشاعر شعر وإذا ما أشاء أبعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا في مصاحف
أهل العراق فبما كسبت بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة
بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية
مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم
له كالأنبياء والأطفال والمجانين فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة
وعن النبي صلى الله عليه وآله ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب
ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه
وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم
للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه
وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله
في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه من عفي
عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه
رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب
من ولي من متول بالرحمة الجوار السفن وقرئ الجواري كالأعلام كالجبال قالت الخنساء
شعر كأنه علم في رأسه نار وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل
نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله
شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في
آيات الله فهو يستملي منها العبر يوبقهن يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في
البحر بإحدى بليتين إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري و
إما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا ويعفو عن كثير منها فإن قلت
علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح أو يعصفها فيغرق
بعضها فإن قلت فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه فإن قلت
فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام فإن قلت فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم قلت
أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل
محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف
غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والأرض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء

تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت
وأكرمك جزماً فقد نظر لما أورده سيبويه في كتابه واعلم أن النصب بالفاء والواو
في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو من قوله والحق بالحجاز فأستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً لأنه ليس
بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس
بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الآيات المشكلة فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كأنه قال أو إن يشأ
يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد من عقابه ما
الأولى تضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي
بكر رضي مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت
والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا
الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران
في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول أحلام الناس والمجيء بهم وإيقاعهم مبتدأ
وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت
في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه
وأقاموا الصلوة وأتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله
عليه وآله المدينة إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون
برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك
قولهم ترك رسول الله وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو أن يقتصروا في الانتصار على ما
جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم
فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت أهم محمودون في الانتصار قلت نعم لأن من أخذ حقه
غير معتد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة
على عرضه وردعاً له فهو مطيع وكل مطيع محمود ه كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها
سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها
من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو
والإغضاء كما قال فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة

مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن
فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصاً في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين
وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له أجر على الله
فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال
لهم ادخلوا الجنة بإذن الله بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ
بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك لمن عزم
الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلاً سب
رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية
فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم قد
ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة
البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه وآله ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت
عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله
ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه خاشعين
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين
من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور
ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها
كما يفعل في نظره إلى المحاب وقيل يحشرون عمياً فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي
وفيه تعسف يوم القيمة إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعاً في الدنيا وإما أن
يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد أي لا يرده
الله بعدما حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده والنكير
الإنكار أي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودون في صحائف
أعمالكم أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة
بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن والسيئة البلاء من
المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس
بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار إن الإنسان لربه لكنود والمعنى أنه يذكر البلاء
وينسى ويغمطها ه لما ذكر إذاقة الرحمة وإصابة بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم
النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضاً بالإناث

أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا
هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم
البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور

بعضًا بالذكور وبعضًا بالصنفين ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدًا قط فإن قلت لم قدم الإناث
أولًا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث
قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه
بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا
ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم
وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم
وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان
الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم
والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا كما
قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل نزلت في الأنبياء
صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط إناثا ولإبرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا
وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين إنه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان
لبشر وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام
والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله إلى أم موسى وإلى إبرهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد
أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الأبرص شعر وأوحى إلي الله أن
قد تأمروا بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي أي ألهمني وقذف في قلبي وإما على أن يسمعه
كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي
وقوله من وراء حجاب مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب
فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل إليه
رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل
بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن
يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع
موقع الحال أيضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا
من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة
كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا
جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله
وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا
في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو بأن
يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا
إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور
لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء
عقيما إنه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء

حجاب بدل وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في
معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي عليه السلام ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما
كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن
عن عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم
يقول فقلت هذه الآية إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة
فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا روحا من أمرنا يريد
ما أوحي إليه لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فإن قلت قد علم أن رسول الله
ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا
عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا
معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون
من الكفر قلت الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه
السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي
ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلوة لأنها بعض
ما يتناوله الإيمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي
عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدى أي يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول الله صلى الله
عليه من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملئكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف
مكية وقال مقاتل إلا قوله واسئل من أرسلنا من قبلك وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة
البديعة لتناسب المقسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد كما قال أبو تمام شعر وثناياك
إنها إغريض المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين
وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في
أبواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين وبمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله
وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها
ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته
وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه
الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من
بينها حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب
هكذا أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب الذكر
عنكم صفحا إن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم
بطشا ومضى مثل الأولين ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض
مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي

قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج شعر ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال
طرفة شعر أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب
وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بموجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه
إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا
عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا
فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم
وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي
صافحين معرضين إن كنتم لأن كنتم وقرئ إن كنتم وإذ كنتم فإن قلت كيف استقام معنى
إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل
بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك
ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق
مع وضوحه استجهالا له وما يأتيهم من نبي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا
على ذلك وهذه تسلية لرسول الله من استهزاء قومه الضمير في أشد منهم للقوم المسرفين
لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره عنهم ومضى مثل الأولين
أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير
مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم فإن قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما
سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك
تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه
إليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والأزواج الأصناف ما
تركبون أي تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف
قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه
على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم
أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو
ما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر
ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور
رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر

لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون
وجعلوا له من عباده جزءا
إن الإنسان لكفور مبين

لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه
وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين
بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعة فكيف بالنظر في لطائف
الديانات مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة شعر وأقرنت ما
حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن
به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ
مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من
راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت
بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق
الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة
فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء
الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل
عنه ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق
فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم
وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا
يمتثلون إلا أوامره وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد فلم يصح
إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين
ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل
بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له
مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا أن قالوا
الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له
ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا
كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت
المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا شعر إن أجزأت حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الأوس
مجزئة وقرئ جزء بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد
إليه كفر والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا
من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو
الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ منهم المقت
إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحون

أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفيكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشؤا في الحلية
وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على

من التشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزئين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور **بما ضرب للرحمن مثلا** بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت شعر ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا من أمرنا ما شينا وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر و**وجهه مسود** جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه **ينشأ في الحلية** يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان **غير مبين** ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث وقرئ **أشهدوا** وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة **ستكتب شهادتهم** التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم **ويسئلون** وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون يفاعلون **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم

قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون

بمشيئة الله كما يقول إخواننا المجبرة **فإن قلت** ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين **قلت** لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين ويشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا **فإن قلت** ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله **قلت** تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى العلم ثم قال **أم آتيناهم كتابا** قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم **إنا وجدنا آباءنا على أمة** على دين وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول إليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة **على آثارهم مهتدون** خبران أو الظرف صلة لمهتدون **مترفوها** الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه وقرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى وقرئ **براء** بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك **إلا الذي فطرني** فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني **فإن قلت** كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون

وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا
هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك
خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا

والثاني أن الله تعالى خير معبوديهم والأوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم
وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها
غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فإن قلت ما معنى قوله سيهدين على
التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو
يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل إبراهيم
صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني
كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعل من
أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه وقيل وجعلها الله
وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه بل متعت
هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا
بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن
ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا وسموه ساحرا
وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرئ بل متعنا فإن قلت فما وجه
من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية
في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى
شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة
النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا
أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه
فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح
فعله فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم
الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو
اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى
جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها و
هو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب
الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من
أهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه
صورة أمرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من إحدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ
أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي

وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن
عبد يا ليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية
عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الحجج أن الرسل
لم يكونوا إلا رجالا من أهل القرى جاؤوا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد
هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته
وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما أهم يقسمون
رحمة ربك هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا
هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي
لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن
تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم و
قدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين
منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا
في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا
إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا
فإذا كانوا في تدبير أمر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنكم بهم في تدبير أمر
الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق إلى حيازة حظوظ
الآخرة والسلم إلى الحلول في دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما
يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فإن قلت معيشتهم ما يعيشون به
من المنافع منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فإذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت
الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع وأذن له في
تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فإذا سلكها فقد تناول قسمته
من المعيشة حلالا وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى
قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدوانهم
فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين
في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف
وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة
في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى
العلالي عليها يظهرون أي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه
وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة الدنيا اللام هي الفارقة

والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون
حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون

بين إن المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أي للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما
بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية وقرئ إلا وقرئ وما كل ذلك إلا لما قال حرمها يجمعون
تقليلا لأمر الدنيا وتصغيرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا
لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا
لهم زخرفا أي زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سقفا
من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة
وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وآله ولو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء فإن قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان تؤدي إليها التوسعة
عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق
الناس على الإسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام
لأجل الدنيا والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل
في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها و
الفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي وإذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل
عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة شعر
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره أي تنظر إليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود
واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم شعر أعشو إذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي
الجدر وقرئ يعشو على أن من موصولة غير متضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع
نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي وأما
القراءة بالضم فمعناه ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا
بها واستيقنتها أنفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله
وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين وقرئ يقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض
له شيطان فإن قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وإنهم ليصدونهم قلت لأن من
مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير
واحدين جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا حتى إذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على أن الفعل
له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل
العمران والقمران فإن قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب
والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما أنكم في محل الرفع
على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال
إني رسول رب العالمين

فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب
ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين على
معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله أنكم في العذاب مشتركون
تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روح ذلك
نفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء شعر أعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا
يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه إذ صح
ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة وإذ بدل من اليوم
ونظيره شعر إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا
في الغي فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد الله
أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله إن الله يسمع من يشاء وما أنت
بمسمع من في القبور ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون
المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون
أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن نجزي في حياتك ما وعدناهم
من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة
الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك
بالنون الخفيفة وقرئ بالذي أوحي إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا
لكم الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن متمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط
المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك
الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل
ظفر ولا يثبطه تأخيره وإنه وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف
تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم
به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم
والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في
كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال
على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق
أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقال

فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا
يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون
في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه
فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا

النبي صلى الله عليه وآله جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم
فلم يتشكك ولم يسئل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية
والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء ما
اجابوه بمحذوف قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو
مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية اذا هم يضحكون اي يسخرون منها و
يهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت
لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا
وقت ضحكهم فان قلت اذا جاءهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها
الكبر من بقية الآيات قلت اختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان
المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما
تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قرأتهم رجلا رجلا
فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون
كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات
بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب
منازلهم فيه التقارب اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم
ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل
الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة شعر من تلق منهم تقل
لاقيت سيدهم ۞ مثل النجوم التي يسري بها الساري ۞ وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من
بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم
افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن
الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يأمره به
ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد
على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد
بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه
فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي
اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا
لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر انما هو ساحر لاستعظامهم السحر بما عهد عندك
بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت

له وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه
جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك
فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط
فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينتشر عنه في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر
تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني
ويجوز ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان يكون الواو
للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت
همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها
لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته
وملكوته وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه
وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها
فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هذه
متصلة لان المعنى افلا تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا
له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة
على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك
مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت
عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير وقرئ اما انا خير
ولا يكاد يبين الكلام لما فيه من الرتة يريد انه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة
ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم
ابيناء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد
الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن
به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات
الله عليه ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده
وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساور جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو
السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم
وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث
في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم

ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا
عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها وا
تبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو

فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم وقرئ **سلفا** جمع سالف كخادم
وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعنى
فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم
وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ٥ لما قرأ رسول الله صلى
الله عليه وآله على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا
شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم
ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة أليس تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه
خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء
في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله
فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله
بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه **إذا قومك** قريش **منه**
من هذا المثل **يصدون** ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول
الله صلى الله عليه وآله بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من
قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل
من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما **وقالوا آلهتنا خير
أم هو** يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا
هينا **ما ضربوه** أي ما ضربوا هذا المثل **لك إلا جدلا** إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين
الحق والباطل **بل هم قوم خصمون** لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله إنكم وما
تعبدون ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد
به الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته
لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد
للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال
وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أجاب عنه ربه
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن ظاهر قوله وما
تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من
النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله **آلهتنا خير أم هو** على هذا القول
تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة **وما ضربوه لك إلا جدلا** معناه وما قالوا
هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدل وقرئ آلهتنا خير أم هو بإثبات همزة الاستفهام
وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا

اي

أي جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل
أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير
في أم هو لمحمد صلى الله عليه وآله وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء
ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا
نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا
إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم
مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل **وما عيسى إلا عبد** كسائر العبيد **أنعمنا عليه** حيث
جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبني إسرائيل **ولو نشاء** لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر **لجعلنا منكم** لولدنا منكم يا رجال
ملائكة يخلفونكم **في الأرض** كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا
بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك
وإنه لعلم للساعة أي شرط من أشراطها تعلم به وقرأ ابن عباس لعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية
ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة
يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت
المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على
شريعة محمد صلى الله عليه وآله ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل
النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام
بها **فلا تمترن بها** من المرية وهي الشك **واتبعون** واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول
الله أن يقوله **هذا صراط مستقيم** أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير في وإنه
للقرآن **عدو مبين** قد بانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور
بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات **بالحكمة** يعني الإنجيل
والشرائع **فإن قلت** هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه **قلت** كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين
لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم **الأحزاب** الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا وعيد للأحزاب **فإن قلت** من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه **قلت** إلى الذين خاطبهم
عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم **أن تأتيهم** بدل من الساعة والمعنى **هل
ينظرون** إلا إتيان الساعة **فإن قلت** أما أدى قوله **بغتة** مؤدى قوله **وهم لا يشعرون** فيستغنى
عنه **قلت** لا لأن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم
وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون **يومئذ** منصوب بعدو أي في ذلك اليوم

يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون و
تلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق و

المزداد

كل خلة بين المتحابين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا الخلة المتصادقين فى الله وانها الخلة الباقية المزداد قوة اذا راوا ثواب التحاب فى الله والتباغض فى الله وقيل **الا المتقين** الا المجتنبين الاخلاء السوء وقيل نزلت فى ابى بن خلف وعقبة بن ابى معيط **يا عبادى** حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ **والذين امنوا** منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف اى الذين صدقوا بآياتنا **وكانوا مسلمين** مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل واحد فينادى مناد يا عبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس الناس غير المسلمين وقرئ يا عباد **تحبرون** تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل **والكوب** الكوز لا عروة له **وفيها** الضمير للجنة وقرئ **تشتهى** وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة فى القلوب واما مستلذة فى العيون **تلك** اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر **التى اورثتموها** صفة للجنة او صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها خبر المبتدأ او التى اورثتموها صفة **وبما كنتم تعملون** الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة وقرئ ورثتموها **منها تأكلون** من للتبعيض اى لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه واله لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها **لا يفتر عنهم** لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها **والمبلس** اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى **هم** فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ **وهم فيها** اى فى النار وقرأ ابن مسعود وعلى يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل تغير والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوى يا مال بالرفع كما يقال يا حار **ليقض علينا** من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا **فان قلت** كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس **قلت** تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم **ماكثون** لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبى صلى الله عليه واله يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك **لقد جئناكم** كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون فى قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء

عليهم اجابهم الله بذلك **كارهون** لا يقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب **ام ابرموا** مشركوا مكة **امرا** من كيدهم ومكرهم برسول الله **فانا مبرمون** كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون فى امر رسول الله **فان قلت** ما المراد بالسر والنجوى **قلت** السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره فى مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم **بلى** نسمعهما ونطلع عليهما **ورسلنا** يريد الحفظة عندهم **يكتبون** ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذى لا يخفى عليه شئ فى السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق **ان كان للرحمن ولد** وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها **فانا اول** من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو فى صورة اثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلى للمجبر ان كان الله خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول انه تعالى شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفى ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذى ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف الملئ بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين وقيل هى ان النافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر بن عبد الدار بن قصى قال ان الملئكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقنى فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره **فذرهم يخوضوا** فى باطلهم **ويلعبوا** فى دنياهم **حتى يلاقوا يومهم** وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه واله انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب فى دعوتهم كل صعب

أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين من يدعونه

ذليل وخذلان وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف ولذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك وقوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام أي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الواو في والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر

وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلى الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان فإن قلت ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وآله نجوما نجوما فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمرهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته

أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين لا إله إلا
هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب
أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون إنا

وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن
علي رضي الله عنه نفرق بالنون **كل أمر حكيم** كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه
الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز
أمراً من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة
وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا كائناً من لدنا وكما اقتضاه
علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما أن يوضع موضع فرقاناً
الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه
فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه
آمرين أمراً أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل فإن قلت
إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق **قلت** يجوز أن يكون بدلاً من قوله إنا كنا منذرين و
رحمة من ربك مفعولاً له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى
عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلاً ليفرق أو لقوله أمراً من عندنا ورحمة مفعولاً به وقد
وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في
هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة
الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض في
تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع
الضمير إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي عليه السلام أمر من عندنا
على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة من ربك
وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له **إنه هو السميع العليم** وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا
تحق إلا لمن هذه أوصافه وقرئ **رب السموات وربكم ورب آبائكم** بالجر بدلاً من ربك
فإن قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله إن كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بأن للسموات و
الأرض رباً وخالقاً فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا
الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما
إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا
سخاءه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله **بل هم في شك يلعبون**
وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب **يوم
تأتي السماء** مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في
الدخان فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم
القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام

الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه
وآله أول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى
المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان
والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصاً عند أبواب كندة يقول إنه
يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من
علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشاً لما استعصت على رسول
الله صلى الله عليه وآله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض
الدخان وكان الرجل يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه
وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا
إلى شركهم **بدخان مبين** ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان **يغشى الناس** يشملهم ويلبسهم وهو
في محل الجر صفة لدخان **وهذا عذاب** إلى قوله **مؤمنون** منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون
ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك **إنا مؤمنون** موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب
أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب
وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول
الله من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه
بأن عداساً غلاماً أعجمياً لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون ثم قال **إنا كاشفوا
العذاب قليلاً إنكم عائدون** أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون
غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال **فإن قلت** كيف يستقيم على قول من جعل الدخان
قبل القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلاً **قلت** إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به
من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون** منيبون فيكشفه
الله عنهم بعد أربعين يوماً فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون ثم قال **يوم نبطش
البطشة الكبرى** يريد يوم القيامة كقوله فإذا جاءت الطامة الكبرى **إنا منتقمون** أي ننتقم
منهم في ذلك اليوم **فإن قلت** بم انتصب يوم نبطش **قلت** بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لأن إن يحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش
بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى
باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ **ولقد فتنا** بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

على القوم ومعنى الفتنة ان الله امهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى
اقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم وغرقهم
كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم
ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا
مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا
الى وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله ارسل معنا بنى اسرائيل
ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان لى
وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه
ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة
برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله بسلطان مبين بحجة واضحة انى عذت بربى وربكم ان
ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم
فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لى فلا
موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى او فخلونى
كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم
ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما
يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله
تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على
اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها
من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون جواب شرط محذوف
كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى يعنى فاسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله
ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه
وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يصف بلاد شعر يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة
ولا الصدور على الاعجاز تتكل اى ذهبا ساكنا على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه
بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق امر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء
وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه
الله عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال
سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة
بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او فى موضع الرفع على الامر كذلك قوما
آخرين ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين
فى ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب
فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى
الله عليه وآله ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير
شعر تبكى عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية شعر ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم
تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما
يروى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه
فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية
لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل
كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت
هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا من فرعون بدل من
العذاب المهين كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم ووجهه ان يكون تقدير قوله
من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف
عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم
عرف حاله فى ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اى كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا
فى اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا فى الارض وكان من المسرفين جبارا كانه قيل انه كان
متكبرا مسرفا الضمير فى اخترناهم لبنى اسرائيل على علم فى موضع الحال اى عالمين بمكان الخيرة وبانهم
احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات
فى بعض الاحوال على العالمين على عالمى زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء فيهم من الآيات
من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى
لم يظهر الله فى غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة
او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار
قريش فان قلت كان الكلام واقعا فى الحيوة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حيوتنا الاولى
وما نحن بمنشرين كما قيل ان هى الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هى الا
موتتنا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها وانبتوا الاولى
قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم
موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا
ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة

فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن
مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم إن شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون
كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا
ما كنتم به تمترون

خاصة فلا فرق
اذا بين هنا

الأولى دون الموتة الثانية وما هذه التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا الموتة
الأولى وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم
فأتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين أي إن صدقتم
فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما
تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم
قصي بن كلاب ليشاوروه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون
هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو
الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان إذا كتب قال بسم الله
الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وآله لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم وعنه
عليه السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر إلى قبرين
بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا يشركان بالله شيئا وقيل هو الذي
كسى البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون و
سمي الظل تبعا لأنه يتبع الشمس فإن قلت ما معنى قوله أهم خير ولا خير في الفريقين قلت
معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن
عباس أهم أشد أم قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير ميقاتهم
بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني
مولى أي مولى كان من قرابة أو غيرها عن مولى أي مولى كان شيئا من إغناء أي قليلا منه ولا
هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى من رحم
الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب
على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن أطاعه قرئ شجرة الزقوم بكسر الشين
وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم
شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر و
زبد فقال تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وهو
الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل
طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها
ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها
من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب
خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض
ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن

ذلك

إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين
يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك
هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك لعلهم
يتذكرون فارتقب إنهم
مرتقبون

ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في
إنكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون
السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع
خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه
يقال للزباني خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس
وقتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء الجحيم إلى وسطها ومعظمها فإن قلت
هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه
قلت إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله
صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب
مستعارا له ليكون أهول وأهيب يقال ذق إنك أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن
كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله ما بين
جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وقرئ أنك
بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأه على المنبر إن هذا العذاب أو إن هذا
الأمر هو ما كنتم به تمترون تشكون أو تتمارون وتتلاجون وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة
والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن
المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والإستبرق
ما غلظ منه وهو تعريب استبر فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي قلت إذا
عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه
على أوجه الإعراب كذلك الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم
وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور
فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة
وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فإن قلت كيف
استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن يقال
لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال
ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في
المستقبل فإنهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا
يعني كل ما أعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار فضل منه وقرئ فضل أي ذلك فضل فإنما يسرناه بلسانك
فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم

بلسانك بلغتك ارادة ان تفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون اية وقيل ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد وقرئ ايات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في ايات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الاية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب ايات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ اية وكذلك وما يبث من دابة اية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات ايات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله واياته اي بعد ايات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد

الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون

حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء افاك كذاب اثيم متبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والاية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل شعر يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها وكأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله شعر كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراض ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية شعر نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال شعر اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم جهنم اي من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرئ اليم بالجر والرفع ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون

قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ۞ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
ثم إلى ربكم ترجعون ۞ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ۞
وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون ۞ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ۞ إنهم لن يغنوا عنك من الله
شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ۞

وسخر لكم تأكيد القول سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وأن
يكون وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس منة وقرأ سلمة بن محارب منه
على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك أو هو
منه. حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون أيام
الله لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون
الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل إنها نزلت قبل آية القتال
ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن
المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل
للأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة
فإن قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم و
ثناء عليهم كأنه قيل ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى
أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم
بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقول رسول
الله صلى الله عليه وآله عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ
ليجزى قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما
الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان
فيهم والنبوة من الطيبات مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق وفضلناهم على العالمين
حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم بينات آيات ومعجزات من الأمر من أمر الدين فما
وقع بينهم الخلاف في الدين إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما
اختلفوا لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الأمر
من أمر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك و
لا توالهم إنما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما
أبين الفضل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع
بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من
العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أي هذه الآيات أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها
إنكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم أن
نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي إلى مفعولين فأولهما الضمير والثاني الكاف و
الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ۞ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ۞ وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ۞
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد
الله أفلا تذكرون ۞ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا
يظنون ۞

في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه
منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية
وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم
الحاج وخفوق النجم أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون
محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك
على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه و
أولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا في
الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترقون
في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك
محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي
ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل
أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت ولتجزى معطوف
على بالحق لأن فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره وخلق الله السموات والأرض ليدل
بها على قدرته ولتجزى كل نفس أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبده كما
يعبد الرجل إلهه وقرئ آلهة هواه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا رأى ما هو أحسن رفضه إليه
فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا وأضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف
وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدي عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته
بأنواع الألطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد إضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث
وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تتذكرون نموت ونحيا نموت نحن ونحيى ببقاء أولادنا أو يموت بعض
ويحيى بعض أو نكون مواتا نطفا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة
يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ
إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي
هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون
كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام
لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وقرئ حجتهم بالنصب والرفع
على تقديم خبر كان وتأخيره فإن قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج
بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه في
أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون
لهم حجة ألبتة فإن قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
إلى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما
كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون

قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شىء عليه عامل النصب فى **يوم تقوم** يخسر **جاثية** باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم وقرئ **كل امة** على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة **الى كتابها** الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه **اليوم تجزون** محمول على القول **فان قلت** كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل **قلت** الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده **ينطق عليكم** يشهد عليكم بما عملتم **بالحق** من غير زيادة ولا نقصان **انا كنا نستنسخ** الملائكة **ما كنتم تعملون** اى نستكتبهم اعمالكم **فى رحمته** فى جنته وجواب اما محذوف تقديره **واما الذين كفروا** فيقال لهم **افلم تكن آياتى تتلى عليكم** والمعنى الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه وقرئ **والساعة** بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها **ما الساعة** اى شىء الساعة **فان قلت** ما معنى ان نظن الا ظنا **قلت** اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن ونفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله **وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا** اى قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها **ننساكم** نترككم فى العذاب كما تركتم عدة **لقاء يومكم هذا** وهى الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشىء المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشىء الذى يطرح نسيا منسيا **فان قلت** ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم **قلت** كمعنى اضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ **لا يخرجون** بفتح الياء **ولا هم يستعتبون** ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه **فلله الحمد** فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب **سورة الاحقاف مكية وهى اربع وثلثون آية وقيل خمس** **بسم الله الرحمن الرحيم** **الا بالحق** الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح **وبتقدير اجل مسمى** ينتهى اليه وهو يوم القيامة **والذين كفروا عما انذروا** من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه **معرضون** لا

وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم
الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله
الكبرياء فى السموات والارض
وهو العزيز الحكيم

لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم **بكتاب من قبل هذا** اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله **او اثارة من علم** او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اى من شىء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به **ومن اضل ممن** استفهام فى الانكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة **واذا** قامت القيامة و**حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا** عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم **بينات** جمع بينة وهى الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام فى للحق مثلها فى قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق **لما جاءهم** بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره فى البطلان لا شبهة فيه **ام يقولون افتريه** اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة فى ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات **قل ان افتريته** على سبيل الفرض عاجلنى الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه عنى فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلم لا املك لكم من الله شيئا ثم قال **هو اعلم بما تفيضون** اى تندفعون

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا إفك
قديم

فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى **كفى به شهيدا بيني وبينكم** يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم **وهو الغفور الرحيم** موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا **فإن قلت** فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله فلا تملكون لي **قلت** كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **البدع** بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أي ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح إليه من الغيوب فقيل له **قل ما كنت بدعا من الرسل** فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى الله إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربي **وما أدري** لأنه لا علم لي بالغيب **ما يفعل بي ولا بكم** فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** وعن الحسن ما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقيل هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل **فإن قلت** إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم **قلت** أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي أي الله عز وجل وجواب الشرط محذوف تقديره **إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به** ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين **والشاهد من بني إسرائيل** عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه السلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة

نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله أي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني إسرائيل **على مثله** الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين إن هذا لفي الصحف الأولى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فإن قلت** أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم **قلت** الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت إليك وأعرضت لم نتفق في أنك أخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك **للذين آمنوا** لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا إن عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قال بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو إليه محمد حقا ما سبقتنا إليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه **فإن قلت** لا بد من عامل في الظرف في قوله **إذ لم يهتدوا به** ومن متعلق لقوله **فسيقولون** وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام **قلت** العامل في إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم **فسيقولون هذا إفك قديم** وهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح بإضمار أن قوله حتى يقول الرسول

ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي اني

تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون

لمصادقه حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم هما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا هذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين كاملين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال شعر كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه

والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون

بنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتماله على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لدعوت بصلاء وصناب وصلائق وكراكر واسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي

ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض
ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم. وقرئ ءاذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بالف بين همزتين **الهون** الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ **تفسقون** بضم السين وكسرها **الاحقاف** جمع حقف وهي رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة **والنذر** جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار **من بين يديه** من قبله **ومن خلفه** ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلم قد انذرهم وقال لهم **لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب** واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى من خلفه على هذا التفسير بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم **لتأفكنا** لتصرفنا يقال افكه عن رأيه **عن الهتنا** عن عبادتها **بما تعدنا** من معاجلة العذاب على الشرك **ان كنت** صادقا في وعدك **فان قلت** من اين طابق قوله **انما العلم عند الله** جوابا لقولهم **فأتنا بما تعدنا** قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم للعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى **وابلغكم ما ارسلت به** وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شأني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه **فلما رأوه** في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح **والعارض** السحاب الذي يعرض في افق من السماء مثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة **بل هو** القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلم والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ **قل بل ما استعجلتم به هي ريح** اي قال الله قل هي **تدمر كل شئ** تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك **لا ترى** الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى

ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من
شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم
يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا
يفترون

على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء **الا مساكنهم** ومنه بيت ذي الرمة شعر وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا مسكنهم وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا **فان قلت** ما فائدة اضافة الرب الى الريح **قلت** الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه **ان** نافية اي فيما ما **مكناكم فيه** الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله شعر لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش شعر يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب ويؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن كم احسن اثاثا وريا كانوا اكثر منهم قوة وآثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار **من شئ** اي من شئ من الاغناء وهو القليل منه **فان قلت** بم انتصب اذ كانوا يجحدون **قلت** بقوله فما اغنى **فان قلت** لم جرى مجرى التعليل **قلت** لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك **ما حولكم** يا اهل مكة من القرى من حجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما والمراد اهل القرى ولذلك قال **لعلهم يرجعون القربان** ما تقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك الهتهم

وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا
سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون

بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم
أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه
ذا شركاء، وقرئ أفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر، وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ
الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق، وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة، وآفكهم جعلهم
آفكين، وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب، وذلك إفك مما كانوا يفترون
أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك. صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك،
وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة، والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه
لو كان ها هنا أحد من أنفارنا. فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم، أو لرسول الله و
تعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها. قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا
اسكتوا مستمعين، يقال أنصت لكذا واستنصت له. روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما
حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف
جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة، فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول
الله صلى الله عليه وآله وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته، وذلك
عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء
ثقيف. وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم، وإنما كان يتلو في صلاته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم. وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر
الجن ويقرأ عليهم، فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني
قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضر ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا
حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن
وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه مستثفري
ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم
ربك. فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى؟ قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية، وعن ابن عباس
أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى. فإن قلت لم بعّض في قوله من ذنوبكم؟ قلت
لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها، ونحوه قوله عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه
وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم. فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس؟ قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا
النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم، وإليه كان يذهب أبو حنيفة، والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم
مكلفون مثلهم. فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق، ونحوه قوله
وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا. بقادر محله الرفع لأنه خبر أن، يدل عليه قراءة
عبد الله قادر، وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها. وقال الزجاج

لو

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق
من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ۝

لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر، ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة
على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم، وقرئ يقدر، ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه
ومنه أفعيينا بالخلق الأول. أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر، وهذا المضمر هو ناصب الظرف
هذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب، والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم
بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين. أولوا العزم من الرسل أولوا الجد والثبات والصبر
ومن يجوز أن يكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء، قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقد ولده وذهاب
بصره، ويوسف على الجب والسجن، وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال
كلا إن معي ربي سيهدين، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
قال إنها معبر فاعبروها ولا تعمروها. وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما، وفي يونس ولا تكن
كصاحب الحوت. ويجوز أن يكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم. ولا تستعجل لكفار قريش
بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر، وإنهم مستقصرون حينئذ مدة
لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار. بلاغ أي هذا بلاغ، أي هذا الذي وعظتم به كفاية
في الموعظة، أو هذا تبليغ من الرسول. فهل يهلك إلا الخارجون من الاتعاظ به والعمل بموجبه،
وتدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلّغ فهل يهلك، وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا، وقرئ يَهلك بفتح
الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك، ونهلك بالنون. إلا القوم الفاسقين. عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل في الدنيا. سورة محمد
صلى الله عليه وآله مدنية عند مجاهد، وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية، وهي سورة القتال
بسم الله الرحمن الرحيم. وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام، أو صدوا
غيرهم عنه. قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر، وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون
الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر، وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن
يدخل في الإسلام، وقيل هو عام في كل من كفر وصد. أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها، وحقيقته جعلها
ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي مضيعة لا رب لها
يحفظها ويعتني بأمرها، أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن،
وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى و
قرى الأضياف وحفظ الجوار، وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بأن
نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله. والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش، وقيل
من الأنصار، وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب، وقيل هو عام. وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص
للإيمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الإيمان به تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان

ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم

يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم

ولا يتم الإيمان إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله **وهو الحق من ربهم** وقيل معناه أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ **نزّل** وأنزل على البناء للمفعول ونزّل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف **كفّر عنهم سيئاتهم** ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم **وأصلح بالهم** أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد **ذلك** مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير **كذلك** مثل ذلك الضرب **يضرب الله للناس أمثالهم** والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم **فإن قلت** أين ضرب الأمثال **قلت** في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين **لقيتم** من اللقاء وهو الحرب **فضرب الرقاب** أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صوره وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان **أثخنتموهم** أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض **فشدوا الوثاق** فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به **منا وفداء** منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن تمنوا عليهم فتطلقوهم وبين أن تفادوهم **فإن قلت** كيف حكم أسارى المشركين **قلت** أما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام وضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه

الطحاوي

الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعي فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وآله منّ على أبي عزة الجمحي وعلى أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء **أوزار الحرب** آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى شعر

وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا **فإن قلت** حتى بم تعلقت **قلت** لا تخلو إما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكر من التأويل **ذلك** أي الأمر ذلك أو افعلوا ذلك **لانتصر منهم** لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ **قتلوا** بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ **فلن يضل أعمالهم** وتضل أعمالهم على البناء للمفعول **ويضل أعمالهم** من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد **عرفها لهم** أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والأرف الحدود **إن تنصروا** دين الله ورسوله **ينصركم** على عدوكم ويفتح لكم **ويثبت أقدامكم** في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام **والذين كفروا** يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره **فتعسا لهم** كأنه قيل أتعس الذين كفروا **فإن قلت** علام عطف قوله **وأضل أعمالهم** **قلت** على الفعل الذي نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الأعشى شعر

فالتعس أولى لها من أن أقول لعا

يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي

ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين
أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم

كرهوا القرآن **وما أنزل الله** فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم **دمّره** أهلكه ودمّر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى **دمّر الله عليهم** ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكل ما كان لهم **وللكافرين أمثالها** الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا **مولى الذين آمنوا** وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المؤمنون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون **فإن قلت** قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية **قلت** لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعًا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة **يتمتعون** ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيامًا قلائل **ويأكلون** غافلين غير مفكرين في العاقبة **كما تأكل الأنعام** في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح **مثوى لهم** منزل ومقام وقرئ **وكائن** بوزن كاعن وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك **أهلكناهم** ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك **فإن قلت** كيف قال **فلا ناصر لهم** وإنما هو أمر قد مضى **قلت** مجراه مجرى الحال المحكية كقولك أهلكناهم فهم لا ينصرون **من بيّنة من ربه** أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وقرئ أمن كان على بيّنة من ربه وقال **سوء عمله واتبعوا** للحمل على لفظ من ومعناه **فإن قلت** ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار كمن هو خالد في النار **قلت** هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم مصدّر بحرف الإنكار ودخوله في حيّزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زيّن له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار **فإن قلت** لم عري من حرف الإنكار وما فائدة التعرية **قلت** تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبيّنة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل **شعر** أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودًا شصائصًا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصوّر قبح ما أزنّ به فكأنه قال نعم

مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودًا يقلّ طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار **مثل الجنة** صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره **كمن هو خالد** وقوله **فيها أنهار** داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلًا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معوية **شعر** لقد سقتني رضابًا غير ذي أسن كالمسك فُتّ على ماء العناقيد **من لبن لم يتغير طعمه** كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصًا ولا حازرًا ولا ما يكره من الطعوم **لذة** تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بالمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر **مصفى** لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره **ماء حميمًا** قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رءوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم **هم** المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالًا تهاونًا منهم **فإذا خرجوا قالوا** لأولي العلم من الصحابة **ماذا قال** الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوا لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس وأنا منهم وقد سُمّيت فيمن سُئل **آنفًا** وقرئ أنفًا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا **زادهم** الله **هدى** بالتوفيق **وآتاهم تقواهم** أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بيّن لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين **أن تأتيهم** بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك **فإن قلت** فما جزاء الشرط **قلت** قوله **فأنى لهم** ومعناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم **ذكراهم** أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى **فإن قلت** بم يتصل قوله **فقد جاء أشراطها** على القراءتين **قلت** بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه **والأشراط** العلامات قال أبو الأسود **شعر** فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو وقيل مبعث محمد صلى الله عليه وآله وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ **بغتة** بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد

للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل
ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا

كقراءة الحسن فيما تقدم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر
من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله
وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم أحوالكم
ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو
متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله
حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل
العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر
بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم
وقال أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال اعلموا أنما غنمتم من شيء
فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعده كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون
لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت سورة وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا
عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم
يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال
وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين
وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة
وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها
النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ
فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض
هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام نظر المغشي عليه من الموت أي تشخص أبصارهم
جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم
وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة وقول معروف
كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف
بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر أي
جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله إن ذلك
من عزم الأمور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم
وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم فهل عسيتم وعسيتم لغتان أهل الحجاز يقولون عسى أن
تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة
إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوبيخ فإن قلت ما معنى فهل عسيتم

للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر

أن تفسدوا في الأرض قلت معناه هل يتوقع منكم الإفساد فإن قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز
وعلا وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه إنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم
وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور
الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول
الله وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب
وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي
طالب رضي الله عنه توليتم أي إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم
بإفسادهم وقرئ وتقطعوا أو تقطعوا من التقطيع والتقطع أولئك إشارة إلى المذكورين لعنهم
الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا
عن إبصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوفون
إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها
أفلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا
يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم
مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله
لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا فإن قلت لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال
إليها قلت أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض
القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال إليها فلأنه يريد الأقفال المختصة
بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ إقفالها على المصدر والشيطان سول
لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن كقولك إن زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم
من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا
وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني وقرئ وأملي لهم يعني أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم
كقوله إنما نملي لهم وقرئ وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول
لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فإن قلت من هؤلاء قلت اليهود
كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم
المنافقون الذين قالوا اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه
وإنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الأمر التكذيب
برسول الله أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم
في التظافر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الأمر ما تأمرون به

والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملئكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

او فى بعض الامر الذى يهمكم **والله يعلم اسرارهم** وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ **توفاهم** ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تائيه كقوله ان الذين توفاهم **الملئكة** وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الله الا بضرب من الملئكة فى وجهه ودبره **ذلك** اشارة الى التوفى الموصوف **ما اسخط الله** من كتمان نعت رسول الله و**رضوانه** الايمان برسول الله **اضغانهم** احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم **لاريناكهم** لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك **بسيماهم** بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله بعد هذه الاية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق **فان قلت** اى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم **قلت** الاولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف واما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف **فى لحن القول** فى نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال شعر ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذووا الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب **اخباركم** ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرا يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلوا اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا **وسيحبط اعمالهم** التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله باطلة وهم قريظة والنضير وسيحبط اعمالهم التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر **ولا تبطلوا اعمالكم** اى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابى العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل

ان

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسئلكم اموالكم ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **ثم ماتوا وهم كفار** قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم **فلا تهنوا** فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو **وتدعوا الى السلم** وقرئ السلم وهما المسالمة **وانتم الاعلون** اى الاغلبون الاقهرون **والله معكم** اى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى ومنصوب لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى **ولن يتركم** من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما قتلا ونهبا **يؤتكم اجوركم** ثواب ايمانكم وتقواكم **ولا يسئلكم اموالكم** اى ولا يسئلكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال **ان يسئلكموها فيحفكم** اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله **تبخلوا ويخرج اضغانكم** اى تضطغنون على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير فى يخرج لله عز وجل اى يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع اضغانكم **هؤلاء** موصول بمعنى الذين صلته **تدعون** اى انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون **لتنفقوا فى سبيل الله** قيل هى النفقة فى الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل عليه انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر **فمنكم** ناس يبخلون به ثم قال **ومن يبخل** بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله **فانما يبخل عن نفسه** يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغنى الذى تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب **وان تتولوا** معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا **يستبدل قوما غيركم** يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملئكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان حقا

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما

على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم

ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما

او انزل عليهم السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم هو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وآله التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة وكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بالتخفيف والخطاب لرسول الله ولامته بكرة واصيلا عن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر انما يبايعون الله لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وآله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فمن نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ بما عاهد وعهد يقال وفيت بالعهد واوفيت به وقرئ فسنؤتيه بالنون والياء

سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج

عهد **فسنؤتيه** بالنون والياء يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أنه صلى الله عليه حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم هو صلى الله عليه وآله وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغّلتنا بالتشديد يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يملك لكم من مشية الله وقضائه إن أراد بكم ما يضركم من قتل وهزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم الأهلون جمع أهل وقد يقال أهلات على تقدير التاء كأرض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل كلاهما في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم زينا لهم أعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى كنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين مقام مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والأرض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما فإن رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية إذا انطلقتم إلى مغانم إلى غنائم خيبر أن يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وهو وعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا بل تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم وقرئ بكسر السين وكذا لا يفقهون لا يفهمون إلا قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى لا يعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا فإن قلت ما الفرق بين حرفي الإضراب قلت الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية إلى قوم أولي بأس شديد يعني بني

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين

حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب فهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية **فإن قلت** عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله **قلت** إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم **كما توليتم من قبل** يريد في غزوة الحديبية **أو يسلمون** معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وآله حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وآله واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه على أن لا يفروا فقال لهم رسول الله أنتم اليوم خير أهل الأرض كان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة **فعلم ما في قلوبهم** من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه **فأنزل السكينة** أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم **وأثابهم فتحا قريبا** وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق **وعدكم الله مغانم كثيرة** وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيمة **فعجل لكم هذه** المغانم يعني مغانم خيبر **وكف أيدي الناس عنكم** يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح **ولتكون** هذه الكفة **آية للمؤمنين** وعبرة يعرفون بها أنهم

ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم
لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد
أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا

من الله بمكان وانتصارا من نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فتح مكة في
منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح
مكة **ويهديكم صراطا مستقيما** ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله **قد أحاط الله بها** أي
قدر عليها واستولى وأظفركم عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله
بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء
لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط بها خبر المبتدأ والجر بإضمار رب **فإن قلت** قوله ولتكون
آية للمؤمنين كيف موقعه **قلت** هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك
ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية
للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم
بذلك هداية وإيقانا **ولو قاتلكم الذين كفروا** من أهل مكة ولم يصالحوا أو قيل من حلفاء أهل
خيبر لغلبوا وانهزموا **سنة الله** في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو
قوله لأغلبن أنا ورسلي **أيديهم** أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم
الظفر والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان
ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله من هزمه
وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقرئ
تعملون بالتاء والياء وقرئ **والهدي** والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة
بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد
الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي **معكوفا أن يبلغ محله** محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد
الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه
الحرم **فإن قلت** فكيف حل رسول الله ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية **قلت** المراد المحل المعهود
وهو منى **لم تعلموهم** صفة للرجال والنساء جميعا وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في
تعلموهم **والمعرة** مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه **وبغير علم** متعلق بأن
تطؤوهم يعني أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال
ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وإن
آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين
منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم
غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام
عليه ويجوز أن يكون **لو تزيلوا** كالتكرير **لولا رجال مؤمنون** لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون
لعذبنا هو الجواب **فإن قلت** أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت** يصيبهم

الدية والكفارة وسوء قالة المشركين إنهم فعلوا بأهل دينهم ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى
منهم بعض التقصير **فإن قلت** قوله **ليدخل الله في رحمته من يشاء** تعليل لماذا **قلت** لما دلت عليه الآية
وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه
قال كان الكف ومنع التعذيب **ليدخل الله في رحمته** أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم وليدخل
في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم **لو تزيلوا** لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله
وقرئ لو تزايلوا **إذ** يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك
الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة
والسكينة الوقار ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزل بالحديبية بعثت قريش
سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن
يعرضوا على النبي صلى الله عليه وآله أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي قريش مكة من العام القابل
ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله
أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا
محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا
وحلموا **وكلمة التقوى** بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير
ومستحقيه ومن هو أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد
ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وفي مصحف الحارث بن
سويد صاحب عبد الله **وكانوا أهلها وأحق بها** وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج رأى رسول الله
صلى الله عليه وآله قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله حق
فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى **صدق الله رسوله الرؤيا** صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى
الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله
عليه **فإن قلت** بم تعلق بالحق **قلت** إما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا
بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من
في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى أنها لم
تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي
هو من أسمائه **ولتدخلن** جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف **فإن قلت** ما وجه دخول **إن شاء الله**

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجرا عظيما

في إخبار الله عز وجل **قلت** فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل
ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم
أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو على حكاية ما قال رسول الله لأصحابه
وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين **فعلم ما لم تعلموا** من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى
العام القابل **فجعل من دون ذلك** أي من دون فتح مكة **فتحا قريبا** وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب
المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود **بالهدى ودين الحق** بدين الإسلام **ليظهره** ليعليه **على الدين
كله** على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين وأهل الكتاب ولقد
حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند
نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما
وعد من الفتح وتوطين نفوس المؤمنين على أن الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على
الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة **وكفى بالله شهيدا** على أن ما وعده كائن وعن الحسن شهد على
نفسه أنه سيظهر دينك **محمد** إما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله **هو الذي أرسل رسوله**
وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح **والذين
معه** أصحابه **أشداء على الكفار رحماء بينهم** جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار
أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما
بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء وأما
المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه
ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا
هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوتهم
في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السجحة ووجه
من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر
سيماهم علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التي
تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله **من أثر السجود** يفسرها أي من التأثير الذي تؤثره
السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك
يقال له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعها منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ
من إثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه **فإن قلت** فقد جاء
عن النبي صلى الله عليه وآله لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود
فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك إذا اعتمد

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم

بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق نستعيذ بالله منه ونحن فيما حدث
في جبهة السجاد الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى
بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت
الأرؤس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه
من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى
الطهور وتراب الأرض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار **ذلك** الوصف **مثلهم** أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين
جميعا ثم ابتدأ فقال **كزرع** يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله **ذلك مثلهم في التوراة** ثم ابتدأ
ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع **أخرج شطأه**
كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي الإنجيل بفتح الهمزة
شطأه فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة
وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا **فآزره**
من المؤازرة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره
وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين **فاستغلظ** فصار من الدقة إلى الغلظ **فاستوى
على سوقه** فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان
فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي
واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وآله قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى
من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع **فإن قلت** قوله **ليغيظ بهم الكفار** تعليل
لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به
وعد الله الذين آمنوا لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا
غاظهم ذلك ومعنى **منهم** البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة **سورة الحجرات وهي ثمان عشرة**
بسم الله الرحمن الرحيم قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو وتعدية
الهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه
وفي قوله **لا تقدموا** من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم
والثاني أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا
على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز أن يكون من قدم
بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة

من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى تاءي تتقدموا إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشد
ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا
إلى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان
أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت
اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع وقد
جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها
هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام
على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا أمرا إلا
بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول الله وعليه
يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز
أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبني عمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله من الله بالمكان الذي لا يخفى
سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع أصواتهم
فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان أدنى
ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو
الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني
سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم
أتوا رسول الله فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله
ونزلت أي لا تعملوا شيئا من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله وعن مسروق دخلت على عائشة
في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا
اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله
أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح إذا مضى
من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله بالمدينة أتته الوفود من الآفاق
فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا
كانوا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هي عامة في كل
قول وفعل ويدخل فيها أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشى بين يديه
إلا لحاجة وأن يستأني في الافتتاح بالطعام **واتقوا الله** فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى
عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله تجنبه فإن التقي حذر لا يشافه

يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون

أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن تقارف بعض الرذائل
لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما
لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها **إن الله سميع**
لما تقولون **عليم** بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب وإعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد
الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منه لئلا يفتروا ويغفلوا
عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم
الجدوى في دينهم وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه
أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله **لا ترفعوا أصواتكم**
فوق صوت النبي أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن
تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته
واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه
بصخبكم وبقوله **ولا تجهروا له بالقول** أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه
من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب
من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه
وقيل معنى **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** لا تقولوا له يا محمد ويا أحمد وخاطبوه بالنبوة
قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رض يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار
حتى ألقى الله وعن عمر رض أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وآله كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه و
كان أبو بكر إذا قدم على رسول الله وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة و
الوقار عند رسول الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة
لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب
لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه
المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله
وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو وما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال
عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس
صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته
وفيه يقول نابغة بن جعدة **شعر** زجر أبي عروة السباع إذا ... أشفق أن يختلطن بالغنم
زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا
بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي ... رفعت عيني بالحجاز
إلى أناس بالمناقب ... وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون ما دون

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفائهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها **أن تحبط أعمالكم** منصوب الموضع على أنه مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا **فإن قلت** لخص الفرق بين الوجهين **قلت** تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما إليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الأول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه **فإن قلت** بأي النهيين تعلق المفعول له **قلت** بالثاني عند البصريين مقدرا إضماره عند الأول كقوله آتوني أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لأن ما بعد الفاء لا يكون إلا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما أهلكت ومنه قوله عليه السلام وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر إذا غفر وهو نكسه وتراميه إلى الفساد جعل العمل السيء في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله

عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يتحرز ويتوقى ويتحفظ **امتحن الله قلوبهم للتقوى** من قولك امتحن فلان لأمر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الأمر أي كائن له ومختص به قال **شعر** أنت لها أحمد من بين البشر ، أعداء من لليعملات على الوجى ، وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أي لتثبت وتظهر تقواها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وأنشد **شعر** أتت رذايا باديا كلالها ، قد محنت واضطربت آطالها ، قيل أنزلت في الشيخين رض لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لأن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض أصواتهم وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء **والوراء** الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان **فإن قلت** أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه من وما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لأن الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها **الحجرات** بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله ولمكان حرمته والفعل وإن كان

ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان
تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا
من الله ونعمة والله عليم حكيم ه

مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر
الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون
يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى
نفى ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى في كلامهم روى ان وفد بنى تميم اتوا رسول
الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل
رسول الله عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت
الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من
بينات اكبار محل رسول الله واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه
والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض
نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ومنها
التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة
ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له واماطة لما تداخله
من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتامل كيف ابتدئ
بايجاب ان تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد
ثم اردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى
ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظم
موقعه عند الله ثم جئ على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله في
حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة
ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه
جلة المهاجرين والانصار باخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش
مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابى
عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم
قط حتى يخرج في وقت خروجه **انهم صبروا** في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت
صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة
ومشقة ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا
حر **فان قلت** هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج **قلت** ان حتى مختصة بالغاية المضروبة
تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في
كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهم غاية

قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها **فان قلت** فاى فائدة في قوله
اليهم **قلت** فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه
اليهم **لكان خيرا لهم** في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم
من كذب كان شرا له **والله غفور رحيم** بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه
ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا ه بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة
اخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابى وقاص فصلى بالناس وهو
سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بنى المصطلق
وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع
وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله
فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندى كنفسى يقاتل مقاتليكم ويسبى ذراريكم
ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق
والانباء كانه قال اى فاسق جاءكم باى نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف
الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو
نوع منه والفسوق الخروج من الشئ والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة من قشرها
ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشئ
اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من
الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين
متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط
من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا
على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور **ان تصيبوا** مفعول له اى كراهة
اصابتكم **قوما بجهالة** حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة
الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم
على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر
المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه
ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا و
موصوفا بانه لا يفارق صاحبه ه الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى
تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور

وكذا دينهما مذهب سديد والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل
المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على أمثلته ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم في الجهد والهلاك
يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب ما يؤديه إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيض بعد الجبر و
هذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد
وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في
التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب إليكم الإيمان أي إلى
بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته
اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله
أولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله أي أولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته
فإن قلت ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها قلت القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من
استتباع رأي رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه فإن قلت فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم
قلت للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأي في أمر كان معمولا
عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد
منه مستمرا فإن قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا
وإثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان
قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى
تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع
إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثني
عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فإن قلت فإن
العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت
الذي سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي و
أخلاق محمودة ومنهم قالوا أحسن ما في الذميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته لدلالته
على غيره على أن من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر
المدح على النعت بأمهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع
إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك مما ليس للإنسان
فيه عمل غلطا ومخالفة من المعقول والكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود والفسوق الخروج
من قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع
العرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما
على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت
فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن
الله يحب المقسطين

فيه من الرشادة وهي الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد وغير مقلد وموشمات
صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا مفعول له أو مصدر من غير فعله فإن قلت من أين جاز
وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط أن يتحد الفاعل قلت لما وقع
الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد
كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه ولا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله
تعالى والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو
كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لأن رشدهم فضل
من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام والله عليم بأحوال المؤمنين
وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم عن ابن عباس
رضي الله عنه قال وقف رسول الله على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك
عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول
حمارك أطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى
رسول الله صلى الله عليه وآله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما الأوس
والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله وأصلح
بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح
والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال
الكفار إلى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين
فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فإن قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا
كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين والنفرين قلت هو مما حمل على
المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله
فإن فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما
وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى
بعد أن اعتزل فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روي عن النبي
صلى الله عليه وآله أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله
أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا يخلو الفئتان من المسلمين
في قتالهما إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين
ويثمر المكافة والموادعة فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما وإما أن
يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة
والبراهين القاطعة وإطلاعهما على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احديهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لا تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله **فاصلحوا بينهما بالعدل** على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين **واقسطوا** امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظه منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا

قطع

قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه **واتقوا الله** فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منكم وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم **القوم** الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت قوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير **شعر** اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان تقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله **عسى ان يكونوا خيرا منهم** كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا **واللمز** الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا من لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول

يا با سعيد يا سعيد وقال الماما ثيا للعم اتنا منته فاقطع سنته فانه انا احيفش يميز
يخطو في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا يتقي الله ولا من الناس يستحيي فوقه
الله وتحته مائة الف ويزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة الصلوة
ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان
المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تلمزون بلان
من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها
تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء و
التلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما
ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي عليه السلم من حق المؤمن على اخيه
ان يسميه باحب اسمائه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رض اشيعوا
الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله
وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب
الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك
ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى ابي حذيفة
فنزلت وعن عائشة رض انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة
وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبنية وسدلت طرفها خلفها وكانت
تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء
رسول الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول
الله فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله هلا
قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان
به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى
الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة
يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب
بعدها ابدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما
يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم
اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق
وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان
ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود
يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه

والجملة

يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا
الله ان الله تواب رحيم

والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما
تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر
اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوع عن مفعول الامر بواحد والمامور باجتنابه
هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت
بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية
وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا
بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف
لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف
بالكثرة مجتنبا وما اتصف بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما
سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان
المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد
والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله
عليه وآله ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان
الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة
لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله
ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه
العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت
هذي النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها باحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه
وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في
قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس
بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن
مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وآله انه خطب فرفع صوته
حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف
بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر
لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به غائبه واغتيابه
كغاله واغتيابه والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم
خبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله بكل شيء عليم

سئل رسول الله عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه
فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس **أيحب أحدكم** تمثيل وتصوير لما
يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام
الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل
إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب
بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة
كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي وانتصب
ميتا على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الأخ وقرئ ميّتا ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم
لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله **فكرهتموه** معناه فقد كرهتموه وهي الفاء الفصيحة أي
فتحققت بوجوب الإقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوه
كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين
وقرئ فكرّهتموه أي جبلتم على كراهته **فإن قلت** هلا عدي بإلى كما عدي في قوله وكره إليكم
الكفر وأيهما القياس **قلت** القياس تعديه بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول
كرهت الشيء فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديته بإلى فتأول وإجراء لكرّه
مجرى بغّض لأن بغّض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه كقولك حبب إليه الشيء
فهو حبيب إليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب من عباده أو لأنه ما من ذنب
يقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبة أو لأنه بليغ في قبول التوبة منزّل صاحبها
منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم
على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين
وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام
عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله
فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا إلى رسول الله قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا
لحما فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت **من ذكر وأنثى** آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم
من أب وأم فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر
والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب
وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والشعب تجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس

فصيلة

فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها وقرئ **لتعارفوا** ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا
أي لتعلموا بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا
التفاوت والتفاضل في الأنساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان غيره ويكتسب الشرف
والكرم عند الله فقال **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا تتفاخر بالأنساب
فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه طاف يوم
فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا
أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية
وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى و
كرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول
من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله
يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل
هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم
الإيمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس **والإسلام** الدخول في السلم والخروج
من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى إلى قوله **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** فاعلم
أن كل ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو
إيمان **فإن قلت** ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال
قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم **قلت** أفاد هذا النظم تكذيب
دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن
حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه ثم
نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين **أولئك هم الصادقون** تعريضا
بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تؤمنوا
عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان ثم وصلت
بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون
خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه
في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به **فإن قلت** قوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد
قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة **قلت** ليس كذلك فإن فائدة قوله
لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه
قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال

يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد امنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا والمعنى ان تطيعوا الله ورسوله ان تتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه فان قلت ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما تقتضيه من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايمان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات يقال علمت به بمعنى شعرت به ولذلك احطت به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد اذا اسداها اليه

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد

كقولك انعم الله عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه اشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى كما زعموا ان يكون ايمانا فلما منوا على رسول الله ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم وقرئ تعملون بالياء والتاء وفي هذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في ق والقران المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس او بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءاذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من

قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط

الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى
استبعاداً لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ أإذا متنا
على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب
الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا
رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى و
تأكله من لحومهم وعظامهم كان قادراً على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وآله كل
ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض
منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه
وكتب فيه بل كذبوا إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم
وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم
في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة
كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في
قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث أفلم ينظروا
حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من فتوق
يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور
مددناها دحوناها رواسي جبالاً ثوابت لولا هي لتكفأت من كل زوج من كل صنف
بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به وتذكر كل عبد منيب راجع إلى ربه مفكر
في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ماء مباركاً كثير المنافع وحب
الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما
باسقات طوالاً في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله باصقات بإبدال السين صاداً
لأجل القاف نضيد منضود بعضه فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من
الثمر رزقاً على أنبتناها رزقاً لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها
لرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف
في محل الرفع على الابتداء أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لأن المعطوف عليه قوم نوح
والمعطوفات جماعات كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم إلا أنه وحد الضمير
الراجع إليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول
الله وتهديد لهم أفعيينا عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى أنا لم نعجز كما علموا
عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك
في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان

وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الإنسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من
قول إلا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد و
جاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد

وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس
الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح
أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف
كما عرف الخلق الأول قلت قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من
سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة الصوت الخفي
ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس
والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان
أي ما تجعله موسوساً وما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته
به نفسه قال شعر وأكذب النفس إذا حدثتها ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب علمه
منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقاً لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه
كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الأمكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقوله
هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار قال ذو الرمة شعر والموت أدنى لي من الوريد والحبل
العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى إلى قوله شعر كأن وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان
مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل
سمي وريداً لأن الروح ترده فإن قلت ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد والشيء لا يضاف
إلى نفسه قلت فيه وجهان أحدهما أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني أن يراد
حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل
حبل العلباء مثلاً إذ منصوب بأقرب وساغ ذلك لأن المعنى يعمل في الظروف متقدمة
ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من كل
قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذاناً بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه
وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في
كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف الأعمال يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك
مع علمه بإحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن
النبي صلى الله عليه وآله إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما
وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز أن يكون تلقي الملكين بياناً
للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون
به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين
قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله شعر كنت منه ووالدي
بريئاً رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء

تمامه
رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطوي رماني

القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله
الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا
ما اطغيته ولكن كان في ضلال
بعيد قال لا تختصموا لدي وقد

حتى انبته في مرصد وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ **وما يلفظ** على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله **وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور** وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة المرء وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة **بالحق** اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رض سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت **ذلك** اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله **ولقد خلقنا الانسان** على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر **تحيد** تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر **ذلك يوم الوعيد** على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى المصدر نفخه **سائق وشهيد** ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل **معها سائق** النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة وقرئ **لقد كنت عنك غطاءك فبصرك** بالكسر على خطاب النفس يقال لها كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه **قال قرينه** هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله **قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد** هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به

قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون
لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب

يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي **فان قلت** كيف اعراب هذا الكلام **قلت** ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف **ألقيا** خطاب من الله للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون الالف في ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف **عنيد** معاند مجانب للحق معاند لاهله **مناع للخير** كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت **معتد** ظالم متخط للحق **مريب** شاك في الله وفي دينه **الذي جعل** مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى **قلت** لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون **فان قلت** فاين التقاول ههنا **قلت** لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له **ما اطغيته** ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال لا تختصموا** استئناف مثل قوله **قال قرينه** كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به **وما انا بظلام للعبيد** فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله **ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد** ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به **فان قلت** ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد

ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج

في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت هذا لا تختصموا وقد صح عندك اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندكم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العقاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفي ذلك قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد مع امتلائها كقوله لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر تستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل قرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية لكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا الى الثواب الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشي مع ان المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم

الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه اما نيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فيقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة فنقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب من قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آناء الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما

انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما
انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد

يروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك
ثم حدثه بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم
ينادى المنادى يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادى المنادى اسرافيل
ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل
ينادى بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا
وهى وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة
ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث
والحشر للجزاء علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الا
العظيم الا على القادر بالذات الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله بجبار كقوله بمسيطر
حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة
عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على
الايمان وعلى بمنزلته فى قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد
كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى
الله عليه وآله من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة الذاريات مكية وهى
ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال
الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر
وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك
ومعنى يسرا اى جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم
امر العباد جبرئيل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن
على رضى الله عنه انه قال وهو على المنبر سلونى قبل ان تسئلونى ولن تسئلوا بعدى مثلى فقام ابن الكوا
فقال ما الذاريات قال الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك
قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله
بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب
وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى
الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذى تسوق
فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات

تجريها بهبوبها

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك
انكم لفى قول مختلف يؤفك
عنه من افك قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسئلون ايان يوم
الدين

البحر ومنافعه واما على الثانى فلانها تبتدى فى الهبوب فتذرو التراب والحصا فتقل السحاب
فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون لصادق جواب القسم وما موصولة او
مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء لواقع لحاصل الحبك
الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره
قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك والدرع
محبوكة لان حلقها مطرق وطرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى
انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس
محبوك المعاقم اى محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع
حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك
بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك
بوزن الابل لفى قول مختلف قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن شعر وسحر
واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف يؤفك عنه
الضمير للقرآن او الرسول اى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك
على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله اى علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوى
ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم
بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر
القيامة من هو المافوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله فى قوله ينهون
عن اكل وعن شرب اى يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم
فى السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرا سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك
على البناء للفاعل من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل
والراى ليسال عن رسول الله فيقولون احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن على يافك عنه
من افك اى يصرف الناس عنه من هو مافوك فى نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك اى
يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اى يحرم منه من حرم
من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان
ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون
المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل
هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اى قتل الله فى غمرة فى جهل يغمرهم ساهون غافلون
عما امروا به يسئلون فيقولون ايان يوم الدين اى متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فان قلت
كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين

يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم
كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم
وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه

فان قلت بم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون
ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز
ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن
ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها
كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره اي
هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا
العذاب آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم
الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى و
يأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده
ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك
ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة
على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات
لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال شعر قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع
وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم
بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم
وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم
المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان يكون ما نافية كما قال بعضهم وان
يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها
فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي
المحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وآله ليس المسكين
الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا
يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض
آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها
كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في
مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة
وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة
الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها
موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة
والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال

والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق
السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا
آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها
وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان
وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق
ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة
على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له
وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا
استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد
بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم
ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما
ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء قرئ مثل ما بالرفع صفة
للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته
الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما
انك هاهنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وآله او
الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل
قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات
فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل
وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن
يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة
فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب
السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه
حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس
من علم رسول الله وانما عرفه من الوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل
مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل
وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم او لانهم
في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى او
انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر
باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد

اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين

الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلم والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كأنه قال انكم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون الهمزة فيه للانكار انكر عليهم ترك الاكل وحثهم عليه فاوجس فاضمر منهم خيفة لما رأى اعراضهم عن طعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت بسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم فما شأنكم وما طلبكم انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم بحيث لم يقنعوا بما ابيح لهم الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفا ممدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله آية علامة يعتبر

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم

وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء

بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل تولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما وهو مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في اخذناه فان قلت كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف على حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله عصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب والرميم ما رم اي بلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية

ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى

كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون ٥

سورة الطور

لا تعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من
قبلهم رسول الا قالوا **اتواصوا به** الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول
حتى قالوه جميعا متفقين عليه **بل هم قوم طاغون** اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان
واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه **فتول عنهم** فاعرض
عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك
في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله
فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او تزيد
الداخلين فيه وروي انه لما نزلت **فتول عنهم** حزن رسول الله واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان
الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله **وذكر** اي **وما خلقت الجن والانس** الا لاجل
العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها **فان قلت** لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا
قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم
ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم يريد ان شأني
مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم
في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا او مرتب في فلاحة ليغل ارضا
او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه
ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابوابها فاما مالك ملك
العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم
وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما
هو الا انا وحدي **المتين** الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل
الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ
الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله اني انا الرازق **الذنوب** الدلو العظيمة وهذا
تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب
ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شأس شعر وفي كل حي قد خبطت
بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان الذين ظلموا
رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من
القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم **من يومهم** من يوم القيمة وقيل من يوم بدر
عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت
وجرت في الدنيا **سورة الطور مكية وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان
عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في
خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا
هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم
لا تبصرون ٥

والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه
الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو
يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله
ونفس وما سواها **والبيت المعمور** الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين **والسقف المرفوع**
السماء **والبحر المسجور** المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل
يوم القيمة البحار كلها نارا يزاد بها في نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار
في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور **لواقع** لنازل قال جبير بن
مطعم اتيت رسول الله اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ
ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب **تمور** تضطرب وتجيء وتذهب وقيل
المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة ٥ غلب الخوض في الاندفاع
في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا **الدع**
الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى
اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرأ زيد بن علي يدعون من
الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار **دعا** مدعوعين له يقال لهم **هذه النار** ٥
افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد هذا المصداق ايضا سحر ودخلت
الفاء لهذا المعنى **ام انتم لا تبصرون** كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه
كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم **سواء** خبر محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه
فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون **قلت** لان الصبر انما يكون له
مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي
هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ٥ **في جنات ونعيم** في اية جنات واي
نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ **فاكهين**
وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف
لغوا اي متلذذين **بما آتاهم ربهم** **فان قلت** علام عطف قوله ووقاهم ربهم **قلت** على قوله
في جنات او على آتاهم ربهم على ان يجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب
الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة ٥ يقال لهم **كلوا واشربوا** اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله شعر هنيئا
مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر
القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ

وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله إخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الإخوان المؤمنين وأتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فإن قلت ما معنى تنكير الإيمان قلت معناه الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد إيمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم وأتبعتهم ذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو أن يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما ألتناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرئ ألتناهم من ألات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين أي مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكها وخلصها وإلا أوبقها وأمددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم كأسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم أي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم غلمان لهم أي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به

نيل

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ

نيل ما عند الله مشفقين أرقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة من قبل من قبل لقاء الله والمصير إليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى الفطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال أمن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أحلامهم عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فإن قلت ما معنى كون الأحلام آمرة قلت هو مجاز لأدائها إلى ذلك كقوله أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الإضافة والضمير لرسول الله ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم أم عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختيار حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك أم عندهم الغيب أي

وإن يروا كسفا ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم

اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق وإن للذين ظلموا وإن لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فإنك بأعيننا مثل أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله ولتصنع على عيني وقرئ بأعينا بالإدغام حين تقوم من أي مكان قمت وقيل من منامك وإدبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشائين وإدبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء أو جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم إذا هوى إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به إذا هوى إذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة إذا هوى إذا نزل وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله قال حسان شعر من يرجع العام إلى أهله

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى

فما أكيل السبع بالراجع يعني محمدا صلى الله عليه وآله والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وإنما هو وحي من عند الله يوحى إليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل الهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك أن رسول الله أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وآله مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى إن رأى خيرا تدلى وإن لم يره تولى قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والإصبع ومنه لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة إصبعا فإن قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة إصبعا أي ذا مقدار مسافة إصبع أو أدنى أي على تقديركم كقوله أو يزيدون إلى عبده إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يلبس كقوله على ظهرها ما أوحى تفخيم للوحي الذي أوحي إليه قيل أوحي إليه إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق وقرئ ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته أفتمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن

عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم
اللات والعزى ومنوة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان

كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا شعر لئن هجوت أخا صدق ومكرمة لقد مريت أخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة أخرى مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبرئيل نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملئكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهي إليها أرواح الشهداء عندها جنة المأوى الجنة التي يصير إليها المتقون عن الحسن وقيل تأوي إليها أرواح الشهداء وقرأ علي رضي الله عنه وابن الزبير وجماعة جنه المأوى أي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عايشة أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله إذ يغشى السدرة ما يغشى تكبير وتعظيم لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملئكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلم يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما رآه وما طغى أي أثبت ما رآه إثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت اللات والعزى ومناة أصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة أصلها تأنيث الأعز وبعث إليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول شعر يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك ورجع فأخبر رسول الله فقال

عليه السلم

إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملئكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم

عليه السلم تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ مناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل ألكم الذكر وله الأنثى ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة تلك إذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمزة وضيزى بفتح الضاد إن هي ضمير الأصنام أي ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها أسماء الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تهوى الأنفس وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل أم للإنسان ما تمنى هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان كل ما يتمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي فلله الآخرة والأولى أي هو مالكهما فيعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم ليسمون الملئكة أي كل واحد منهم تسمية الأنثى لأنهم قالوا الملئكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى وما لهم به من علم أي بذلك وبما يقولون وقرئ بها أي بالملئكة أو التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ
بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى

فأعرض عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الاخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدى من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض وفاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء وفى ليجزى ونجزى بالنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازى المحسن من المكلفين والمسئ منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدى جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى كبائر الاثم اى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التى يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اى النوع الكبير منه قيل هو الشرك بالله الا اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاؤه اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابى سعيد الخدرى اللمم هى النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى الخطرة من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء الحين بعد الحين فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب والرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر اكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روى ان عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبد الله بن سعد ابن ابى سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شئ فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ
النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ
أَقْنَى وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشِّعْرَى

المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل فهو يرى فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة فى الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشئ الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابرهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبى صلى الله عليه وآله وفى عمله كل يوم باربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ فى صحف بالتخفيف الا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما فى صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا تزر الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير اضحك وابكى خلق قوتى الضحك والبكاء اذا تمنى اذا تدفق فى الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى اى قدر المقدر وفى النشأة وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة واقنى واعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك الشعرى هى نجم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ

الله ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم فى دينهم يريد انه رب معبودهم هذا ه عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدم فى الدنيا الاشراف وقرئ عادا الولى وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا او قرئ ثمود اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى دفعها الى السماء على جناح جبرئيل ثم اهواها الى الارض اى اسقطها ماغشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما فى نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القران نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها او ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرء طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية افمن هذا الحديث وهو القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدى لنا اى غنى لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الالهة ه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انشقاق القمر من آيات رسول الله ومعجزاته النيرة عن ابن مالك ان الكفار سالوا آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر اى قربت الساعة وقد حصل من آيات قربها ان القمر قد انشق

بسم الله الرحمن الرحيم اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ

كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت شطريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته اى مستبشع مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اى كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا او شقاوة او سعادة فى الاخرى وقرئ بفتح القاف يعنى كل امر ذو مستقر اى ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله من الانباء من القران المودع انباء القرون الخالية او انباء الاخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله لكم فى رسول الله اسوة حسنة اى هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاء فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من لما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفى او انكار وما منصوبة اى فاى غناء تغنى النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم ه نصب يوم يدع الداعى بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل وجبرئيل كقوله يوم ينادى المناد الى شئ نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهى لغة من يقول اكلونى البراغيث وهم طى ويجوز ان يكون فى خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى

يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم

بعض جائى كالجراد وكالدبا **منتشر** فى كل مكان لكثرتهم **مهطعين الى الداع** مسرعين مادّى اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال [شعر] تعبّدنى نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع **قبلهم** قبل اهل مكة **فكذبوا عبدنا** يعنى نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل **مجنون** هو مجنون **وازدجر** وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم فى قوله لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ **انى** بمعنى فدعا بانى وانى على ارادة القول فدعا فقال **انى مغلوب** غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم الياس من اجابتهم لى **فانتصر** فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليهم الامر وبلغ السيل الزبى فقد روى ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقرئ **ففتحنا** مخففا ومشددا وكذلك **وفجرنا** **منهمر** منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما **وفجرنا الارض عيونا** وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره فى النظم واشتعل الراس شيبا **فالتقى الماء** يعنى مياه السماء والارض وقرئ الماءان اى النوعان من الماء السماوى والارضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى قال [شعر] لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان **على امر قد قدر** على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهى ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر فى اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان **على ذات الواح ودسر** اراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد اراد ولكن قميصى درع وكذلك ولو فى عيون النازيات باكرع اراد ولو فى عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه **والدسر** جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه **جزاء** مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء **لمن كان كفر** وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة

فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر االقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر

للعالمين وكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اى جزاء للكافرين وقرا الحسن جزاء اى مجازاة الضمير فى **تركناها** للسفينة او للفعلة اى جعلناها **اية** يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة **مدكر** المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام الذال فيها وهذا نحو مزدجر **والنذر** جمع نذير وهو الانذار **ولقد يسرنا القران للذكر** سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد **فهل من** متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هياناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال [شعر] وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزينى الذى كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القران **ونذر** وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او انذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم **فى يوم نحس** وقرئ فى يوم نحس كقوله فى ايام نحسات **مستمر** قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى اربعاء فى اخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة **تنزع الناس** تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدى بعض ويتدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم **كانهم اعجاز نخل منقعر** يعنى انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهى اصولها بلا فروع **منقعر** منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية **ابشرا منا واحدا** نصب بفعل يفسره نتبعه كان يقول ان لم تتبعونى كنتم **فى ضلال** عن الحق **وسعر** ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال [شعر] كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم **االقى الذكر عليه من بيننا** اى انزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة **اشر** بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم

إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر

علينا على ادعاء ذلك **سيعلمون غدا** عند نزول العذاب بهم أو يوم القيمة **من الكذاب الأشر** أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الأشر وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري تقول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره **مرسلوا الناقة** باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا **فتنة لهم** امتحانا لهم وابتلاء **فارتقبهم** فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون **واصطبر** على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري **قسمة بينهم** مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء **محتضر** محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها **صاحبهم** قدار بن سالف أحيمر ثمود **فتعاطى** فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف **صيحة واحدة** صيحة جبرئيل **كهشيم** الشجر اليابس المتهشم المتكسر **المحتظر** الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة **حاصبا** ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم **بسحر** بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد **شعر** مرت بأعلى السحرين تدأل وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه **نعمة** إنما مفعول له **من شكر** نعمة الله بإيمانه وطاعته **ولقد أنذرهم** لوط عليه السلام **بطشتنا** أخذنا بالعذاب **فتماروا** فكذبوا **بالنذر** متشاكين **فطمسنا أعينهم** فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبرئيل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط **فذوقوا** فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة **بكرة** أول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول أتيته بكرة وغدوة إذا أردت التنكير وبكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته **عذاب مستقر** ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة **فإن قلت** ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر **قلت** فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو

ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير

ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان غير منسية في كل أوان **النذر** موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الإنذار **بآياتنا كلها** بالآيات التسع **أخذ عزيز** لا يغالب **مقتدر** لا يعجزه شيء **أكفاركم** يا أهل مكة **خير من أولئكم** الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة **نحن جميع** جماعة أمرنا مجتمع **منتصر** ممتنع لا نرام ولا نضام وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت **سيهزم الجمع** عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها **ويولون الدبر** أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الأدبار **أدهى** أشد وأفظع والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه **وأمر** من الهزيمة والقتل والأسر وقرئ سيهزم الجمع **في ضلال وسعر** في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة **مس سقر** كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويولم **ذوقوا** على إرادة القول **وسقر** علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته قال ذو الرمة **شعر** إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث **كل شيء** منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه **وما أمرنا إلا واحدة** إلا كلمة واحدة سريعة التكوين **كلمح بالبصر** أراد قوله كن يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه **أشياعكم** أشباهكم في الكفر من الأمم **في الزبر** في دواوين الحفظة **وكل صغير وكبير** من الأعمال ومن كل ما هو كائن **مستطر** مسطور في اللوح **ونهر** أنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد **في مقعد صدق** في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق **عند مليك مقتدر** مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر
بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع
الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل مكي ومدني وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه
وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى
مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه
منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار
عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط
علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما
عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح
المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما
وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي
ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق ويسجدان ينقادان
لله فيما خلقا له وإنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فإن
قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالأولى قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي
لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر
يسجدان له فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك
الجمل الأول واردة على سنن التعديد الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي
المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد
التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فإن قلت أي تناسب
بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت إن الشمس والقمر سماويان والنجم
والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان
تذكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب
لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الإنسان
آدم وعنه محمد صلى الله عليه وآله وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها
مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره
ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء
شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به
كل ما يوزن به الأشياء وتعرف من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ألا تطغوا
لأن لا تطغوا أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على إرادة القول وأقيموا
الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر بالتسوية

والأرض وضعها للأنام والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الإنسان
من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين
فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما

فاكهة ضروب مما يتفكه به والأكمام كل ما يكم أي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه
وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الأكمام أوعية التمر الواحد
كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب أراد فيها
ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو
الحب قرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان
الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف أهل الشام والحب ذا العصف والريحان
أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف
المضاف ويقام المضاف إليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الأنام عليهما
وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين
المطبوخ بالنار وهو الخزف فإن قلت فما اختلاف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ
مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ
مسنونا ثم صلصالا والجان أبو الجن وقيل هو إبليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان
فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط فإن قلت ما معنى قوله من
نار قلت هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله
فأنذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما مرج البحرين أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا
فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما
ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أي الله عز وجل
اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الأحمر وهو
البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فإن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح
لما التقيا وصارا ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون
أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والإكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على
صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذي يقال له ما أجلك
وأكرمك أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام وعنه عليه السلام أنه مر برجل
وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك فإن قلت ما النعمة في
ذلك قلت أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك وكل من أهل السماوات والأرض
مفتقر إليه فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم

يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن
والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي

كل يوم هو في شأن أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه تلاها فقيل له وما ذاك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين، وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب، وقيل نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا، وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال لطاهرية دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيمة وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فما بال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمة ويكون توبة في هذه الأمة لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو في شأن فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه. سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وسيفرغ بالياء مفتوحا ومكسورا مع فتح الراء وفي قراءة أبي سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم. والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض. يا معشر الجن والإنس كالترجمة لقوله أيه الثقلان. إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء، وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به. شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد شعر: تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا. وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي نقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا. فلا تنتصران فلا يمتنعان.

ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء
ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان

أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيماء المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون. فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون. قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وإن كان على حده. فيؤخذ بالنواصي والأقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام. حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون ويطافون ويطوفون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار من اللطف. مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أي حافظ مهيمن من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد شعر: ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين. يريد به ونفيت عنه الذئب. فإن قلت لم قال جنتان. قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل لقوله وزيادة. خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال شعر: ومن كل أفنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش أخضر ناضر. عينان تجريان حيث شاؤا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل. زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب. متكئين نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع. بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الإستبرق

من التطيف يتطوفون يطوفون

فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ٥

فاطلك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجني بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن لم يمس الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما اي من دون تينك الجنتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة ٥ نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله جبريل وميكائيل او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق ٥ مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه ٥ والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكا وقرئ ذو الجلال صفة للاسم شكر ما انعم الله تعالى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين

سورة الواقعة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي سبع وتسعون آية

وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقبه ونزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير شعر ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج واصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ۝

الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفؤلهم بالسانح وتطيرهم بالبارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة اصحاب اليمن والشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشاييم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال **والسابقون** المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال **ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة** تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاء والمعنى اي شيء هم **والسابقون السابقون** يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم شعر وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا و**اولئك المقربون** خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة **المقربون في جنات النعيم** الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم و**الثلة** الامة من الناس الكثيرة قال شعر وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله **وقليل من الاخرين** كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه واله وقليل من الاخرين وهم امة محمد وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن النبي صلى الله عليه واله الثلتان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال وقليل من الاخرين ثم قال وثلة من الاخرين **قلت** هذا في السابقين وذلك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين جميعا **فان قلت** فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه واله يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين **قلت** هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الاية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة **موضونة** مرمولة بالذهب مشبكة

بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى شعر ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض **متكئين** حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين **متقابلين** لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب **مخلدون** مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وعن الحسن اولاد الكفار خدام اهل الجنة **الاكواب** اوان بلا عرى وخراطيم **والاباريق** ذوات الخراطيم **لا يصدعون عنها** اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **يتخيرون** ياخذون خيره وافضله **يشتهون** يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ **وحور عين** بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب شعر الا رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف على ولدان وبالجر على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا **جزاء** مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم **سلاما سلاما** اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية **السدر** شجر النبق و**المخضود** الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب و**الطلح** شجر الموز وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع قال وما شان الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد رزقا للعباد فقيل او نحولها فقال اي القران لا يهاج اليوم ولا يحول وعن ابن عباس نحوه و**المنضود** الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة **وظل ممدود** ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **مسكوب** يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود **لا مقطوعة** هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة** لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين **وفرش** جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف **مرفوعة** نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله **انا انشاناهن انشاء** وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي

ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين
وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل إن الأولين
والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم

أنشئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أن أم سلمة سألته عن قول الله تعالى إنا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك قالت وا وجعاه فقال لها رسول الله ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية **عربا** وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل **أترابا** مستويات في السن بنات ثلث وثلثين وأزواجهن أيضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلث وثلثين واللام في لأصحاب من صلة أنشأنا وجعلنا **في سموم** في حر نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناه في الحرارة **وظل من يحموم** من دخان أسود بهيم **لا بارد ولا كريم** نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك **والحنث** الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج **أوآباؤنا** دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف **فإن قلت** كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن **قلت** حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أوآباؤنا وقرئ **لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم** إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما **أيها الضالون** عن الهدى **المكذبون** بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم **من شجر من زقوم** من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه فمن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه **شرب الهيم** قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه

ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون

فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة شعر فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملأوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم **فإن قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليستا بمتفقتين من حيث أن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين **النزل** الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي شعر وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف **فلولا تصدقون** تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا **ما تمنون** ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف وقرأ أبو السماك بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى **تخلقونه** تقدرونه وتصورونه **قدرنا بينكم الموت** تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف **سبقته** على الشيء إذا أعجزته وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله **وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم** إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى **أفرأيتم ما تحرثونه** من الطعام أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه **أأنتم تزرعونه** تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي إلى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الآية **والحطام** من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم **فظلتم** وقرئ بالكسر وفظللتم على الأصل **تفكهون** تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك وقرئ تفكهون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ

ويتركها الفقراء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون **انا لمغرمون** لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك **بل نحن محرومون** محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا وقرئ ائنا **الماء الذي تشربون** يريد الماء العذب الصالح للشرب **المزن** السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء **اجاجا** ملحا زعاقا لا يقدر على شربه **فان قلت** لم ادخل اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا **قلت** ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس شعر حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه واثباته لم اره فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء شعر اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب **تورون** تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة **شجرتها** التي منها الزناد **تذكرة** تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا الحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويتذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم **ومتاعا** ومنفعة **للمقوين** الذين ينزلون القواء وهي القفر او الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم اكل شيئا **فسبح باسم ربك** فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك فاراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك و**العظيم** صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول

سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الائه واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها **فلا اقسم** معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرا الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال **بمواقع النجوم** بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله **انه لقران كريم** واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القران اي اوقات نزولها **كريم** حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله **في كتاب مكنون** مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم **المطهرون** من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقران فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرا الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه **تنزيل** صفة رابعة للقران اي منزل **من رب العالمين** او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا **افبهذا الحديث** يعني القران **انتم مدهنون** اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرا علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به

وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم من جحودكم افعال الله واياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق وسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الواقعة ابدا في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مكية وهي

تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد واللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد

قلت الواو الاولى معناه الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم المستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ليخرجكم الله باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته لرءوف وقرئ لرؤف ان لا تنفقوا في ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله لو انفق احدكم مثل احد ذهبا

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ
بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ

ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. أعظم درجة وقرئ قبل الفتح. وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله، وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن الإنفاق في سبيل الله، شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه. فيضاعفه له أن يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا أضعافا من فضله. وله أجر كريم يعني وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه. وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو. يوم ترى ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز. يوم يقول بدل من يوم ترى. انظرونا انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة وهؤلاء مشاة، أو انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به، وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم. نقتبس من نوركم نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به. قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم نقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم. فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار، قيل هو الأعراف. لذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه. باطنه باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة. وظاهره ما ظهر لأهل النار. من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار، وقرأ زيد بن علي فضرب على البناء للفاعل. ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر. فتنتم أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها. وتربصتم بالمؤمنين الدوائر. وغرتكم الأماني طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار. حتى جاء أمر الله وهو الموت. وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم، وقرئ الغرور بالضم. فدية ما يفتدى به. هي مولاكم قيل هي أولى

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ
وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ
وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

بكم، وأنشد قول لبيد شعر: فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها. وحقيقة مولاكم محراكم ومظنتكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل إنه لكريم، ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل، وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار. ألم يأن من أنى الأمر يأني إذا جاء إناه أي وقته، وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني، ولما يأن، قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت، وعن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، وعن ابن عباس إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، وعن الحسن أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرءون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق، وعن أبي بكر رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب، وقرئ نزل ونزل وأنزل. ولا يكونوا عطف على تخشع، وقرئ بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. فإن قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق؟ قلت يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء، وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا. أراد بالأمد الأجل كقوله إذا انتهى أمده، وقرئ الأمد أي الوقت الأطول. وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين. اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. المصدقين المتصدقين، وقرئ على الأصل، والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين. فإن قلت علام عطف قوله وأقرضوا؟ قلت على معنى الفعل في المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا، كأنه قيل إن الذين اصدقوا وأقرضوا. والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة، وقرئ يضعف، وقرئ يضاعف بكسر العين أي يضاعف الله، يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله. لهم أجرهم ونورهم أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم. فإن قلت كيف يسوى بينهم في الأجر ولا بد

اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما
اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتيكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات

من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم
مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اراد ان المعنى الدنيا
ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وضوان الله وشبه
حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار
الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار
حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا
سابقوا سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض
قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول
فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد
بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الاخرة بعث عباده على
المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك
الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون المصيبة في الارض
نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها
يعني الانفس او المصائب ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان
عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم
ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده
مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل
اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من
فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما اتيكم واتاكم من
الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة
تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه
عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي
لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا
بأس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين
يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم
يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل
يرغبونهم في الامساك ويزينونه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول
عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني
عنه وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك

لقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن
مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب

لقد ارسلنا رسلنا يعني الملئكة الى الانبياء بالبينات بالحجج وبالمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي الوحي والميزان روي ان جبرئيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به و
انزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان و
الميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله
تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا
الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه
فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة
الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح
وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوي عزيز قوي بقدرته وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا
به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب
كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا
تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة
وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها
حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة
في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام
فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا
الرهبانية ومعناه الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي و
قرئ رهبانية كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها
بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني احدثوها من عند انفسهم
ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية
نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فاتينا الذين امنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين
اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة
على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة
من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا
ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انا كتبناها عليهم والزمناها اياهم ليتخلصوا من الفتن
ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا المؤمنين الرا

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ۝ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور ۝

منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله يؤتكم كفلين من رحمته اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله وقدموا باموالهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجر مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني اهل الكتاب فخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكي يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام ۝ وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد شعر اريد لانسى ذكرها ۝ وقرئ ان لا يقدروا بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية او الا ما يكون من نجوى ثلثة اوالا العشر الاول وهي ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قالت عائشة رض الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه كان اذا دخلت عليه اكرمها

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ۝

وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع قلت معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمراد ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره احكام الشرع وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا يحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود
الله وللكافرين عذاب أليم إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين
عذاب مهين ه

الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب
ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار
بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة
والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات
رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي
من النسب او امرأة ابني او ابي او ام امرأتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون
الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات
والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون
المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من
الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه
ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير
والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر
ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اني ظاهرت
من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان
قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة
وعند الشافعي لا تجزي الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي
ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز
فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه ان يستأنف نهارا
مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها
فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان قلت كم يعطي المسكين في الاطعام
قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي
يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند
الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب
تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم
يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله
وبعده سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الام يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من المظاهر
والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل
بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود

يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم و

الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب أليم ه يحادون
يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل
قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه و
آله وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم
يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد
غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا
بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد احصاه الله
احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي
وانما تحفظ معظمات الامور ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على
ان النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي
فلا تخلو اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى
ثلاثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرأ ابن ابي عبلة ثلاثة
وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى تدل عليه او على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها
من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان
قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى
منهم ثلاثة ولا خمسة كما تروهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع
ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان
بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهما ترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا
يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء
بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني ان قصد
ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا
بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول
عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا
ترى الى عمر بن الخطاب رضي كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يجاوز بها الى سابع فذكر
عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا
اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله
خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا
وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع
معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز

وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ
الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

أن يكونوا محصورين مطلقًا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ ولا أكبر
بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم و
محاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ **ثم ينبئهم** على التخفيف كانت اليهود
والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن
يغيظوهم فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ ينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات
الرسول **حيوك بما لم يحيك به الله** يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد و
السام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا
أيها النبي **لولا يعذبنا الله بما نقول** كانوا يقولون ما له إن كان نبيا لا يدعو ا
علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا **يا أيها الذين آمنوا**
خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أي **إذا تناجيتم** فلا
تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر **وتناجوا بالبر والتقوى** وعن النبي صلى الله عليه وآله
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروي دون الثالث
وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود إذا انتجيتم فلا تنتجوا **إنما النجوى** اللام إشارة
إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله **ليحزن الذين آمنوا** والمعنى أن الشيطان يزينها
لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم **وليس** الشيطان أو الحزن **بضارهم شيئا**
إلا بإذن الله فإن **قلت** كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله **قلت** كانوا يوهمون المؤمنين
في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو
الحزن بذلك الموهم **إلا بإذن الله** أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة
على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن **تفسحوا في المجلس** توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من
قولهم افسح عني أي تنح ولا تتضاموا وقرئ والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال
وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف
فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أي
توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه **يفسح الله لكم** مطلق في كل ما يبتغي
الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك **انشزوا** انهضوا
للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا
رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا
تثبطوا ولا تفرطوا **يرفع الله** المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم
مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝

منهم **درجات بما تعملون** قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان إذا
قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه و
آله بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة
وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه
عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة
هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم
والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم
إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء
فاته من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما
يصير وعن الزهري العالم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال **بين يدي نجواكم** استعارة ممن له
يدان كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم
ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته **ذلكم** التقديم **خير لكم** في دينكم **وأطهر** لأن الصدقة
طهرة روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأريد
أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي
رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم
قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير
فلعسرته وأما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة
من نهار وعن علي رضي الله عنه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها
أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق
به في عشر كلمات سألهن رسول الله وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن
كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية وآية النجوى قال ابن عباس
هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة **أأشفقتم** أخفتم تقديم الصدقات
لما فيه من الإنفاق الذي تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء **فإذ**
لم تفعلوا ما أمرتم به وشق عليكم **وتاب الله عليكم** وعذركم ورخص لكم في أن لا تفعلوا
فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات **بما تعملون** قرئ بالتاء والياء
كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب
عليه وينا صحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين **ما هم منكم** يا مسلمون **ولا منهم** ولا من اليهود
كقوله مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء **ويحلفون على الكذب** أي يقولون
والله إنا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام **وهم يعلمون**

أعدّ الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح

انّ المحلوف عليه كذب اي يقولون والله انا لمسلمون فان قلت ما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وآله علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه فنزلت عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي لمنتظا ولعلى سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدّوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعّفون امر المسلمين عندهم وايما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرنّ يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا فيحلفون لله على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته وتبيانه نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحوه انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استنطاقهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمع وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ان يذكروا الله اصلا

لا بقلوبهم ولا بألسنتهم قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان ومقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه او فعلته قال نعم قال لا تعد اليه قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة السمع والبصر وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بنو النضير رسول الله على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر صلى الله عليه وآله محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين

مكنهم فدربوا على الارقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة واللام في **لاول الحشر** يتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقوله جئته لوقت كذا والمعنى **اخرج الذين كفروا** عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله **ما ظننتم ان يخرجوا** لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم **وظنوا انهم مانعتهم حصونهم** تمنعهم من باس الله **فاتيهم امر الله من حيث لم يحتسبوا** من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسابهم ومنه اتاهم الهلاك **فان قلت** اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وبين النظم الذي جاء عليه **قلت** في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك **والرعب** الخوف يرعب الصدر اي يملؤه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استيصال شأفتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب **فان قلت** ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين **قلت** لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم وكلفوهم اياه **فاعتبروا** بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم **فلولا انه كتب عليهم الجلاء** واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت **لعذبهم في الدنيا** بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة **ولهم** سواء اجلوا او قتلوا **عذاب النار** يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة **من لينة** بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان من اللين وقيل اللون ذو الرمة شعر

كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها لين وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن واكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما **فباذن الله** فقطعها باذن الله وامره **وليخزي الفاسقين** وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله امر ان تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال **فان قلت** لم خصت اللينة بالقطع **قلت** ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب

ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب

افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة **والايجاف** من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله صلى الله عليه وآله في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى **فما اوجفتم عليه** فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائه فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي تولى عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة **والدولة** والدولة بالفتح والضم وقد قرئ

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ
تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي
قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

بهما ما يدور للانسان اى يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون بها او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزّ بزّ والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية وليقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما فى كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله تعالى اخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسوله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله تعالى اولئك هم الصادقون فى ايمانهم وجهادهم والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوءوا الدار قلت معناه تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله شعر علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون لا يعلمون فى انفسهم حاجة مما اوتوا اى طلب محتاج اليه مما اوتى المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اى خلة واصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال اى مفروضة خصاصتهم وكان رسول

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ

الله صلى الله عليه وآله قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال شعر يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوقّ والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين فى السر ولا نطيع فيكم احدا من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او فى خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة لكاذبون اى فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين رهبة مصدر رهب المبنى للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله فى صدورهم دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم فى السر منكم اشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم فى صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولى بأس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة فى صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته الا كائنين فى قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب فى قلوبهم وان تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين

حتى تحتم لا يقاتلونكم جميعا لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا القران لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات
فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع
لقلوبهم على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على
ارواحهم كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت بم
انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم
لرسول الله من قولهم كلا وبيل وخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم
في الاخرة عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر
ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه
في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقرئ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبران وفي النار لغو
على القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما بالرفع
كرر الامر بالتقوى تاكيدا واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد
والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا وعن الحسن لم يزل يقربه حتى
جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل
عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير
النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال
فالتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف
كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا
ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم
بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم
كقوله لا يرتد اليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم
في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق
بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم
ان يعلموا ذلك وينتبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه
فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب
الشافعي بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال
المسلمين بالقهر هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة وقد دل عليه وتلك
الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند
تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهد
وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة القدوس بالضم
والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام وصف به مبالغة في
وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم
بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما في تحقق موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة
السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار
القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ في الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم
عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور
الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرا المصور
اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرا ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة سالت حبيبي
صلى الله عليه واله عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد
علي فاكثرت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة الحشر غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله بالمدينة وهو
يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم
الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهب الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث
عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها
عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى
اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل بالخبر فبعث
رسول الله عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال
انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها وجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال
علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او
تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله امن جميع الناس يوم الفتح
الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا
في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم

بدرا وقد علمنا ان الله تعالى ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا وقبل عذره فقال عمر
دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل
بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت
عدوي تتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كالعفو من عفا ولكونه
على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان
يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت
اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم
انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم
بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء
بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة وافضى اليه
بشقوره اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على
ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم
وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون
اليهم اسرار رسول الله بسبب المودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا
تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استئناف
كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم
لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم
اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون
استئناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا
تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد
اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم يعني ان ما كان
يجب ان يكون سببا لايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا
منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو تردون عن دينكم فاذن موادة
امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم
خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت
وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل
كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل
الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم و

قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان
لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد

اولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون لها دونه والعدو اهم شيء عنده
ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم
واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا
خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوا اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى
تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل
ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل
ونفصل بالنون وقرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي
بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا
لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا
كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده
انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى
كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا
على شيء فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة
الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان
كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما
املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله
شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني
عليه وتابع له كأنه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل
قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون
المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه تعليما وتتميما لما وصاهم به من
قطع العلائق بينهم وبين الكفار والايتساء بابرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة
الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ براء كشركاء
وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء
والبراءة كالظماء والظماءة ثم كرر الحث على الايتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتأكيدا
عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من
التأكيد الا جاء به فلما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع
اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول

عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم

التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واراداها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهيكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها اية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك واتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة

وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وآله بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه وآله من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وآله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعن الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ذلك اذ دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجهن على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي في المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت هذه الاية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزلت قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم

يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ٥

قلت نعم الفائدة فيه ان يتغادر فيه شيء من هذا الجنس ان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه **فعاقبتم** من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر **فآتوا** من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف مع فتح القاف وكسرها بمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بالعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله مهور نسائهم من الغنيمة **ولا يقتلن اولادهن** وقرئ بالتشديد يريد واد البنات **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن** كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف **فان قلت** لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يأمر الا بمعروف **قلت** نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها فقال عليه السلم ابايعكن **على ان لا تشركن بالله شيئا** فرفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلم **ولا يسرقن** فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ٥

فما ادري أيحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وانك لهند ابنة عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال **ولا يزنين** فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه السلم **ولا يقتلن اولادهن** فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال **ولا يأتين ببهتان** فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال **ولا يعصينك في معروف** فقالت والله ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه وروي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل **لا تتولوا قوما** مغضوبا عليهم **قد يئسوا** من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة **كما يئس الكفار** من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل **من اصحاب القبور** بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة **سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي عليه السلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم

كيبة صهر كرفوا

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون
أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني
رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا
سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا
نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه
كقوله شعر غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب
لا يكون إلا من شيء خارج من نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره
دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ
المقت منه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل
أشده وأفحشه وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته
وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال
تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم
يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين أنفسهم أو مصفوفين
كأنهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه إلى بعض ورصف وقيل يجوز أن
يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن
بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله
صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان إذ منصوب بإضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال
كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من تنقصه وعيبه في نفسه
وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة
والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال أي تؤذونني
عالمين علما يقينا أني رسول الله إليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري
لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم
رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم بأن
منع ألطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف فإن
قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة
لكم فيه قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه
والمعنى أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من
بعدي اسمه أحمد يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ
من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء
كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فإن قلت
بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم قلت بل بمعنى الإرسال

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى
تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى
الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين وأي الناس
أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته
إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن
السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي دعاه وادعاه نحو لمسه و
التمسه وقد يدعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة و
كأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك
لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الإضافة في لا أباك وإطفاء نور الله
بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال
من ينفخ في نور الشمس ليطفئه والله متم نوره أي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالإضافة
ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الأديان المخالفة له
ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد
إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام وقرئ أرسل نبيه تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا
وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب
بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فإن قلت لم
جيء على لفظ الخبر قلت للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد
موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء
كأنما كانت ووجدت فإن قلت هل لقول الفراء إنه جواب هل أدلكم وجه قلت وجهه
أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون
بالإيمان والجهاد يغفر لكم فإن قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا
قلت وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله شعر محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من
أمر تبالا وعن ابن عباس قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا
ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون
كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها
وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم
من أموالكم وأنفسكم فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم تعلمون قلت معناه إن كنتم تعلمون
أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد
فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون وأخرى تحبونها ولكم إلى هذه النعمة
المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله نصر من

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ٥

الله وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل فإن قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فإن قلت لم نصب من قرأ نصراً من الله وفتحاً قريباً قلت يجوز أن ينتصب على الاختصاص أو على تنصرون نصراً ويفتح لكم فتحاً أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصراً وفتحاً قرئ كونوا أنصار الله وأنصاراً لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث على النصرة عليهم فإن قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى صلوات الله عليه من أنصاري إلى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصرة الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئ منصوبة لكان وجهاً كقول العرب الحمد لله أهل الحمد الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولاً منهم بعث رجلاً أمياً في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا أني أبعث أعمى في عميان وأمياً في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أمياً مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن في

وان

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون

وإن كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه وآخرين مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين في عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيمة ويجوز أن ينتصب عطفاً على المنصوب في يعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستنداً إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلاً أمياً من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي أعطاه محمداً وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وآله والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفاراً أي كتباً كباراً من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الأسفار فإن قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله شعر ولقد أمر على اللئيم يسبني هاد يهود إذا تهود أولياء لله كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقاً وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعاً إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه ثم قال ولا يتمنونه أبداً بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد أن يتمنى وهي إحدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت تشبيهاً بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه إنه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن معنى الشرط وقد جعل إن الموت الذي تفرون منه كلاماً

قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ يا أيها الذين
آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ فإذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك
قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ۝

برأسه وفي قراءة زيد إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استونف إنه ملاقيكم يوم
الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع
كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن
جميعا فإن قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لإذا وتفسير له والنداء الأذان
وقالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله مؤذن واحد فكان
إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد وإذا نزل أقام للصلوة ثم كان أبو بكر وعمر على ذلك
حتى إذا كان عثمن وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على
داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام للصلوة فلم يعب
ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لوي وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار
قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما
نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم
الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وآله فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف
وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة
عامدا المدينة فأدركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة
وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ثلث فخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم
في قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم
بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي
صلى الله عليه وآله خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة
وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلم
أتاني جبرئيل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون
لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم
المزيد وعنه إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب إن الله
فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال عليه السلم
من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث إذا كان
يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام
من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات في أيام السلف
وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول

بدعة

بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم
وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبي
حنيفة إلا في مصر جامع لقوله عليه السلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع
والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه
لقوله عليه السلم فمن تركها وله إمام عادل أو جائر الحديث وقوله أربع إلى الولاة الفيء والصدقات
والحدود والجمعات فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة
لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد وصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى
الإمام وعند الشافعي بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى
ولا على الأعمى عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن
مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي
بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد
بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب
وذكر محمد بن الحسن في موطاه أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد
هذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه إلى ذكر الله إلى الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال
أبو حنيفة إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمن أنه
صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وإنكم إلى
إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم
ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة فإن قلت كيف يفسر ذكر الله
بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين
وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر
الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو
من ذكر الله على مراحل وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب
الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام أراد الأمر بترك ما يذهل
عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه
من قراهم وبواديهم وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص
الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة و
يتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد
قيل بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة

منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فإن قلت فإذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد ثم أطلق لهم ما حظر الله عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير فإن قلت فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلوة الجمعة كيف يصنع قلت إن بقي وحده أو مع أقل من ثلثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه إذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت فإن قلت كيف قال إليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم أرادوا بقولهم نشهد إنك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فإن قلت أي فائدة في قوله والله يعلم إنك لرسوله قلت لو قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام اتخذوا أيمانهم جنة يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف

فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالإيمان وقرأ الحسن إيمانهم أي ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم ويعضده قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فإن قلت المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله إنما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وآله ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم فإن قلت ما معنى قوله كأنهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة على الحائط لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت

يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون ۝ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون ۝ سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين ۝ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ۝ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ۝

ضمائرهم لتضمنه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل شعر ما زلت تحسب كل شئ بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا لا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اى هم الكاملون فى العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير فان قلت حقه ان يقال هى العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة ه قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم لووا رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد عليه السلام فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لعبد الله انت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترض ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول

يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون ۝ وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ۝ ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ۝

الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا فقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله بتخليته وروى انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك اى شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتمونى ان اومن فآمنت وامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما فى آلسحر وآلله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن ابى عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية لا تلهكم اى لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعى فى تدبيرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم فى حيوتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شئ وادونه فى جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون فى تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبى الجهاد مع رسول الله من فى مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان يأتى احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض اناملة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن

على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسئل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكوة ووالله لو راى خيرا ما سئل الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المؤمنون الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة **لولا اخرتني** وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي **الى اجل قريب** الى زمان قليل **فاصدق** وقرأ ابي فاتصدق على الاصل وقرئ **واكن** عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرأ واكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح **ولن يؤخر الله** نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة **والله عليم بما تعملون** فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ **يعملون** بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** يعني فمنكم آت بالكفر ومنكم آت بالايمان وفاعل له لقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله **والله بما تعملون بصير** اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به **فان قلت** نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الله الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد **قلت** قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه

يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم

حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها **بالحق** بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم **وصوركم فاحسن صوركم** وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا **واليه المصير** فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه **فان قلت** كيف احسن صورهم **قلت** جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم **فان قلت** فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون **قلت** لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من العباد لربهم **الم يأتكم** الخطاب لكفار مكة **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة **بانه** بان الشان والحديث **كانت تأتيهم رسلهم** ... **ابشر يهدوننا** انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا **واستغنى الله** اطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم **فان قلت** قوله **وتولوا واستغنى الله** يوهم وجود التولي والاستغناء معا **قلت** معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك **الزعم** ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال شعر ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما **الذين كفروا** اهل مكة **بلى** اثبات لما بعد لن وهو البعث **وذلك على الله يسير** اي لا يصرفه عنه صارف وعنى برسوله والنور محمدا او القرآن وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون **فان قلت** بم انتصب الظرف **قلت** بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم **يوم يجمعكم** او باضمار اذكر **ليوم الجمع** ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون **التغابن** مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم

والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن
يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله
ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء
منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان
نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عبد يدخل الجنة الا اري
مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده في
الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم
استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت و
عظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا الا باذن الله الا بتقديره ومشيته كانه اذن
للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع
عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه
على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي
يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له
مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدا قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه
يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من
القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب
عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول
الله على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه وان من
الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد
اولادا يعادون اباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو
او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر
ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم
بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة من مكة
فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا
عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا
ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي
ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم
فنزلت فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منها

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن
من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا

الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته
وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يخطب
فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما
في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم
اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم
الميل الى الاموال والاولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها
استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا ما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا
في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف وتقديره ائتوا
خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان
لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب
الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب
لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور مجاز اي يفعل
بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم
عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا
سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق احدى عشرة او اثنتا عشرة اية

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم خص النبي صلى الله عليه وآله بالنداء
وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا
كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي
يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا
مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل
على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه
كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله
عليه وآله في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت
مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن و
هذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم
النخعي ان اصحاب رسول الله كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا
غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار
وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت

أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما
متفرقا في الأطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته
وهي حائض ما هكذا أمرك الله إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل
قرء تطليقة وروي أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر
ثم ليطلقها إن شاء فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس
بإرسال الثلاث قال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك
يراعي في طلاق السنة الوحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي
يراعي الوقت وحده فإن قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي
عن النبي صلى الله عليه وآله أن رجلا طلق امرأته ثلاثا فقال له أتلعبون بكتاب الله
وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال
له إذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رض أنه كان لا يؤتى برجل طلق
امرأته ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل
غيره بطلاق في السنة فخالف فإن قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو
حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف
يفرق عليهن الثلث في الأشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة
إلا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة إلا واحدة ولا يراعى الوقت فإن قلت
هل يكره أن يطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا
والظاهر الكراهة فإن قلت قوله إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول
بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغير والحامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء
المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه
الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل
فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض
وأحصوا العدة واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان
فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة
وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فإن قلت ما
معنى الجمع بين إخراجهم وخروجهن قلت معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن
وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك
إيذانا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك إلا أن يأتين

فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله
بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ٥

بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنى يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة
الحد عليهن وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقهن في السكنى وقيل إلا
أن يبذون فيحل إخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل
خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه
من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه
فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون
فإذا بلغن أجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك
بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن
يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها وأشهدوا يعني عند الرجعة
والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم
وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد
أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الآخر ثبوت
الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم لله لوجهه خالصا
وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع
الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أي ذلكم الحث على
إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز أن يكون
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن والأبعد من
الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج
عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه إن أوفى
المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عمن طلق
ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل
لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد
عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا
والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلم إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق
الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له
يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند
آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته إذ

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن
لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا

فرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية **بالغ أمره** أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله قد جعل الله خبر إن وبالغا حال **قدرا** تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت ومعنى **إن ارتبتم** إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة **فعدتهن ثلاثة أشهر** وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك **واللائي لم يحضن** هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في **أولات الأحمال** فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها قد حللت فانكحي **يجعل له من أمره يسرا** ييسر من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى **ذلك أمر الله** يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى **ومن يتق الله** في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام ويحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم **أسكنوهن** وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن **فإن قلت** من في من حيث سكنتم ما هي **قلت** هي من التبعيضية ومبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه **فإن قلت** فقوله من وجدكم **قلت** هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها

وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة
أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا
شديدا فاتقوا الله يا أولي
الألباب

أبت طلاقها فقال لها رسول الله لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لها السكنى والنفقة **ولا تضاروهن** ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه **فإن قلت** فإذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن **قلت** فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم **فإن قلت** فما تقول في الحامل المتوفى عنها زوجها **قلت** هي مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي عليه السلام وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها **فإن أرضعن لكم** يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية **فآتوهن أجورهن** فحكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي **الائتمار** بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات **بمعروف** بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه **وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى** فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله **له** أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة قدر **سيجعل الله** موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا **عتت عن أمر ربها** أعرضت عنه على وجه العتو والعناد **حسابا شديدا** بالاستقصاء والمناقشة **عذابا نكرا** وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء على لفظ الماضي كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده

يا أيها الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما

ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله **أعد الله لهم عذابا شديدا** تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك **يا أولي الألباب** من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية و**أعد الله لهم** جوابا لكأي **رسولا** هو جبرئيل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف المنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول أنزله **ليخرج الذين آمنوا** بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون **قد أحسن الله له رزقا** فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب **الله الذي خلق** مبتدأ وخبر وقرئ **مثلهن** بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات **يتنزل الأمر بينهن** أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن **لتعلموا** قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وآله

بسم الله الرحمن الرحيم روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه

ومكث

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم

ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبرئيل وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا لنشم منك ريح المغافير وكان رسول الله يكره التفل فحرم العسل فمعناه **لم تحرم ما أحل الله لك** من ملك اليمين أو من العسل و**تبتغي** إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف فكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة **والله غفور** قد غفر لك ما زللت فيه **رحيم** قد رحمك فلم يؤاخذك به **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** فيه معنيان أحدهما قد شرع لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى في يمينه ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقتها وذلك أن تقول إن شاء الله عقيبها حتى لا تحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة **شعر** قليلا كتحليل الألى **فإن قلت** ما حكم تحريم الحلال **قلت** قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أي منعناه منها وظاهر قوله **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** أنه كانت منه يمين **فإن قلت** هل كفر رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك **قلت** عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول

وَاِذْ اَسَرَّ النَّبِيُّ اِلٰى بَعْضِ اَزْوَاجِهٖ حَدِيْثًا فَلَمَّا نَبَّاَتْ بِهٖ وَاَظْهَرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهٗ وَاَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّاَهَا بِهٖ قَالَتْ مَنْ اَنْبَاَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّاَنِيَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُ اِنْ تَتُوْبَا اِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا وَاِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلٰىهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيْرٌ عَسٰى رَبُّهٗ اِنْ طَلَّقَكُنَّ اَنْ يُبْدِلَهٗ اَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمٰتٍ مُؤْمِنٰتٍ قٰنِتٰتٍ تٰئِبٰتٍ عٰبِدٰتٍ سٰئِحٰتٍ ثَيِّبٰتٍ وَاَبْكَارًا يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قُوْا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيْكُمْ نَارًا

اعتق رقبة في تحريم مارية **والله مولٰكم** سيدكم ومتولي اموركم **وهو العليم** بما يصلحكم فيشرعه لكم **الحكيم** فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولٰكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم **بعض ازواجه** حفصة والحديث الذي اسرّ اليها حديث مارية وامامة الشيخين **نبّات به** افشته الى عائشة وقرئ انبات به **واظهره** واطلع النبي عليه السلم **عليه** على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور **عرّف بعضه** اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ذلك ومنه اولٰئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القران وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرّف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها **فان قلت** هلا قيل فلما نبات به بعضهن وعرّفها بعضه **قلت** ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرّف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وآله بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله **فلما نباها به قالت من انباك هذا** ذكر المنبا كيف اتى بضميره **ان تتوبا** خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة **فقد صغت قلوبكما** فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت **وان تظاهرا عليه** وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم من هو ظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله **مولٰه** اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته **وجبريل** راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملٰئكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده **وصالح المؤمنين** ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم **فان قلت** صالح المؤمنين واحد ام جمع **قلت** هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع فيه واحد كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم

وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ

اللفظ دون وضع الخط **والملٰئكة** على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم **بعد ذلك** بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين **ظهير** فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هو لاء ظهراؤه **فان قلت** قوله بعد ذلك تعظيم للملٰئكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم **قلت** مظاهرة الملٰئكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا وقرئ **يبدله** بالتخفيف والتشديد للكثرة **مسلمٰت مؤمنٰت** مقرات مخلصات **سٰئحٰت** صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد له فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة **فان قلت** كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين **قلت** اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله **فان قلت** لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار **قلت** لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو **قوا انفسكم** بترك المعاصي وفعل الطاعات **واهليكم** بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل **فان قلت** اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسكم **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب **نارا وقودها الناس والحجارة** نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقود بالضم اي ذو وقودها **عليها** يلي امرها وتعذيب اهلها **ملٰئكة** يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم **غلاظ شداد** في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا ياخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه **ما امرهم** في محل النصب على البدل اي لا يعصون الله اي امر الله كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم **فان قلت** اليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون

يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير

ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين
بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في
دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار
الموصوفة ويجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون
خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند
دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصفت
التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم
فيأتوا بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح
لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في
قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله
عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة
اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم
على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة
الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن
الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن
ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك
وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب
اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح
اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها
في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبا نصوحا
وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي
ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من
الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى
ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح

ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
 شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
ونجني من القوم
الظالمين ومريم ابنت
عمران التي احصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا وصدقت
بكلمات ربها وكتبه و
كانت من القانتين

بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على
محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله نصب
بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على
انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك
اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله
كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من
النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط بعضهم كالريح وبعضهم حبوا
وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون
امنون ام كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن
واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه
تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما
تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن
مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم معاقبون على
كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم
لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله
قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل
به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين
لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله
وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم و
بين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة
الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها
عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنت عمران
وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا
وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر
على رسول الله بما كرهه وتحذير على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه
في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان تكونا
في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله فان ذلك

الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه
كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء
حدا تدق على تفطن العالم وتزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت
لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي
يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين
المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا
بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح وان ما سواه
مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت
نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون
وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يكون خيانتهما الفجور لانه سمج في الطباع
نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن
ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى
عليه السلم امنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة
ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع
رحا على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت
الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل
وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى
وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع
بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذابه ثم بينت
مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة بان تكون جنتها من الجنان
التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن العرش بقولها عندك من فرعون
وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله و
هو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين
من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسالة الخلاص
منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بيني و
بينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج
وقرا ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للحملة وقد مر لي في هذا الظرف
كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع
في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز

الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى
من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك
البصر خاسئا وهو حسير

قرئ بالتشديد وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق
وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها
على ادريس وغيره وسماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله
به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى و
بالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت
صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون
لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله
عليهما وعن النبي عليه السلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت
مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل
عايشة على النساء كفضل الثريد على الطعام واما ما روي ان عايشة سالت رسول الله
كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها فا
اسم امراة نوح واغلة واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد
سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى
اسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة
تنم عليه وكلام الله احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة
التحريم اتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية وهي ثلثون اية تسمى الواقية والمنجية
لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى
وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما
يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحيوة ما يصح
بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت
عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم و
حيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة
من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن
معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة
واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا مع
عمله لفظا قلت لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما
عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا
بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك
علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه اذا كان خالصا

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص والخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه تلاها فلما بلغ قوله أيكم احسن عملا قال أيكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم **وهو العزيز** الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل **الغفور** لمن تاب من اهل الاساءة **طباقا** مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا **من تفاوت** وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف **فان قلت** كيف موقع هذه الجملة مما قبلها **قلت** هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله **فارجع البصر** متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه **هل ترى من فطور** من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا **ينقلب اليك البصر** اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالكلال لطول الاجالة والترديد **فان قلت** كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين **قلت** معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل **فان قلت** فما معنى ثم ارجع **قلت** امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور **الدنيا** القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم و**المصابيح** السرج سميت بها الكواكب والناس

يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازنها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا **جعلناها رجوما** لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون **واعتدنا لهم عذاب السعير** في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا **وللذين كفروا بربهم** اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم **عذاب جهنم** ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير **اذا القوا فيها** اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم **سمعوا لها شهيقا** اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق **تفور** تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية **الم يأتكم نذير** توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم و**خزنتها** مالك واعوانه من الزبانية **قالوا بلى** اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده **فان قلت ان انتم الا في ضلال** من المخاطبون به **قلت** هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الا اتاكم اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالتهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله **ولو كنا نسمع** الانذار سماع طالبين الحق **او نعقله** عقل متأملين

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض
فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل
شيء بصير أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور
أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور أفمن يمشي مكبا على
وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي أنشأكم ه

إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب أهل الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب المجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة ولم يضم إليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين **فاعترفوا بذنبهم** بكفرهم في تكذيبهم الرسل **فسحقا** بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما ثم علله بأنه **عليم بذات الصدور** أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء وحاله أنه **اللطيف الخبير** المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنبهه الله على جهلهم **فإن قلت** قدرت في ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم **قلت** أبت ذلك الحال التي هي قوله **وهو اللطيف الخبير** لأنك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء **المشي** في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم **من في السماء** فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم **أأمنتم** من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي **فستعلمون** بالتاء والياء **كيف نذير** أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم **صافات** باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفا **ويقبضن** ويضممنها إذا

وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ويقولون
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل
هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين ه

ضربن بها جنوبهن **فإن قلت** لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات **قلت** لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصيل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح **ما يمسكهن إلا الرحمن** بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو **إنه بكل شيء بصير** يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب **أمن** يشار إليه من الجموع ويقال **هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله** إن أرسل عليكم عذابه **أمن** يشار إليه ويقال **هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه** وهذا على التقرير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا **بل لجوا في عتو ونفور** بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل أكب مطاوع كبه ويقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه وإنما أكب من باب أنفض وألام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب إذا دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع **فإن قلت** ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم **قلت** معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على المعاصي فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عني به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل حمزة بن عبد المطلب **فلما رأوه** الضمير للوعد **والزلفة** القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة **سيئت وجوه الذين كفروا** أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب **وقيل** القائلون الزبانية **تدعون** تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري إنها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق
عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين
ودوا لو تدهن فيدهنون

على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما
ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون
من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال
للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه
او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا
بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله
في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان
فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع
آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال و
عليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا
في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار
انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة
على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ ن والقلم بالبيان
والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم
هو الدواة فما ادري أهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا
او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان
فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من
النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر
في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة
ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب و
قيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون
الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من
يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون
منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات
والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا لعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا
ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان تعمل

ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين

مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة
وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة
بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون
غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك
وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط
احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله
به في قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعد بن هشام
سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ
القرآن قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب
يزعمون انه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ا بفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو المجنون تعريض بابي جهل بن هشام والوليد
بن المغيرة واضرابهما كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجا
وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وا
انه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم
وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن
لو تلين وتصانع تدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب
التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله
فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك
فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا
لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله
قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة
في الرأي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن
يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه
السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب شعر تشببي تشبب
النميمة تمشي بها زهرا الى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام
فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي
كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن
ابن عباس وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ

بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد متجاوز في الظلم حده أثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عدّ له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان شعر وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة مقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله أن كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب بآياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على لأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي إليه في قوله لعله يتذكر ٥ الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه السمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب لأنها تطير في الخياشيم إنا بلوناهم أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليهم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولا يستثنوا

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٥ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٥

في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني إسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله فإن قلت لم سمي استثناء وإنما هو شرط قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف كقوله وأحيط بثمره وقرئ طيف فأصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها من قولهم بيض الإناء إذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمساكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك هاهنا الحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك قال شعر أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم إنا لضالون أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن قوم محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا أوسطهم أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم

فَقَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا
مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا
بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ

كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيّرهم والدليل عليه قوله **سبحان ربنا انا كنا ظالمين** فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا **سبحان ربنا** سبحوه ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء **يتلاومون** يلوم بعضهم بعضا لان منهم من اشار ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض **ان يبدلنا خيرا** قرئ بالتخفيف والتشديد **انا الى ربنا راغبون** طالبون منه الخير راجون لعفوه **كذلك العذاب** مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا **ولعذاب الآخرة** اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رض بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا **عند ربهم** اي في الآخرة **جنات النعيم** جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا ه كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات **ما لكم كيف تحكمون** هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم **ام لكم كتاب** من السماء **تدرسون** في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد **فان قلت** بم يتعلق الى يوم القيمة **قلت** بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج من عهدتها الا يومئذ

اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف **ان لكم لما تحكمون** جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم **ايهم بذلك** الحكم **زعيم** اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل باموره **ام لهم شركاء** اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه **فليأتوا** بهم **ان كانوا صادقين** في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به **الكشف** عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم
شعر: اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال ابن الرقيات
شعر: كيف نومي على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء * تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي * عن خدام العقيلة العذراء
فمعنى **يوم يكشف عن ساق** في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رض يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن **فان قلت** فلم جاءت منكرة في التمثيل **قلت** للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رض تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة **فان قلت** لم يدعون الى السجود ولا تكليف ثم **قلت** لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا

فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين أم تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبيه ربه فجعله من الصالحين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين

تعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به يقال ذرني وإياه يريدون كله إلي فإني أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وأملي لهم وأمهلهم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما أدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك المغرم الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان أم عندهم الغيب أي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا يوجد منك من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله وهو مذموم يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين أي من الأنبياء وعن ابن عباس رد الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه إن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما أدريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى

بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال شعر يتقارضون إذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الأقدام وقيل كانت العين في بني أسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة ويقولون إنه لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه وإلا فقد علموا أنه أعلمهم والمعنى أنهم جننوه لأجل القرآن وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة إحدى وخمسون آية وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والأصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها وما أدريك وأي شيء أعلمك ما الحاقة يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وما في موضع رفع على الابتداء وأدريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالأهوال والأفزاع والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعاقبة أي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر الصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها

كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم
أخذة رابية إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية وإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت
الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه إني
ظننت أني ملاق حسابيه

كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر
إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه
سبيل ثم قرأ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن
لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها الحسوم
لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فإن كان جمعا
فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب
الريح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي
على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وإن كان مصدرا فإما أن ينتصب بفعله مضمرا أي
تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون
مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي شعر ففرق
بين بينهم زمان تتابع فيه أعوام حسوم وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح أي
سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وذلك أن عجوزا من عاد توارت في سرب
فانتزعها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجوز وهي آخر الشتاء
وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ
الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها في مهابها أو في الليالي والأيام و
قرئ أعجاز نخيل ومن قبله يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أي ومن تقدمه
وتعضده قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ العظيم رابية
شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو إذا زاد ليربو في أموال
الناس حملناكم حملنا آباءكم في الجارية في سفينة نوح لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان
حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لأن نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير
للفعلة وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة أذن واعية من شأنها
أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته
وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى
الله عليه وآله أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي رض فما نسيت شيئا بعد وما كان لي أن أنسى فإن قلت لم قيل أذن واعية
على التوحيد والتنكير قلت للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم
وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله

وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وإن ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف
شبه تعي بكبد أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ أبو السمال نفخة واحدة
بالنصب مسندا للفعل إلى الجار والمجرور فإن قلت هما نفختان فلم قيل نفخة واحدة قلت
معناه أنها لا تثنى في وقتها فإن قلت أي النفختين هي قلت الأولى لأن عندها فساد العالم
وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه أنها الثانية فإن قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون
والعرض إنما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان
والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا
وإنما كان مجيئك في وقت من أوقاته وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها
أنها تحمل الأرض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت
بتخفيف الحمل وهو أحد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب
بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل
فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك
السنام إذا افترش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة
فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت
محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد إليه الضمير مجموعا في فوقهم على
المعنى فإن قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة قلت الملك أعم
من الملائكة ألا ترى إلى قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة
على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني أنها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون
إلى أطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية أي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه و
آله هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي
ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون
وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم
على صورة النسر وروي ثمانية أملاك على خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة
سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد
علمك وعن الحسن الله أعلم كم هي ثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك
ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق
آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا تعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا

ليعرف أحوالهم وروى ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنثر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله **خافية** سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم **فاما** تفصيل **هاء** صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك **كتابيه** منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحبت ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف **ظننت** علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت **راضية** منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها **عالية** مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار **دانية** ينالها القاعد والنائم يقال لهم **كلوا واشربوا هنيئا** اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر **بما اسلفتم** بما قدمتم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم و**كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية** الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة **كانت القاضية** اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها **ما اغنى** نفي واستفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار **هلك عني سلطانيه** ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن فنا خسرو الملقب بالعضد انه لما قال شعر عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا **ثم الجحيم صلوه** ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار

مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة **انه** تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله **ولا يحض على طعام المسكين** دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل **شعر** اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجالهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين **حميم** قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما **ولا طعام الا من غسلين** غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل **الخاطئون** الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله **فلا اقسم** بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة **انه** ان هذا القرآن **لقول رسول كريم** اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله **وما هو بقول شاعر ولا كاهن** كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم **تنزيل** هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه **من رب العالمين** وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبرئيل وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وآله لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن **التقول** افتعال من القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون
الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما ه

تفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى **لاخذنا منه باليمين** لاخذنا بيمينه كما ان قوله **لقطعنا منه الوتين** لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول حاجزين فى وصف احد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير فى عنه للقتل اى لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اى لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله **وانا لنعلم ان منكم مكذبين** وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن **وانه** الضمير للقرآن **لحسرة على الكافرين** به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين **حق اليقين** كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين **فسبح باسم ربك العظيم** وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سال معنى دعا فعدى تعديته كانه قيل دعا داع **بعذاب واقع** من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رض هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما ان يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رض سال سيل والسيل مصدر فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم **فان قلت** بم يتصل قوله للكافرين **قلت** هو على الاول متصل بعذاب صفة له اى بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اى دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اى بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل اى هو للكافرين **فان قلت** فقوله من الله بم يتصل **قلت** يتصل بواقع

يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض
جميعا ثم ينجيه ه

واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه **ذى المعارج** ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال **تعرج الملائكة والروح اليه** الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره **فى يوم كان مقداره** كمقدار مدة **خمسين الف سنة** مما يعد الناس والروح جبرئيل عليه السلام افرد لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **فان قلت** بم يتعلق قوله فاصبر **قلت** بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير فى **يرونه** للعذاب الواقع او ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع ه اى يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب **يوم تكون** بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او **يوم تكون السماء كالمهل** كان كيت وكيت او هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع **كالمهل** كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها **كالعهن** كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسئل حميم حميما** اى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احدهما ما يشغله عن المسألة **يبصرونهم** اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اى لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب **فان قلت** ما موقع يبصرونهم **قلت** هو كلام مستأنف كانه لما قال ولا يسئل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تسائلهم **فان قلت** لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين **قلت** المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب **وفصيلته** عشيرته

كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا
وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون

الأدنون الذين فصل عنهم **تؤويه** تضمه انتماء إليها أو لياذا بها في النوائب **ينجيه** عطف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء أو **من في الأرض** وثم للاستبعاد الإنجاء بمعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه **كلا** ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال **إنها** والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لأن ذكر العذاب دل عليها أو يجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و**لظى** علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و**نزاعة** خبر بعد خبر لأن أو خبر للظى إن كان الهاء ضمير القصة أو صفة له إن أردت اللهب والتأنيث لأنه في معنى النار أو رفع على التهويل أي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على أنها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل و**الشوى** الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد و**تدعوا** مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة شعر تدعو أنفه الريب وقوله شعر ليالي اللهو يطبيني فأتبعه وقول أبي النجم شعر تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم إلي إلي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك شعر دعاك الله من رجل بأفعى **من أدبر** عن الحق **وتولى** عنه **وجمع** المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف وشح بماله وإذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري كقوله خلق الإنسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وآله شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع **فإن قلت** كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون **قلت** معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها

فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا
إنا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن
بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا
كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون

ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها **حق معلوم** هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة **السائل** الذي يسأل **والمحروم** الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم **يصدقون بيوم الدين** تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له **ومشفقون من عذاب ربهم** واعترض بقوله **إن عذاب ربهم غير مأمون** أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهاداتهم والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وإبطالها كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وآله حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وآله فلندخلنها قبلهم فنزلت **مهطعين** مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك **عزين** فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير ما تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت شعر ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط **كلا** ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله **إنا خلقناهم مما يعلمون** إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة **فإن قلت** من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث **قلت** من جهة أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله **خلقناهم مما يعلمون** أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة ويجوز أن يراد **إنا خلقناهم مما يعلمون** أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ **برب المشارق والمغارب يخرجون ويخرجون** ومن **الأجداث سراعا** بالإظهار والإدغام و**نصب ونصب** وهو كل ما نصب وعبد من دون الله **يوفضون** يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا
قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله
اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم انى

من رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون **سورة نوح عليه السلام تسع او ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم**
ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهى ان الناصبة للفعل والمعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان
الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا نحو
ان انذر فى الوجهين **فان قلت** كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل
هذا الا تناقض **قلت** قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا
على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى
الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف
ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة
فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير **ليلا ونهارا** دائما من غير فتور مستغرقا بها الاوقات
كلها **فلم يزدهم دعائى** جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا فيه
فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا **لتغفر لهم** ليتوبوا
من كفرهم فيغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم
عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة **واستغشوا ثيابهم** وتغطوا بها كأنهم
طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم
فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
الا حين يستغشون ثيابهم **الاصرار** من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها
ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها **واستكبروا** واخذتهم العزة من
اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم **فان قلت**
ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب ان تكون
ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف **قلت** قد فعل عليه الصلوة والسلم كما يفعل الذى
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح
بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ
من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار
فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم
جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدرا
فى موضع الحال اى مجاهرا امرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى

دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها

وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع فى نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة
والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال
واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر و
اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وروى سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الخصب
ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل
له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه
الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال
استغفر الله وشكا اليه آخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح
اتاك رجال يشكون انواعا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية
والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله
شعر اذا نزل السماء بارض قوم **والمدرار** الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر
والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ومتفال **جنات** بساتين **لا ترجون لله وقارا** لا تأملون
له توقيرا اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار
الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار **وقد خلقكم اطوارا** فى موضع
الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم
اطوارا اى تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم
عظاما ولحما ثم انشأكم خلقا آخر ولا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر نبههم على النظر فى انفسهم
اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة
على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر **فيهن** فى السموات و
هو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا و
ان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان
الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى الارض **وجعل الشمس سراجا** يبصر
اهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر
ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذى جعل الشمس
ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك

وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين
إلا ضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا رب اغفر لي
ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا

الله للخير وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة
حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية
لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم
لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة وأكده بالمصدر كأنه
قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على
بساطه فجاجا واسعة منفجة واتبعوا رؤساءهم المتقدمين من أصحاب الأموال والأولاد
وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الأصنام وجعل أموالهم وأولادهم التي لم
تزدهم إلا وجاهة ومنفعة في الدنيا خسارا في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة
لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وإبطالا لما سواه وقرئ وولده وولده
بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع إلى من
لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم
لنوح عليه السلام وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه وقولهم
لهم لا تذرن آلهتكم إلى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار
أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال ولا تذرن ودا كأن هذه
المسماة كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم
وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث
قيل هي أسماء رجال صالحين وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم
صورهم وكنتم تنظرون إليه ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا
يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث
على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ
الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين
ففيهما سببا منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وإما التعريف والعجمة ولعله
قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما
قرئ وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد أضلوا الضمير للرؤساء
ومعناه وقد أضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليسوا بأول
من أضلوهم أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز
أن يكون للأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس فإن قلت علام عطف قوله

ولا

ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد
الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا أي قال
هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة و
صل في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه فإن قلت كيف جاز أن يريد لهم الضلال
ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر
ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز
أن يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا تقديم مما خطيئاتهم
بيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا
المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها
مزجرة لمرتكب الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن
وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب
العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على إسلامه ويعلم أن معه ما يستوجب به العذاب
وإن خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وإدغامها
وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس ويجوز أن يراد الكفر فأدخلوا نارا جعل دخولهم
النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان أو أريد
عذاب القبر ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور
من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار إما لتعظيمها
أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا
تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا
لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
ديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال
من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان
دوارا فإن قلت بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث
فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل
منهم ينطلق بابنه إليه ويقول احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير
وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد
آمن ومعنى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما
يصيرون إليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ولوالدي أبو لمك بن متوشلخ
وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسن بن علي ولولدي يريد

بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك
بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن
تقول الإنس والجن على الله كذبا ه

سا ما وحا ما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص أولا من يتصل به لأنهم أولى
وأحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فإن قلت ما فعل صبيانهم
حتى أغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب
الهلاك وكم منهم من يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات
إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون
مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير
عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو
سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ
سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن مكية وهي
ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قرئ أحي وأصله وحي يقال أوحى إليه
ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق
جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كإشاح وإسادة
وإعاء أخيه وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الأصل أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي وإنا
سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح
وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد
لله وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه
وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن
جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة
جنود إبليس منهم فقالوا إنا سمعنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله فلما قضي ولوا
إلى قومهم منذرين قالوا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه
وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة
وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره يهدي إلى الرشد يدعو إلى الصواب وقيل إلى
التوحيد والإيمان الضمير في به للقرآن ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة
من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في
طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأن قوله بربنا يفسره جد ربنا
عظمته من قولك جد فلان في عيني أي عظم وفي حديث عمر رض كان الرجل منا إذا قرأ
البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم وروي في أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه
استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون و
المعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا ه

ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق
ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا
للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه
صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه سفيههم إبليس لعنه الله أو غيره من مردة
الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولا
هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله وكان في ظننا أن
أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه
ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا أي مكذوبا فيه أو نصب نصب
المصدر لأن الكذب نوع من القول ومن قرأ أن لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله
صفة لأن التقول لا يكون إلا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بهم
زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف
على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك
استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم
وإضلالهم لاستعاذتهم بهم وأنهم وأن الإنس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله
بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في أنهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم
لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف قال شعر مسسنا من الآباء
شيئا وكلنا إلى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه
ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام
أهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف
بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شدادا ونحوه شعر أخشى رجيلا أو ركيبا غاديا
لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع
للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب
ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا
يعني يجد شهابا راصدا له ولأجله فإن قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب
التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو
إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد ذكر في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال أوس بن حجر شعر
فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يصف الفرس شعر

وَانّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً وَانّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً وَانّا مِنّا الصّالِحُونَ وَمِنّا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً وَانّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً وَانّا لَمّا سَمِعْنا الهُدى آمَنّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً وَانّا مِنّا المُسْلِمُونَ وَمِنّا القاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً وَأَمّا القاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً

يَرِدُ علينا الغيرُ من دون الغدِ أو التنّور كالدرّي تتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبّه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً وعن معمر قلت للزهري أكان يُرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدّد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وآله وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في نفر من الأنصار إذ رُمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفي قوله **مُلِئَتْ** دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله **نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ** أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن مُلئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لأمر أراده الله بأهل الأرض ولا يخلو من أن يكون شراً أو رشداً أي خيراً من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق **مِنّا الصّالِحُونَ** الأبرار المتقون **وَمِنّا دُونَ ذلِكَ** ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين **كُنّا طَرائِقَ قِدَداً** بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب وكانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه والقدد من قدّ كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وهرباً حال أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء وقيل لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا والظن بمعنى اليقين هذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله عز وجل غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب **لَمّا سَمِعْنا الهُدى** هو سماعهم القرآن وإيمانهم به **فَلا يَخافُ** فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف **فإن قلت** أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف **قلت** الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف وكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على النهي **بَخْساً وَلا رَهَقاً** أي جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحداً حقاً ولا رهق

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً وَأَنَّ المَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً

ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن يرهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة **القاسِطُونَ** الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة إنه سماني ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله **وَأَمّا القاسِطُونَ** وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثواباً أن الله عز وعلا أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعداً أن قال **فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً** فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد **وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا** أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى المعنى وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خُوّلوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سبباً في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم إثماً أو لنعذبهم في كفران النعمة **عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ** عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه **يَسْلُكْهُ** وقرئ نسلكه بالنون مفتوحة ومضمومة أي ندخله **عَذاباً** والأصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدّي إلى مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال شعر حتى إذا أسلكوهم في قتائدة **والصَّعَدُ** مصدر يقال صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه ولا يطيقه ومنه قول عمر رضه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يقول ما شق علي ولا غلبني **وَأَنَّ المَساجِدَ** من جملة الموحى وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الأرض كلها لأنها جعلت للنبي صلى الله عليه وآله مسجداً وقيل المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقيل

وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا
رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن
له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل إن أدري أقريب ما توعدون
أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا

المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرت أن أسجد على سبعة
آراب وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو
السجود **عبد الله** النبي صلى الله عليه وآله **فإن قلت** هلا قيل رسول الله أو النبي **قلت** لأن
تقديره وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه
التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر
حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام عبد الله يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة
حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة **كادوا يكونون عليه لبدا** أي يزدحمون عليه متراكمين
تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن
لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد
الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه
وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض
ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا
بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه
فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه
لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به قال
للمتظاهرين عليه **إنما أدعو ربي** يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ولا أشرك
به أحدا وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي وقال الجن عند ازدحامهم متعجبين
ليس ما ترون من عبادته الله ورفضه الإشراك بالله بأمر متعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير
الله ويجعل له شركاء أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله **ولا رشدا**
ولا نفعا أو أراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم
وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله أو لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر
على ذلك الله عز وجل و**إلا بلاغا** استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا من الله وقل إني لن
يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه
على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد
أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه و**الملتحد** الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل
محيصا ومعدلا وقرئ قال لا أملك أي قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون
من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه
ما أرسلني به وقيل إلا هي إن لا ومعناه إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا

ورسالاته عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن
الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا
نقصان **فإن قلت** ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني **قلت** من ليست
بصلة للتبليغ وقوله عليه السلام إنما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا
من الله وقرئ فأن له نار جهنم فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه وقال خالدين
حملا على معنى الجمع في من **فإن قلت** بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له **قلت** بقوله يكونون
عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم
حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله عليهم أو من يوم القيمة **فسيعلمون**
حينئذ أنهم **أضعف ناصرا وأقل عددا** ويجوز أن تتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف
الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال
المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن
الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون فإن الله لم يبينه لما
رأى في إخفاء وقته من المصلحة **فإن قلت** ما معنى قوله **أم يجعل له ربي أمدا** والأمد يكون
قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا **قلت** كان رسول الله صلى
الله عليه وآله يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت
له غاية أي هو **عالم الغيب فلا يظهر** فلا يطلع و**من رسول** تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع
على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا إبطال الكرامات
لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء
وأدخله في السخط **فإنه يسلك من بين يديه** يدي من ارتضى للرسالة **ومن خلفه رصدا** حفظة
من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم
حتى يبلغ ما أوحي به إليه وعن الضحاك ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين
أن يتشبهوا بصورة الملك **ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات ربهم** يعني الأنبياء وحد أولا على اللفظ
في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فإن له نار جهنم خالدين والمعنى
ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم في قوله كذكره في
قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول **وأحاط بما لديهم** بما عند الرسل
من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها **وأحصى
كل شيء عددا** من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل
من وحيه وكلامه وعددا حال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا

إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا

إحصاءً عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدّق محمدًا وكذّب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة أو عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بإدغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الأصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو اسم مفعول من زمّله وهو الذي زمّله غيره أو زمّل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نائمًا بالليل متزملا في قطيفة فنُبّه ونودي بما يهجّن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى إلى قول ذي الرمة شعر وكائن تخطت ناقتي من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه شعر سهدًا إذا ما نام ليل الهوجل وفي أمثالهم شعر أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الإبل فذمّه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطًا طوله أربع عشرة ذراعًا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزًّا ولا قزًّا ولا مرعزى ولا إبريسمًا ولا صوفًا كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقًا أول ما أتاه جبرئيل وبوادره ترعد فقال زمّلوني وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبرئيل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زُمّل أمرًا عظيمًا أي حُمّله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربًا من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال أقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرًا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلا نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل

من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرًا بين النصف والثلث والربع فإن قلت أكان القيام فرضًا أم نفلا قلت عن عائشة رض أن الله جعله تطوعًا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضًا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبًا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيهًا بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذّه هذًّا ولا يسرده سردًا كما قال عمر رض شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت عائشة رض عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها ترتيلا تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للقارئ هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله لأنه متحملها بنفسه ومحمّلها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رض كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربّد له جلده وعن عائشة رض رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقًا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض قال شعر نشأنا إلى خوص بري نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الأول منه

إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله
إلا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا
أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا إنا أرسلنا إليكم رسولا
شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان
شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا

وعن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله إن ناشئة الليل
هذه ناشئة الليل **هي أشد وطأ** هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها
لسانها إن أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو
الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين
السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد
ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام
اللهم اشدد وطأتك على مضر **وأقوم قيلا** وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدوء الأصوات
وعن أنس رض أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة إنما هي وأقوم فقال إن أقوم
وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ
فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له إنما جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد **سبحا** تصرفا و
تقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ
البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه و
نشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه
منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة لهدوء الرجل وخفوت الصوت
وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب
في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل إن
فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه **واذكر اسم ربك** ودم على ذكره
في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد
وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يستغرق به ساعات ليله ونهاره **وتبتل إليه** وانقطع إليه **فإن قلت** كيف قيل تبتيلا مكان
تبتلا **قلت** لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل **رب المشرق
والمغرب** قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدلية من ربك وعن ابن عباس على القسم
بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه **لا إله إلا هو** كما تقول والله لا أحد في الدار
إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب **فاتخذه وكيلا** مسبب عن التهليلة لأنه هو وحده
هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر
والإظهار **الهجر** الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة
والإغضاء وترك المكافأة وعن أبي الدرداء رض إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك
إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف إذا عرف الرجل صاحبه أنه مستهم
بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر

عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره
إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه
إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال
المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما يدور حوله أمنية المخاطب
وبما يزيد عليه **النعمة** بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد
قريش وكانوا أهل تنعم وترفه **إن لدينا** ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي
إذا ترفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن
طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم
من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم موذرا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي
أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت
له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة
فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق **يوم
ترجف** منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب
الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا
كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل الخطاب لأهل مكة **شاهدا عليكم**
يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم **فإن قلت** لم نكر الرسول ثم عرف **قلت** لأنه أراد أرسلنا إلى
فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه **وبيلا**
ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل
المطر العظيم **يوما** مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم
تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن
ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى
الله خوف عقابه **يجعل الولدان شيبا** مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي
الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال
أبو الطيب: والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم: وقد مر بي في بعض الكتب
أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت
القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك
أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة
والشيب **السماء منفطر به** وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها وإحكامها
تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل

إن ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض ويبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ٥

السماء بالسقف او السماء شئ منفطر والباء فيه مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به
يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة
به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض
وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى
ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الآية الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ
بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة
ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ونصفه وثلثه بالنصب على
انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين
قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو ادنى من
الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث
وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف
والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة
من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما
الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير
والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات
ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم
فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن
والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها
بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة
الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ
مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين
وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض
للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر
يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على
تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة
الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك ٣٣٥
فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير
يسير

مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد به سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على
احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى
المستحق وان يريد كل شئ يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو فصل
وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال
هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المزمل رفع
الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية بسم الله
الرحمن الرحيم المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام
الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن
يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد
على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى
قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع
الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه
فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وعن
عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في
المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا
والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك
بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير
الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قال وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان
تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى
والاحب في غير الصلوة وقيل امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول
وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال
ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا
وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان
الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما
يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب
ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث

ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا
عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر
فقال إن هذا إلا سحر يؤثر

وإيثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لأنه كان بريئا منه وقرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لأن من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجهه فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عطيتكم كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام والفاء في قوله فإذا نقر للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء فإن قلت بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب إذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي

وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا إنه فكر تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول

إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا

في القرآن **وقدّر** في نفسه ما يقوله وهيّأه **فقتل كيف قدّر** تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحزّ ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرّروه من قولهم قتل كيف قدّر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قاتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه **ثم نظر** في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهمّ بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل **قدّر** ما يقوله **ثم نظر** فيه **ثم عبس** لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله **ثم أدبر** عن الحق **واستكبر** عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدّر والدعاء اعتراض بينهما **فإن قلت** ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء **قلت** الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله **شعر** ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وإن لم تكلم **فإن قلت** فما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها **قلت** الدلالة على أنه قد تأنى في التأمل وتمهّل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد **فإن قلت** فلم قيل فقال إن هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت** لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث **فإن قلت** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين **قلت** لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد **سأصليه سقر** بدل من سأرهقه صعودا **لا تبقي** شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة** من لوح الهجير قال **شعر** تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل

عليها

عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة ولا يستروحون إليهم لأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة** أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **فإن قلت** قد جعل افتتان الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا** وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك **فإن قلت** لم قال **ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون** والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب **قلت** لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر **فإن قلت** كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة **قلت** معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة **ماذا أراد الله بهذا مثلا** وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب

بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح
اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في
جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين ه

لاهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومراده انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الخاص الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الخ الى قوله الا هو اعتراض وقوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ ادبر انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي

بعده اذكر بالبقيا على من اصابني وبقياي اني جاهل غير مؤتكره

احدى النساء ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤوا تقدموا وان شاؤوا تاخروا فهلكوا رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة شعر ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رض هم الملائكة في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يتساءلونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت اراد انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين عن التذكرة من التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ ومعرضين

كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة
فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله
هو أهل التقوى و
أهل المغفرة ه

نصب على الحال كقولك ما لك قائما و المستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من
نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار و القسورة
جماعة من الرماة الذين يتصيدونها وقيل الأسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من
القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد وعن ابن عباس ركز
الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر
والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة
ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب ولذلك كان
أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر وعدوها إذا وردت ماء
فأحست عليه بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو
كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة
لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية
وقيل قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه
من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه
وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات
الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها
واحد كأنزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم
قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردعهم عن
إعراضهم عن التذكرة وقال إنه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية فمن شاء أن
يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في إنه وذكره في قوله
فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن وما يذكرون إلا أن
يشاء الله إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون
اختيارا هو أهل التقوى وأهل المغفرة هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا و
يطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله
هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا
عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق
بمحمد وكذب به بمكة سورة القيامة وهي تسع وثلاثون أو أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين
على أن نسوي بنانه

بسم الله الرحمن الرحيم

إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس شعر لا وأبيك
ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر وقال غوية بن سلمى شعر ألا نادت أمامة باحتمال
ليحزنني فلا بك ما أبالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا إنها صلة مثلها في لئلا يعلم
أهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في
وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض
صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ
القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم
بالشيء إلا إعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون
عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل
فوق ذلك وقيل إن لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس
الأمر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة فإن قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والأبيات
التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أن لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي
بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة
لا تتركون سدى قلت لو قصروا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ
ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد وكذلك
فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم
خبر مبتدأ محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه في الإمام بغير ألف بالنفس اللوامة
بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي لا
تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وعن الحسن إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه
وإن الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد
إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها
التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع
عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها
بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها
في أباعد الأرض وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد
حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت بلى أوجبت ما بعد النفي

بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول
الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه
بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان
علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق

وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على
تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه
واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها
الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه
بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا
واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه
المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والقبض والبسط والتأتي لما
يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد عطف على ايحسب فيجوز
ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر
او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه
من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم
الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على
شر احواله واسوء اعماله يسئل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان
يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا واصله برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو
السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب
ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما
الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران
عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر
وبكسر الفاء المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا
وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة
يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا
اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم
اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة و
من شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله
فتصدق به وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره
ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة
على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة
والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد عليها

معاذير

بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك
ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة
عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة
انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقران وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه
فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة
الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلم يقرأ لتعجل به لتأخذه
على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات
قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل قراءة جبريل عليه السلم قراءته تعالى ذكره والقران القراءة فاتبع
قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا
كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع
لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في
كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف
اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ
بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة الوجوه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى
ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله
الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله ترجعون عليه
توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى
اشياء لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين
نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه
لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من
قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل شعر واذا
نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما سمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر
حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى
انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا
الله والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه

فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الإنسان
أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ۝

تتوقع أن يفعل بها فعل هو شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت
الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن
ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى
الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي
وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم شعر أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما
وضاق بها الصدر وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون
السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي
هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر
بعضهم لبعض من راق أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب وظن المحتضر أنه الفراق أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت
الساق بالساق والتوت ساقه بساقه عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملان
وقد كان جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة
وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه المساق أي يساق إلى الله وإلى حكمه فلا
صدق ولا صلى يعني الإنسان في قوله أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه ألا ترى إلى قوله تعالى أيحسب
الإنسان أن يترك سدى هو معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا
صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في
أبي جهل يتمطى يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو
الظهر لأنه يلويه وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم
بينهم يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وآله وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر
افتخارا بذلك أولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره فخلق فقدر فسوى
فعدل منه من الإنسان الزوجين الصنفين أليس ذلك الذي أنشأ هذا الإنشاء بقادر
على الإعادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا قرأها قال سبحانك بلى وعن رسول
الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة القيمة شهدت له وجبريل يوم القيمة أنه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الإنسان مكية وهي إحدى وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى قد في الاستفهام
خاصة والأصل أهل بدليل قوله شعر أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فالمعنى أقد أتى على التقرير
والتقريب جميعا أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى
إنا خلقنا الإنسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل الممتد فإن قلت ما
محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل هل أتى عليه حين

من

بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا إن
الأبرار يشربون من كأس كان
مزاجها كافورا ۝

من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله تعالى يوما لا يجزي والدعى ولد وعن
أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم
يخلق ولم يكلف نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك
وقعت صفات للأفراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ شعر طوت أحشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الإفراد لوصف
المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي
عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة
نبتليه في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه
صقر صائدا به غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة
وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا
بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا أو كفورا من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في
حالتيه جميعا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة السمع والعقل كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام
الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه
النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى
أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين أتبعهم الوعد والوعيد وقرئ
سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف
الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر
ومرن لسانه على صرف غير منصرف الأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن
الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها
ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده
عينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور
وبياضه وبرده فكأنها مزجت وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف
كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء
أولا وبحرف الإلصاق آخرا قلت لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم
فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث
شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون
ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما
أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا
أقصى المبلغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر

ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قمطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا وجزيهم بما صبروا جنة وحريرا ٥

على حبه الضمير للطعام اى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار فى دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك فاخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابى سعيد الخدرى هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغى ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة رض انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه فى شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة شعر واصطليت الحروب فى كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقيهم نضرة وسرورا اى اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار عن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله فى ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف

متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف
عليهم بانية من فضة واكواب كانت
قواريرا قواريرا ٥

عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ على رض بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءنى ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك فاقرأه السورة فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدى اليه من الجوع والعرى بستانا فيه ما كل هنئ وحريرا ملبس بهى يعنى ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه فى لغة طى وانشد شعر وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التى قبلها لانها فى موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم فى عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة فى حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة فى موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اى وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت فعلام عطفت وذللت قلت هى اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهى حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهى صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل خاشعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفى الثانى لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهى مع بياض الفضة وحسنها فى صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون فى قوله كن فيكون اى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على

مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا

هي قوارير **قدّروها** صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله **ويطاف عليهم** على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قُدِّروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين **زنجبيلا** لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى شعر كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس شعر وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر **وسلسبيلا** لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رض ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرّى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كأنها سلسبيل و **عينا** بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل **ويسقون فيها كأسا** كأس عين او منصوبة على الاختصاص شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء **رأيت** ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و **ثمّ** في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة **كبيرا** واسعا وهنيئا ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه

كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم قرئ **عاليهم** بالسكون على انه مبتدأ خبره **ثياب سندس** اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في **يطوف عليهم** او في حسبتهم اي يطوف عليهم **ولدان** عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم **خضر واستبرق** بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره **وحلوا** عطف على ويطوف عليهم **فان قلت** ذكرها هنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب **قلت** هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة **شرابا طهورا** ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة **ان هذا** وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين **فاصبر لحكم ربك** الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة **ولا تطع منهم** احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم **فان قلت** كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او كفورا **قلت** معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق و

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

كان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العلو فإن قلت معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما وإذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما إذا نهي أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه إن هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا ووراءهم قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والأرض الأسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وهو الإسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الأسر يعني النشأة الأخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجيء بإن كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم هذه إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة وما تشاءون الطاعة إلا أن يشاء الله بقسرهم عليها إن الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاءون بالتاء فإن قلت ما محل أن يشاء الله قلت النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كأن معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن و

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا وَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا وَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ

برياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه والقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات الذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت فإن قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاءوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي أرسلن للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فإن قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفا قلت إن لم يكن معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فإن قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأولين وعلى المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففتين ومثقلتين إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم أن المعنى ورب المرسلات طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت أبوابا قال الفارسي يا بن الأمير المنتهب نسفت كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت لأي يوم أجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليك ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل

وكذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ
للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة
صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين

تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى **كذلك** مثل ذلك الفعل الشنيع **نفعل** بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره **إلى قدر معلوم** إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الأشهر أو ما دونها أو ما فوقها **فقدرنا** فقدرنا ذلك تقديرا **فنعم القادرون** فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أولى لقراءة من قرأ فقدّرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره **الكفات** من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الأبواب به انتصب **أحياء وأمواتا** كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز **فإن قلت** لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا **قلت** هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس **فإن قلت** فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا **قلت** يحتمل إفادة التبعيض لأن في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم أي يقال لهم **انطلقوا إلى** ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه **إلى ظل** يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم **ذي ثلاث شعب** يتشعب لعظمه ثلاث شعب هكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش **لا ظليل** تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين **ولا يغني** في محل الجر أي وغير مغن عنهم **من حر اللهب** شيئا **إنها ترمي بشرر** وقرئ بشرار **كالقصر** أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج **جمالات** جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لإرادة الجنس

وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا
قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث
بعده يؤمنون

وقيل صفر سود تضرب إلى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي يصف الجحيم **شعر** دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى قال أبو العلاء **شعر** حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه وقرئ بنصب اليوم ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع **فيعتذرون** عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة **جمعناكم والأولين** كلام موضح لقوله **هذا يوم الفصل** لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم **فإن كان لكم كيد فكيدون** تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة **كلوا واشربوا** في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك **كلوا وتمتعوا** حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا **فإن قلت** كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة **قلت** يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله **شعر** إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا **اركعوا** اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة **لا يركعون** لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وآله لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود **بعده** بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة

بسم الله الرحمن الرحيم عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وجعلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون
أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا

باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه
وآله من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين سورة عم وتسمى سورة النبأ وهي أربعون آية وقيل إحدى وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عمّ أصله عمّا على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية
وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان شعر على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال
الكثير على الحذف والأصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شيء يتساءلون
ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك
جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي
شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية
يتساءلون يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم
ويتراءونهم والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم
عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء
السكت ولا يخلو إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون
عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر فإن قلت قد
زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع
القول بإنكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون
عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل النبأ العظيم
القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وقرئ يساءلون بالإدغام وستعلمون بالتاء كلا
ردع للمتسائلين هزؤا سيعلمون وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه
ويضحكون منه حق لأنه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم
الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد فإن قلت كيف اتصل به قوله ألم نجعل
الأرض مهادا قلت لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق
العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع
كهذه الاختراعات وقيل لهم ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما
تنكرونه من البعث والجزاء مؤد إلى أنه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا
ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب
الأمير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد
سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة والنوم أحد
التوفيين وهو على بناء الأدواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي حياة في
قوله وجعلنا النهار معاشا أي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم

ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له
أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور شعر وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر
أن المانوية تكذب سبعا سبع سماوات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر
فيها مرور الأزمان وهاجا متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار إذا تلمظت فتوهجت
بضوئها وحرها المعصرات السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك
أجز الزرع إذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة
بالمعصرات وفيه وجهان أن يراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وأن يراد السحاب
لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات
الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة هي السماوات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب
فكأن السماوات يعصرن أي يحملن على العصر ويمكن منه فإن قلت فما وجه من قرأ من المعصرات و
فسرها بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر
أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء
إلى السحاب فإن صح ذلك فالإنزال منها ظاهر فإن قلت ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات
بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه أن يريد اللاتي
أعصرن أي حان لها أن تعصر أي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان
ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الأعرج ثجاجا ومثاجج
الماء مصابه والماء ينثجج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما
يعلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان
ألفافا ملتفة ولا واحد لها كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد
أنشدني الحسن بن علي الطوسي شعر جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر و
زعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار
وحمر وأحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان
في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه يوم ينفخ
بدل من يوم الفصل أو عطف بيان فتأتون أفواجا من القبور إلى الموقف أمما كل أمة مع
إمامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم
على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة

إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا إنهم كانوا
لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا و
كواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس أما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون وأما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ فتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان ولا يكاد ينفك منه أحقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا أو روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد شعر

فلو شئت

فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئت غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله شعر فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمره فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شيء أحصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع إحصاء أو أحصينا في موضع كتبنا لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار مفازا فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر والأعناب الكرم ومنه الكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والأتراب اللدات والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله إن للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الأول ورفع الثاني على أنه مبتدأ

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتيك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى

خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبرئيل هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان يكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات وهي مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من

السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق في السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي الرادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال شعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طامع وطمع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما نردّ ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة

اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاريه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى

فى قدرته ما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة قال شعر وساهرة يضحى السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم فى جهنم اذهب على ارادة القول وفى قراءة عبد الله ان اذهب لان فى النداء معنى القول هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك فى جيبك او اراد هما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة فكذب بموسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت ثم ادبر يسعى اى لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع فى مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون فى المداين حاشرين فنادى فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والاخرة انا ربكم الاعلى نكال الاخرة والاولى هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الاخرة وهى قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون الخطاب لمنكرى البعث يعنى ءانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا

مسيرة خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان اغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحيها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والضحى الى السماء لان الليل ظلها والضحى هى الشعاع المنبث فى جوها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعيها رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقراهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحيها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لابد منه فى تاتى سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعيها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصله اليهم والى انعامهم الطامة الداهية التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعنى اذا راى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما فى ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اى لكل احد يعنى انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد واما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى فصل او مبتدا ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها

فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى
يسئلونك عن الساعة أيان مرسيها فيم أنت من ذكريها إلى ربك منتهيها إنما أنت منذر من يخشيها كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا إلا عشية أو ضحيها

بالصبر والتوطين على إيثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه **أيان مرسيها** متى إرساؤها أي إقامتها أراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها حتى تنتهي إليه **فيم أنت** في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رض لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجيب من كثرة ذكرها كأنه قيل في أي شيء واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال **إلى ربك منتهيها** أي منتهى علمها لم يؤت أحدا من خلقه وقيل إنكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكريها أي إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكريها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها **إنما أنت منذر من يخشيها** أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة كقولك هو منذر زيد أمس أي **كأنهم لم يلبثوا** في الدنيا وقيل في القبور **إلا عشية أو ضحيها** فإن **قلت** كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية **قلت** لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد **فإن قلت** فهلا قيل إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة **قلت** الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم يبلغ إلا ساعة من نهار **سورة عبس أحدى وأربعون آية وهي مكية**

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمه ويقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ **عبس** بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح **أن جاءه** منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الأعمى وأعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبألف

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه
الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا
إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل الإنسان ما أكفره
من أي شيء خلقه

بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك إنكارا عليه وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الإخبار عما فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانيا عليه ثم يقبل على الجاني إذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ وإلزام الحجة وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء **وما يدريك** وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى **لعله يزكى** أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم **أو يذكر** أو يتعظ **فتنفعه** ذكراك أي موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام **أو يذكر** فيقربه الذكرى إلى قبول الحق **وما يدريك** أن ما طمعت فيه كائن وقرئ **فتنفعه** بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع إلى إله موسى **تصدى** تتعرض بالإقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بإدغام التاء في الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك داع إلى التصدي له من الحرص والتهالك على إسلامه وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ **يسعى** يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله أو يخشى الكفار وأذاهم في إتيانك وقيل جاء وليس معه قائد وهو يخشى الكبوة **تلهى** تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أي تلهيك شأن الصناديد فإن **قلت** قوله **فأنت له تصدى فأنت له تلهى** كان فيه اختصاصا **قلت** نعم ومعناه التصدي والتلهي عليه أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير **كلا** ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله **إنها تذكرة** أي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها **فمن شاء ذكره** أي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ **في صحف** صفة لتذكرة يعني أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح **مكرمة** عند الله **مرفوعة** في السماء أو مرفوعة المقدار **مطهرة** منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي ملائكة مطهرين **سفرة** كتبة ينتسخون الكتب من اللوح **بررة** أتقياء وقيل صحف الأنبياء كقوله إن هذا لفي الصحف الأولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله **قتل الإنسان** دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و**ما أكفره** تعجيب من إفراطه في كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا

تعجب

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ

ولا أدل على تسخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وهو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر **من أي شيء خلقه** من أي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك بقوله **من نطفة خلقه فقدره** فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا نصب **السبيل** بإضمار يسره وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره وتمكينه كقوله إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر **فأقبره** فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا **أنشره** أنشأه النشأة الأخرى وقرئ نشره **كلا** ردع للإنسان عما هو عليه **لما يقض** لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعني أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال **فلينظر إلى طعامه** الذي يعيش به كيف دبرنا أمره **أنا صببنا الماء** يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما أنى صببنا الماء بالإمالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء **شققنا** من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب و**الحب** كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما و**القضب** الرطبة والمقاضب أرضه سمي بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة **وحدائق غلبا** يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب **شعر** يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا و**الأب** المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال **شعر** جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **فإن قلت** فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته **قلت** لم يذهب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ

إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن يقال **صخ** لحديثه مثل أصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها **يفر** منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر **من أخيه** بل من **أبويه** بل من **صاحبته وبنيه** وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح **يغنيه** يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه **مسفرة** مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله **غبرة** غبار يعلوها **قترة** سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله تعالى يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار **فإن قلت** ارتفاع الشمس على الابتداء أو على الفاعلية **قلت** بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط **انكدرت** انقضت قال **شعر** أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون حصب جهنم **سيرت** أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر

وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس

والعشار جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهو أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته فإن قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه فخر الفرزدق في قوله شعر ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد فإن قلت ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل

المشرك

والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس

المشرك من العذاب السرمد وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب وعن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الكتب من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم أزلفت أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل شعر قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وا انقطاع ظهرياه والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها عسعس الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج شعر حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه فإن قلت

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ
بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥

ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن رسول كريم هو جبرئيل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشارة الى الظرف المذكور اعنى عند ذى العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعنى محمداً صلى الله عليه وآله بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبرئيل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ٥ ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبرئيل بالأفق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبرئيل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالوحي فيزوى بعضه غير مبلّغه او يسأل تعليمه فلا يعلّمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابيّ بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذلقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلى احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون الاستقامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا
قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
فَعَدَلَكَ ٥

يا من يشاء ها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤونها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله من قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان ٥ بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكرم كما يروى عن على رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما تلاها غره جهله وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اى زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما تظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بينهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق وفعدلك

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ
لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا
يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

الى بعض الاشكال والهيات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه ويجوز في اي ركبك حاصلا في بعض الصورة ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويجوز في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التركيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من اية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم منها بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن ادم ثلث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا

يطففون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ

يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رض انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رض لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال شعر ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها

كيتن

الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما
ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد
اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم

في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو لمن لم يثبتها قال المعنى كما في التفرقة بينهما
وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين و
يقفان عند الواو وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل اوا اتزنوا كما قيل
او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون
في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون
يقال خسر الميزان واخسره الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء
على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون و
محاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك
واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة
وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين
اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك
بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة
الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب
العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله
من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل
في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم
بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرا هذه الاية فلما بلغ
قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا
ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه
مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم و كتاب الفجار
ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر
سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين
كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة
من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير
فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا
من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته
استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير

يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون ومزاجه
من تسنيم

الملائكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول
من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون
مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي
الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على
الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب
بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين
الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء
وبالاظهار والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن على
قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك
الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال شعر
اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا ردع عن التكذيب و
كتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة
وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن
الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا
انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على
ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد
فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على
قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما
شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم بهجة النعيم وماءه
ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة
النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم تختم اوانيه من الاكواب
والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب
وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم
به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت
بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب الجنة واما لانها
تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا

عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة هم مشركوا مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم **كانوا يضحكون** من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله **يتغامزون** يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم **فكهين** ملتذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال **وما ارسلوا** على المسلمين **حافظين** موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك **على الارائك ينظرون** حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر من الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم **ثوب** واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس **شعر** ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة **سورة انشقت وهي خمس وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم** حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه **فملاقيه** اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رض تنشق من المجرة **اذنت له** استمعت له ومنه قوله عليه السلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران وقول جحاف بن حكيم **شعر** اذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين **وحقت** من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك **مدت** من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم زال

عكاظ اسم سوق بمكة

فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون

كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة **والقت ما فيها** ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز **وتخلت** وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اي بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما **واذنت لربها** في القاء ما في بطنها وتخليها **الكدح** جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى **كادح الى ربك** جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء **فملاقيه** فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح **يسيرا** سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رض هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه واله من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب **الى اهله** الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين **وراء ظهره** قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره **يدعوا ثبورا** يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرئ **ويصلى سعيرا** كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصليه جهنم **في اهله** فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا في اهلنا مشفقين **ظن ان لن يحور** لن يرجع الى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد **شعر** يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي **بلى** ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن **ان ربه كان به بصيرا** وباعماله لا ينساها ولا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد **الشفق** الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه **وما وسق** وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال **شعر** مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها **اذا اتسق** اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة وقرئ **لتركبن** على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب

فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

النفس وليركبن بالياء على ليركبن **والطبق** ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا **طبقا عن طبق** حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها **فإن قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن طبقا مجاوزا لطبق أو مجاوزين أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه **لا يسجدون** لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة **الذين كفروا** إشارة إلى المذكورين **بما يوعون** بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب **إلا الذين آمنوا** استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء **واليوم الموعود** يوم القيامة **وشاهد ومشهود** يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد صلى الله عليهم **فإن قلت** أين جواب القسم **قلت** محذوف يدل عليه قوله

قتل أصحاب الأخدود كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل **قتل أصحاب الأخدود** وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه **شعر** فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب يستمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله **قتل أصحاب الأخدود** وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن

ٱذْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ
جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ هَلْ أَتَاكَ

النبي صلى الله عليه وآله انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء **النار** بدل اشتمال من الاخدود **ذات الوقود** وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم **اذ** ظرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله شعر وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه مستعليا لمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون **وما نقموا منهم** وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وكما قال ابن الرقيات شعر ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه **حميدا** منعما يجب الحمد على نعمائه ويرجى ثوابه **له ملك السموات والارض** فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب **والله على كل شيء شهيد** وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه يجوز ان يريد **بالذين فتنوا** اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم **فلهم** في الآخرة **عذاب جهنم** بكفرهم **ولهم عذاب الحريق** في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم **البطش** الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام **انه هو يبدئ ويعيد** اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ **الودود** الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ **ذي العرش** صفة لربك وقرئ **المجيد** بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه **فعال** خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة **فرعون وثمود** بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قولهم من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم **بل الذين كفروا** من قومك **في تكذيب** اي تكذيبا استيجاب للعذاب **والله** عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه

والاحاطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم **بل هو** بل هذا الذي كذبوا به **قرآن مجيد** شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح **محفوظ** من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها **فان قلت** ما يشبه قوله **وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب** الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته **قلت** اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال **وما ادراك ما الطارق** ثم فسره بقوله **النجم الثاقب** كل هذا اظهارا لفخامة شأنه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب فقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت **فان قلت** ما جواب القسم **قلت ان كل نفس لما عليها حافظ** لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم **حافظ** مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين **فان قلت** ما وجه اتصال قوله **فلينظر** بما قبله **قلت** وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته و **مم خلق** استفهام جوابه **خلق من ماء دافق** والدفق صب

فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم
يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين
أمهلهم رويدا

فيه دفع ومعنى الدافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج شعر في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة إنه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة على رجعه على إعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتات عليه ولا يعجز عنه كقوله شعر إنني كان يبدي برد أنيابها العلى لأفقر مني إنني لفقير يوم تبلى السرائر منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل أو إلى الحالة الأولى نصبه بمضمر السرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفي من الأعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد شعر ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال الحسن ما أغفله عما في السماء والطارق فما له للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه سمي المطر رجعا كما سمي أوبا قال شعر ربّاء شمّاء لا يأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل تسمية بمصدري رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤوب وقيل لأن الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء شعر كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما تتصدع عنه الأرض من النبات إنه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني أنه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السماوات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه إنهم يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به أمهلهم رويدا أي إمهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء
أحوى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله
إنه يعلم الجهر وما يخفى

بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان من الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رض سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى وقرئ قدر بالتخفيف أحوى صفة لغثاء أي أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى دريناً أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أي أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حويه بشره الله بإعطاء آية بينة وهو أن يقرأ عليه جبرئيل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبرئيل فقيل لا تعجل فإن جبرئيل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة إنه يعلم الجهر يعني جهرك بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسَى

ولا تفعل فانا اكفيك ما تخاف او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وآله مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وآله يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون كذلك سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحمه الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة وتعضد الاول قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رض

بسم الله الرحمن الرحيم هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ

٣٠٦٠

ما الدنيا في الآخرة الا كنفخة ارنب هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي صلوات الله عليه وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل سورة الغاشية وهي ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب شعر رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال قتيبة بن ابيس شعر وحبسن في هزم الضريع وكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس

وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

بطعام للبهائم فضلاً عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او متفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب

كالغمام

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر

كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على سبيل التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء منقطع اي لست عليهم ولكن من تولى فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليالي مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه فسره بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي

الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين
طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين

المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس
وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ
والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين الذي
يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر و
ياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري
يسرى فيه **هل في ذلك** اي هل فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به **لذي
حجر** يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي
هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي
كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء
يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن
يدل عليه قوله **الم تر** الى قوله **فصب عليهم ربك سوط عذاب** قيل لعقب عاد بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى
وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة وقال ابن الرقيات **شعر** مجدا تليدا
بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان
بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن
الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف
قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد
ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم
الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة
وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من **فعل ربك** وذات العماد
اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم
بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت
صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم
مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال
ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها
اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج
في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث

الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر
قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل **لم يخلق مثلها** مثل عاد **في البلاد** عظم اجرام وقوة كان طول الرجل
منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق
مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها **جابوا
الصخر** قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال و
الصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده
ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته
وباسية **الذين طغوا** احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون
مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب
عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن
عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها
المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته
وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين
ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى
بلغ هذه الاية فقال **ان ربك لبالمرصاد** يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد
بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره و
يقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه **فان قلت** بم اتصل قوله فاما الانسان **قلت** بقوله
ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما
يلذه وينعمه **فان قلت** فكيف توازن قوله **فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه** وقوله **واما
اذا ما ابتليه** وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور و
اما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك
قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو **اذا ما ابتليه ربه** وذلك ان قوله **فيقول
ربي اكرمن** خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب
ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره **فان قلت** كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق
وتقديره ابتلاء **قلت** لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر

وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ حُبًّا جَمًّا كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ
يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ
أَحَدٌ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

أم يكفر فإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه
ونعمه قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير
فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى
مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية
ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك فإن قلت فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته
ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه
قلت فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف
ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراما له مستحقا
مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندي وإنما
أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد الله إلا به
وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة
من أجلها والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني أنه إذا تفضل
عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل
هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه وقرئ فقدر
بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في
الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع للإنسان عن قوله ثم قال بل هناك شر
من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام
اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه
فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون أي يحض بعضهم
بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة أكلا لما ذا لم وهو
الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة شعر إذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك
الطواحنا يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل
كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه
الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث
الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله أكلا
واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث
البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك
إنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة يومئذ بدل

من إذا دكت الأرض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا
أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة و
الانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره و
سلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة و
السياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم صفا صفا تنزل
ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي أنه لما نزلت تغير وجه رسول الله وعرف في وجهه
حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه
ثم قال يا نبي الله بأبي وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال
علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد
شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع أي يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ وأنى له الذكرى
ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فبين يوم يتذكر وبين وأنى له
الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا
كقوله جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم و
معلقا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب
أهل الأهواء والبدع وإلا فما معنى التحسر وقرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى
وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره والضمير للإنسان الموصوف وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب
أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده أو لا
يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى
أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم أو للإنسان أي لا يعذب أحد
من الزبانية مثل ما يعذبونه يا أيتها النفس على إرادة القول أي يقول الله للمؤمن يا أيتها
النفس إما أن يكلمه إكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك
المطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى
الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبي بن كعب يا
أيتها النفس الآمنة المطمئنة فإن قلت متى يقال لها ذلك قلت إما عند الموت وإما عند البعث
وإما عند دخول الجنة على معنى ارجعي إلى موعد ربك راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلي
في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه
فادخلي في أجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ
أبي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدريك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا

خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحولها والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا إلى يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وأنت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وآله إلا الإذخر فإن قلت أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فإن قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبرهيم ومنشأ أبيه إسمعيل وبمن ولده وبه فإن قلت لم نكر قلت للإبهام المستقل بالمدح والتعجب فإن قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده

إذا أصاب كبده قال لبيد شعر يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب والضمير في أيحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامته ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه يقول أهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للإنسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية فإن قلت قلما تدخل لا الداخلة على الماضي إلا مكررة ونحو قوله شعر فأي أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح قلت هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليستا سواء قال لا إعتاقها

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما
طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها
إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها
ولا يخاف عقباها

أن ينفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل
الأعمال وعن أبي حنيفة أن العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل
والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل
نفقة أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لأن النبي صلى الله عليه وآله
قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منه عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة
أو إطعام على هي فك رقبة أو إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم
العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها
على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب
إذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب إذا افتقر ومعناه
التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى
وعن النبي صلى الله عليه وآله في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما
يقول النحويون في قولهم هم ناصب ونصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام
ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي
الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة من العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق
المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به والمرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على
الإيمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن
وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى الميمنة والمشأمة
اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن قرئ مؤصدة
بالواو والهمز من أوصدت الباب وآصدته أي أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن
عياش لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته عن رسول الله صلى الله
عليه وآله من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة سورة
الشمس مكية وهي خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم ضحاها إذا أشرقت وقام سلطانها
ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى
فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف إذا تلاها طالعا عند
غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر وقيل إذا استدار فتلاها في الضياء
والنور إذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام
الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة
يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء إذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فإن قلت
الأمر في نصب إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر

فقع

فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم
فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز
الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر
فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب
عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر
خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية
في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها فجورها وما
يؤدي إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى
الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي
سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا فإن قلت لم نكرت النفس قلت
فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قيل وواحدة
من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله
علمت نفس ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر
قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها وقد
خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء و
الإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل
في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل
ظلما وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع
إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو
بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه فإن قلت
فأين جواب القسم قلت هو محذوف وتقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل
مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح
من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد
وليس من جواب القسم في شيء الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم الطغوى من الطغيان
فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب
في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على
الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ
الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر إذ انبعث منصوب بكذبت أو
بالطغوى وأشقاها قدار بن سالف ويجوز أن يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في

بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

أفعل التفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم والضمير في لهم يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ ونافة الله نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا أو احذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة أي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والأنثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلق الله أي ومخلوق الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه وقيل إن الله لم يخلق خلقا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو بالأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلا عندنا لشتى جمع شتيت أي إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره أعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف

به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام واستغنى وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة والنار أي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلت في أبي بكر وفي أبي سفيان بن حرب وما يغني استفهام في معنى الإنكار أو نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم إن علينا للهدى إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وإن لنا للآخرة والأولى أي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقرأ أبو الزبير تتلظى فإن قلت كيف قال لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى وقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة فإن قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين إن جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه الأعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد إلا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول القائل شعر أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها إلا الجآذر والظلمان تختلف وقول القائل شعر وبلدة ليس بها أنيس

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك والاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث

إلا اليعافير وإلا العيس. ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ﴿ولسوف يرضى﴾ موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر.

سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقيل إنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى. وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا. ﴿سجى﴾ سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر. ﴿ما ودعك﴾ جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال شعر:

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك. روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياما فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه. وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت. حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه ﴿فآوى﴾ ﴿فهدى﴾ ﴿فأغنى﴾ وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف. فإن قلت كيف اتصل قوله ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية. ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر

بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله. قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. فإن قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لأقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك. فإن قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة. عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره. و﴿ألم يجدك﴾ من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله فأحسن تربيته. ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير ﴿فآواك﴾ وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة وإما من أوى له إذا رحمه. ﴿ضالا﴾ معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان. وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام

حين خرج به أبو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن عمك وجدك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني فلا تنهر والنهر الزجر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رددت السائل ثلاثا فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وقد قرأ علي رضي الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب

سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها الوزر الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرئ وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به فإن قلت أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فإن قلت كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر قلت أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب فإن قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين

أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالا إن مع زيد مالا وأما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال فإن قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فإن قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فإن قلت فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فإن قلت فكيف تعلق قوله فإذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فإذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في الدعاء وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب عليا للإمامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته وإلى ربك فارغب واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أي رغب الناس إلى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون وأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس رضي هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب والبلد مكة حماها الله والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشأه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ومبعثه في أحسن تقويم في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فإن قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان إذا قرأها قال

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب ه

بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن أول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرأ **فإن قلت** كيف قال **خلق** فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الإنسان **قلت** هو على وجهين إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد به الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله **خلق الإنسان** تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته **فإن قلت** لم قال **من علق** على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة **قلت** لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر **الأكرم** الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال **الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم **شعر** ورواقم رقش كمثل أراقم قطف الخطى نيالة أقصى المدى سود القوائم ما يجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير **علم** الخط بالقلم **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه **أن رآه** أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني **إن إلى ربك الرجعى** واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان **والرجعى** مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك **أرأيت الذي ينهى** وروي أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله أتزعم أن

من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء إبقاء عليهم وروي عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا أبا الحكم قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت **أرأيت الذي ينهى** ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن **ألم يعلم بأن الله يرى** ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد **فإن قلت** ما متعلق أرأيت **قلت** الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين **فإن قلت** فأين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني **فإن قلت** فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه **فإن قلت** فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت **قلت** هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع لأبي جهل وخسأ له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ثم قال **لئن لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية** لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب **شعر** قوم إذا فزعوا الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة **ناصية** بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **والنادي** المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير **شعر** لهم مجلس صهب السبال أذلة وقال زهير **شعر** وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس وروي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ ابن أبي عبلة **سيدعى الزبانية** على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر

غير للنسب كقولهم إمسي وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وآله لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا كلا ردع لأبي جهل لا تطعه أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات وقيل مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

عظم القرآن من ثلثة أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبرئيل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما أدراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملئكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد تنزل إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبرئيل وقيل خلق من الملئكة لا تراهم الملئكة إلا تلك الليلة من كل أمر أي من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع الفجر بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة القيمة مكية وهي ثمان آيات وقيل

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية

مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وآله فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق فإذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الباطل إلا مجيء الرسول ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة يجوز أن يراد بالبينة القرآن وأن يراد بينة ما في الصحف الأولى ورسول من الله جبرئيل عليه السلام وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي ويجوز أن يراد النبي عليه السلم فإن قلت كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة إليه وهو أمي قلت إذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب قلت لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف وما أمروا يعني في التورية والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة أي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فإن قلت ما وجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله قلت معناه وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا وقرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف فإن قلت ما معنى زلزالها بالإضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته

تريهما يتوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه **الاثقال** جمع ثقل و
هو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها **قال الانسان ما لها**
زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل
وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا
من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون **فان قلت** ما معنى تحديث الارض والايحاء لها **قلت** هو
مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول
الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء
ينذرونه ويحذرونه منه وقيل ينطقها الله فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات على
الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله تشهد على
كل احد بما عمل على ظهرها **فان قلت** اذا ويومئذ ما ناصبهما **قلت** يومئذ بدل من اذا وناصبهما
تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث **فان قلت** اين مفعولا تحدث **قلت**
قد حذف اولهما والثاني **اخبارها** واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود
ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق **فان قلت** بم تعلقت الباء في قوله بان ربك **قلت** بتحدث
معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون
المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك
اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان
يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها **بان ربك اوحى**
لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول
له كن قال **شعر** اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير
تنبئ بالتخفيف **يصدرون** عن مخارجهم من القبور الى الموقف **اشتاتا** بيض الوجوه
آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا
الجنة والنار **ليروا** جزاء **اعمالهم** وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله ليروا بالفتح وقرأ
ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت
واخرت فقال **شعر** خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق
الذرة النملة الصغيرة وقيل الذرة ما يرى في شعاع الشمس من الهباء **فان قلت** حسنات
الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل
الذر من الخير والشر **قلت** المعنى **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا** من فريق السعداء **ومن يعمل**
مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله **يصدر الناس اشتاتا** عن رسول

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم ٣٧٢
بهم يومئذ لخبير ٥

الله صلى الله عليه وآله من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله **سورة العاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم** اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات **فالموريات** توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها **قدحا** قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا **فالمغيرات** تغير على العدو **صبحا** في وقت الصبح **فاثرن به نقعا** فهيجن بذلك الوقت غبارا **فوسطن به** بذلك الوقت او بالنقع اي وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به **جمعا** من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد **شعر** فمتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة **فان قلت** علام عطف فاثرن **قلت** على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن **الكنود** الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة **وانه** وان الانسان **على ذلك** على كنوده **لشهيد** يشهد

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ماهيه نار حامية

على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد **وانه لحب الخير** المال من قوله تعالى ان ترك خيرا **لشديد** لبخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة شعر ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد يعنى وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض **بعثر** بعث وقرئ بحثر وبحث بحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم وقرأ ابو السمال **ان ربهم بهم يومئذ خبير** عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا **سورة القارعة مكية وهى عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم** **القارعة ما القارعة** الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اى تقرع **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير شعر ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى وفى امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره **وتكون الجبال كالعهن** وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف **فاما من ثقلت موازينه** جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابى بكر لعمر رضى الله عنهما فى وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف **فامه هاوية** من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال شعر هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل حين يؤوب فكانه قيل **واما من خفت موازينه** فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار كانها النار العميقة يهوى اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا اى فمأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة **فامه هاوية** فام رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا **هيه** ضمير الداهية التى دل عليها قوله فامه هاوية فى التفسير الاول او الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة القارعة ثقل الله ميزانه يوم القيمة **سورة التكاثر ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم** عن كذا والهاه اذا شغله **التكاثر** التبارى فى الكثرة والتباهى بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم فى الجاهلية والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم فى طلب الدنيا والاشتباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال شعر لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقرأ ابن عباس ءالهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير **كلا** ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم لدينه **سوف تعلمون** انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم **ثم كلا سوف تعلمون** والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال **لو تعلمون** محذوف الجواب يعنى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال **لترون الجحيم** فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما فى ايضاح التى بعدها من تهويل وتعظيم وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة **فان قلت** لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد **قلت** ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول **عين اليقين** اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصه ويجوز ان يكون يراد بالرؤية العلم والابصار **عن النعيم** عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه **فان قلت** ما النعيم الذى يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم **قلت** هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب و

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

اللبن وينقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس والخسر الخسران كالكفر والكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال شعر وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الأخنس بن شريق فكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه الذي بدل من كل أو نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده أي جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده فك الإدغام نحو ضننوا بمعنى ضنوا أخلده وخلده بمعنى أي طول المال أمله ومناه الأماني

البعيدة

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن أنه عاد موسرا فقال ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان أي هو وماله ولينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره لينبذن في الحطمة في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها ويقال للرجل الأكول لحطمة وقرئ الحاطمة يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم تطلع على الأفئدة وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها إنها عليهم موصدة مطبقة قال شعر تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء موصدة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وآله وأصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن وإلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس أنه رأى عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري

فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا
في كل طريق ومنهل ودوي أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع
صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص
عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشي
الذي كان في زمن رسول الله بأربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رأيت
قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب
مائتي بعير فخرج إليه فيها فعظمه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال
سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينكم ودين آبائكم وعصمتكم وشرفكم
في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه ثم
رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن
فقال والله إنها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على
أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن أبي سعيد
الخدري أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن
عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار
أثر الجازم والمعنى أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار متواترة فقامت
لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر لما في كيف من معنى
الاستفهام في تضليل في تضييع وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا
ونحو قوله تعالى وما كيد الكافرين إلا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك
الضليل لأنه ضلل ملك أبيه يعني أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا
أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوا ثانيا
بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم أبابيل حزائق الواحدة إبالة وفي أمثالهم
ضغث على إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالإبالة
وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ أبو حنيفة يرميهم أي الله تعالى أو
الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى وسجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه
عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب
المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك وأرسل

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا
رب هذا البيت الذي أطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف ٣٧٥

عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر و
قيل هو معرب سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل شعر ورجلة
يضربون البيض عن عرض ضربا تواصت به الأبطال سجيلا وإنما هو سجينا والقصيدة
نونية مشهورة في ديوانه شبههم بورق الزرع إذا أكل أي وقع فيه الأكال وهو أن يأكله
الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا
يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش متعلق بقوله
فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام
من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى
فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا
لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش
وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به
وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب
وقرأ في الأولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك
فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ
أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس
غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولك آلفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته
فأنا مؤلف قال شعر من المؤلفات الرهو غير الأوارك وقرئ لإلاف قريش أي لمؤالفة قريش
وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال شعر زعمتم
أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة
الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في
البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد شعر وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت
قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم
وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا
بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بإطعام وأراد رحلتي
الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله شعر كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم
وهي الجهة التي يرحل إليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ه

كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم
ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة
وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات
الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ
من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة لإيلاف قريش
أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة أرأيت مكية وقيل
مدنية وهي سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم قرئ أريت بحذف
الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل
من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه شعر صاح هل ريت أو سمعت
براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب
كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن
لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى
ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يتركه ويجفوه ولا يحض ولا يبعث أهله
على بذل طعام المسكين ه جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف
يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم
عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير
من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم
وصل به قوله فويل للمصلين كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون
عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول
الله صلى الله عليه وآله والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب
لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد
منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم
الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم ه والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة
التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع
الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى
من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه ه وطريقة
أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على
صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن
يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين

أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا
مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم فإن قلت
كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن المراد
الجنس فإن قلت أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن
أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة مبالاة إليها وذلك فعل المنافقين والفسقة
الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك
لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا
عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس رض الحمد لله على أن لم يقل في
صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون فإن قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الإراءة
لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا
بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام
ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت
فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا
تهمة فيه فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه
الأعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها
فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب
الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الرياء أخفى
من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود ه الماعون الزكاة قال الراعي شعر
قوم على الإسلام لما يمنعوا ه ماعونهم ويضيعوا التهليلا ه وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس
والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الأشياء
محظورا في الشريعة إذا استعيرت وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه
وآله من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات
بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلى الله عليه وآله
إنا أنطيناك بالنون وفي حديثه وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة
قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال شعر وأنت كثير يا ابن مروان
طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وآله
حين نزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي
في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد
وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

ويقال لها وسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبريتان من النفاق

المهاجرين الذين يسوا الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيناك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم نعطه احدا غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجه الله وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه ابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه سورة الكافرين مكية وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فان لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

له وروت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة أنه كان يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وآله إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي أنه لما قرأها على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وآله ما يبكيك يا عم قال نعيت إليك نفسك قال إنها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل إن ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد أوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي أنه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رض فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رض كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا من هو مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى **إذا جاء نصر الله** ولا أراه سألهم إلا من أجلي فقال بعضهم أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت إليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه دعا فاطمة رض فقال يا بنتاه إنه نعيت إلي نفسي فبكت فقال لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع **كان توابا** أي كان في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم إذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه فيما روي أخذ حجرا ليرمي به رسول الله **وتب** وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله شعر جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت **فإن قلت** لم كناه والتكنية تكرمة **قلت** فيه ثلاثة أوجه أحدها

أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله أبا المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما ويجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم **ما أغنى** استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب أو نفي **وما كسب** مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه **ماله وما كسب** بماله يعني رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن أنه منه على شيء وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلى** قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته **وامرأته** هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال شعر من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته و**في جيدها** في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير **المسد** الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو من جلد أو من غيرهما قال شعر ومسد أمر من أيانق ورجل ممسود الخلق أي مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا
وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها
وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل
بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال شعر ماذا اردت الى شتمي و
منقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة
شيخ ثاقب الحسب ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي
كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار
من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب
كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة تبت
رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة سورة الاخلاص مكية
وقيل مدنية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل هو
الله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان
قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها
من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه
هو المبتدا في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك
زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما
وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني
وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرا
عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وقرا النبي صلى الله عليه وآله الله احد بغير قل وقال من قرا الله
احد كان بعدل القرآن وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته
لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد
فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله
الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السماوات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد
بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني
عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا
المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم
وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله و
يجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سالوه ان يصفه لهم فاوحى
اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية
احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية
ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه
فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه
عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله
ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح
ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما
باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات
الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف وكان لذلك اهم شيء
واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها
مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب
طرفيها قلت شعر لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله و
توحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيها ان
علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع
بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته و
جلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف
علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا
في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك
وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اسست السماوات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت
الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما
وجبت قال وجبت له الجنة سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم الفلق
والفرق الصبح لان الليل يفرق عنه ويفلق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق
الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه
الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد
والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض
الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم
فيه عليهم من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق

فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره من شر ما خلق
من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة
بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه
من الأكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من أنواع
الضرر كالإحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى إلى
غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه
دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس إذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت
قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر إذا امتلأ وعن عائشة أخذ رسول الله بيدي
فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله في
الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه و
الوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لأن انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه
أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند
الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر
اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير
لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على
بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت
على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن و
الثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبأون به فإن قلت فما معنى الاستعاذة
من شرهن قلت فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر
ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم
به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد
بهن النساء الكيادات من قوله إن كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر و
النفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم
بذلك إذا حسد أي إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لأنه إذا لم يظهر
أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن
عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه
وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره فإن قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل
ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص
شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس
الخناس الذي يوسوس
في صدور الناس من
الجنة والناس

شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فإن قلت فلم عرف بعض المستعاذ
منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن
كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر
ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد إلا في
اثنتين وقال أبو تمام شعر وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال شعر إن
العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ المعوذتين
فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها سورة الناس مختلف فيها وهي ست
آيات بسم الله الرحمن الرحيم قرئ قل أعوذ
بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه فخذ أربعة من الطير فإن قلت
لم قيل برب الناس مضافا إليهم خاصة قلت لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في
صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم
وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم
ومخدومهم ووالي أمرهم فإن قلت ملك الناس إله الناس ما هما من رب الناس
قلت هما عطف بيان كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا
بإله الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فإن قلت فهلا اكتفى
بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لأن عطف البيان للبيان
فكان مظنة للإظهار دون الإضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في
نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة
الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته أن يخنس منسوب إلى
الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان
ربه خنس الشيطان وولى وإذا غفل وسوس إليه الذي يوسوس يجوز في محله
الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف
القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين من الجنة والناس
بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الجن
وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس و
يجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في
صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس
بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن

وَمَا احقّه لانّ الجنّ سمّوا جنّا لاجتنانهم والنّاس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سمّوا بشرا ولو كان يقع النّاس على القبيلين وصحّ ذلك

وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنّع واجود منه ان يراد بالنّاس النّاسي كقوله يوم يدع الدّاع وكما قرئ من حيث افاض النّاس ثمّ

يبيّن بالجنّة والنّاس لانّ الثّقلين هما النّوعان الموصوفان بنسيان حقّ الله تعالى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقد انزلت عليّ سورتان ما انزل مثلهما وانّك لن تقرأ سورتين احبّ ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوّذتين المقشقشتان

قال الشّيخ الامام رضي الله عنه وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التّامّة والوذ بكنف رحمته الشّاملة العامّة من كلّ ما يكلم الدّين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالنّدم او يقدح بالايمان المسوط باللّحم والدّم

واسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخدّ لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنور الّذي هو الشّيبة في الاسلام متوسّلا بالتّوبة الممحّصة للآثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكّة و

مصابرتي على نواكل من القوى وتخاذل من الخطى ثمّ اسأله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من المتاعب في مداحضه المخلص لنكته ولطائف نظمه المنقّر عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوائد

المفتنّة الّتي لا توجد الّا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه و معانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنّب المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الّا ايراد كلّ شيء على قانونه لكفى به ضالّة

ينشدها محقّقة الاحبار وجوهرة يتمنّى العثور عليها غاصة البحار وبما شرّفني به ومجّدني واختصّني بكرامته وتوحّدني من ارتفاعه على يديّ في مهبط بشاراته ونذره ومنزل آياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني الحرم

وبين يدي البيت المحرّم حتّى وقع التّأويل حيث وقع التّنزيل ان يهب لي خاتمة الخير و يقيني مصارع السّوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التّناد ولا يفضحني على رؤوس الاشهاد ويحلّني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انّه هو الجواد الكريم الرّؤوف الرّحيم قال المؤلّف وهذه النّسخة هي نسخة الاصل الاولى الّتي نقلت من السّواد وهي امّ الكشّاف الحرميّة المباركة المتمسّح بها المحفوف

بان يستنزل بها بركات السّماء ويستمطر بها
في السّنة الشّهباء فرغت منها يد المصنّف
تجاه الكعبة في جناح دار السّليمانيّة الّتي على
باب اجياد الموسومة بمدرسة العلّامة
ضحوة يوم الاثنين الثّالث و
العشرين من ربيع الآخر سنة
ثمان وعشرين وخمسمائة وهو
حامد لله على باهر كرمه
ومصلّ على محمّد عبده
ورسوله وآله اجمعين